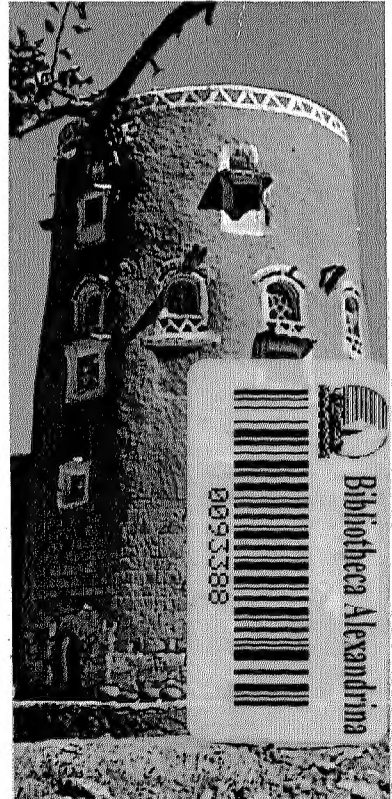
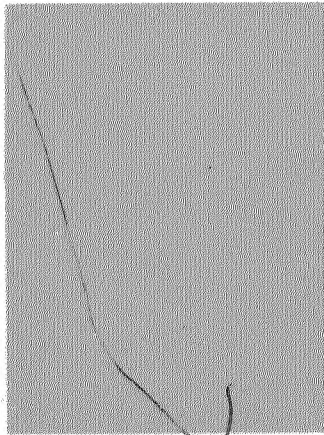
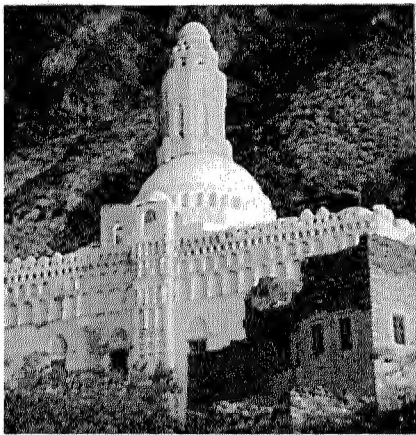


أحمد مصطفى زكريا

رحلتي إلى اليمن

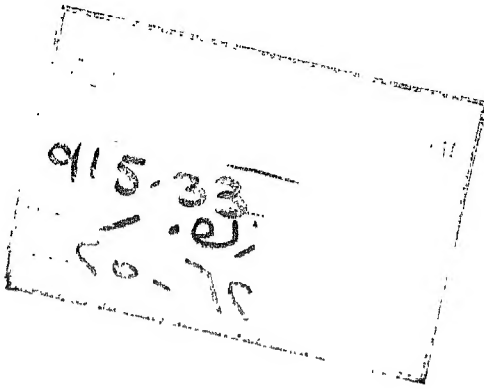


دار الفكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَحِمَتِي إِلَى الْيَمِينِ

أحمد يوسف زكريا



رحلتني إلى الرحمن
و باري

دار الفكر

الكتاب ٧١٨
الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م



جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير ، كما يمنع الاقتباس منه ، والترجمة إلى لغة أخرى ، إلا بإذن خطي من دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (١٦٢) - س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - بريقاً : فكر - تليكس 411745 Sy FKR Tx

الصف التصويري : على أجهزة C.T.T. السويسرية
الإفشاء (أوفست) : في المطبعة العلمية بدمشق

تقديم

لرحلة أحمد وصفي زكريا إلى اليمن

بقلم : أحمد غسان سبانو

بقي اليمن في عزلة عن العالم لمدة طويلة وقد بقي اتصال اليمن بالدول الأجنبية عبر التجار والتجارة ، أما داخل اليمن فقد كان أسطورة بعيدة ..

في أواخر القرن الثامن عشر بدأ بعض المغامرين والرحالة والعلماء والأثريين بمحاولات للوصول إلى اليمن والتجول في أراضيه سواء بالطرق الرسمية أم بطرق خاصة^(١) .

أما بالنسبة للعرب أبناء الأمة العربية فقد تأخرت زيارات العلماء والرحالة والمختصين إلى اليمن إلى مطلع القرن العشرين ، إذ كانت أول زيارة (معروفة) إلى اليمن قد تمت من قبل الصحفي (عبد المسيح الأنطاكي) صاحب مجلة العمران الصادرة في مصر ١٩٠٧ ، وقد نشر رحلته إلى الخليج العربي والسعودية واليمن على حلقات في مجلته (العمران) .

كذلك قام السيد نزيه المؤيد العظم السوري بزيارة اليمن بصحبة المستر شارلز كرين الأمريكي ، وبعدها قام بعدة رحلات ، وأصدر كتاباً عن رحلته نشر عام ١٩٣٦ ، وفيه صورة وحديث خاطف عن أحمد وصفي زكريا ونشاطه في الزراعة باليمن ، كما قامت جامعة فؤاد الأول (القاهرة) بإرسال بعثة إلى اليمن من أعضائها الدكتور سليمان حزين والدكتور خليل يحيى نامي ، وأصدر الأخير كتاباً عن اللهجات اليمنية عام ١٩٤٦^(٢) .

(١) يراجع مقالنا حول المهجرات العربية في مجلة الإكليل العدد الأول . (غ) .

(٢) كما أصدر كتابين عن النقوش المعينية اليمنية القديمة (م) .

ثم قام العلامة أحمد وصفي زكريا برحلة إلى الين ، تلك الرحلة التي نقدمها الآن . فمن هو أحمد وصفي زكريا وما هي قصة رحلته ؟

ولد في دمشق عام ١٨٨٩ ، وأتم دراسته الابتدائية والثانوية فيها ، ثم انتقل إلى استانبول والتحق بالمدرسة الزراعية العليا وتخرج فيها مهندساً عام ١٩١٢ ، ثم تقلب في وظائف عدة في سورية ولبنان والأردن وفلسطين إلى أن تم استدعاؤه عام ١٩٣٦ للين مستشاراً فنياً زراعياً لمدة ستة أشهر وفقاً لرغبة الإمام يحيى كما سنبين فيما بعد .

وبعدها عاد ليعمل في العراق والأردن ، وفي سورية حيث أحيل على التقاعد عام ١٩٥٠ لبلوغه السن القانوني . وتفرغ بعدها لاستكمال أبحاثه ودراساته وإصدار كتبه سواء منها المهنية الزراعية وهي (الدروس الزراعية ثلاثة أجزاء ، والمفكرة الزراعية ، والمحاصيل الحقلية (جزآن) ، أو كتبه التاريخية وهي : عشائر الشام (جزآن) والريف السوري (جزآن) وجولة أثرية .

وكان عضواً في المجلس الأعلى للعلوم والآداب . وتوفي عام ١٩٦٤ عن عمر يناهز الخامسة والسبعين .

وللين عموماً سحر على زائريه نستشفه من مؤلفات الرحالة الذين جابوا أطراف الين ومجاهلها ، وذاك السحر الذي يشغل بال زائرها وقلبه ، ويترك فيه الأثر الطيب وعشقا من نوع خاص يدفع به للعودة إليها وإبقاء الصلة معها .

أصيب أحمد وصفي زكريا بعارض هذا العشق ، فعلى الرغم من قصر المدة التي أقامها فيها وعلى الرغم من النشاط الذي أبداه من إيجاد مزروعات جديدة في الين استجلبها من بلاد الشام والعراق وإيطالية ومصر ، بما يتوافق والبيئة الزراعية الينية ، وإنشاء مدرسة زراعية درب بها بعض شباب الين ، فإنه لم يعد يفترق عن الين إطلاقاً ، وإن لم يعد لزيارتها ثانية فقد بقي حتى آخر عمره يتابع

أخبار الين ويدرس نشاطاتها وتطوراتها سواء في حقل الزراعة أم السياسة أم التاريخ أم الآثار .

وفي بحثي ضمن إطار إعداد هذه المقالة بين مخلفات العلامة أحمد وصفي زكريا فقد عثرت على الكثير الكثير مما يخص الين وأخبارها ومشاريع كثيرة للكتابة عنها ، وقد علمت أن في الين عدة مخطوطات تعود لأحمد وصفي زكريا سواء في حقل الزراعة أم في حقل التاريخ اليني لكنني لأعرف كنهها .

وقد عثرت على رسائل عدة من مخلفاته تتناول استمرار سؤاله عن أحوال الزراعة والحالة الزراعية هناك .

أعود للحديث عن مخلفاته عن الين ، فقد تبين لي بعد تدقيقها أن هناك بعض ماسبق نشره على شكل مقالات اعتباراً من عام ١٩٣٦ وما بعدها في صحف ومجلات مختلفة لصحف مصرية ، وهي تضم ستة مقالات بين كانون الثاني ١٩٣٧ وحزيران ١٩٤٠ ، ومجموعها ثلاث وأربعون صفحة .

كما نشر خلال إقامته في الين عدة مقالات في صحف يمنية صادرة هناك ، منها « الإيمان » الصادرة بصنعاء و « صوت الين » .

ونشر أيضاً في صحيفة تصدر باللاذقية باسم الجلاء .

وفي جريدة التريية الصادرة في حلب ومجلة غرفة زراعة حلب .

ونشر في بعض الصحف الدمشقية ومنها : النصر والقبس والكفاح وألف باء وغيرها .

ونشر في مجلة المعرفة السورية عن رحلته إلى الين أيضاً .

وألقي محاضرة عثرت على نصها الكامل بين أوراقه ، وبقيت اهتمامات أحمد وصفي زكريا في الين حتى وفاته ، وقد كان عاقداً النية على إصدار كتاب عن

الين ، يدون فيه رحلته ومشاهداته ، فقام بجمع الكثير من المصادر وحاول العثور على مخطوطات ليستند إليها في كتاباته ، وقد وجدت في مخطوطاته الكثير من أسماء الكتب والمخطوطات ، كذلك ضمت مكتبته بعض الكتب النادرة عن الين ولا سيما تلك المتعلقة بالرحلات والزيارات ومنها بعض المصادر التركية وبعض كتب كان قد أصدرها بعض رجالات الدولة العثمانية الموفدين للين . كذلك قام بإجراء اتصالات محلية سواء على المستوى الرسمي في الدولة أم على المستوى الشعبي . وأخص بالذكر تلك الاتصالات التي تمت بينه وبين بعض رجال الفكر في الين فاستطاع الحصول على إذن خاص بالاطلاع على مخطوطات يمنية .

وقد عثرت على صورة رسالة مرسله من القاضي محمد الحجري إلى الشيخ حسين رنجي الواسعي لإطلاعه على مخطوطات يمنية نادرة مثل « روح الروح » وتاريخ الكبسي ونفحات العنبر وسواها ، وقد سمح له بنقل ما يريد من هذه المخطوطات شريطة الموافقة المسبقة على هذا النقل وهذه صورة الرسالة الهامة المؤرخة في ١٧ المحرم عام ١٣٥٥ هـ .

بسم الله
 حفظه
 حصن الله في شرح حسين بن علي
 رافضوا عرضوا
 الرجا و ان تطلعوا الا في
 العزيز و صفى يكة على توارىخ
 العيين الثمين مثل روح الودج
 و بنار رنج الكسبي و نار في سيد
 في محمد احسين في القلم و درر خور
 لا المحور العين و بغية المرید
 و نحو ذلك و كذلك المصنف الشريف
 العثماني الكوفي و عرفت الخطوط
 القديمه حتى اذا احب نقل
 في كتاب من ذلك شرايع
 في نقله و اعرضوا عليه عاترونه
 من كتب الادب و اشعار العاشقين
 و مولفاتهم في فن الادب و سكون
 لكم ملاك كرسى له ١٧٠٠ هـ
 احكم

واستمرت جهود زكريا ومتابعته لتاريخ ومصادر تاريخ الين حتى قبيل وفاته ، إذ عثرت على رسالة موجهة من سفير سورية في لندن جواباً عن رسالة كان قد أرسلها زكريا إليه طالباً مصادر عن تاريخ الين ، والسفير السوري هو السيد عبد الرحمن العظم ورسالته مؤرخة من لندن في ١٩٦٣/١/٢٩ ، أي قبل وفاة زكريا بعدة أشهر وتقول الرسالة :

حضرة الأخ العزيز الأستاذ وصفي زكريا الأكرم .

تلقيت رسالتكم بسرور بالغ وبعد انقطاع أخباركم عنا مدة طويلة . ولكن ما يبهج النفس أن نسمع أنكم بخير وأنكم قد عزمتم على مواصلة التأليف وخدمة الثقافة العربية بالكتابة عن بلد عربي عريق ، عن الين . غير أن الكتب التي ألفت عن الين خاصة نادرة باللغة الإنكليزية ، وأكثر ما يكتب عن هذا البلد يوجد في كتب تؤلف عن شبه الجزيرة العربية أو عن الشرق الأوسط ، كما أن في الموسوعة البريطانية مقالاً ذيل ببعض المراجع وقد أرفقت قائمة بها طياً . أما الحصول على هذه الكتب فأمر صعب جداً لأن طباعتها قديمة ، وقد نفدت ومن الممكن استعارتها من المكتبات العامة في دمشق أو في بيروت وأعتقد أن المجلس الثقافي البريطاني في بيروت قد يفيدكم في هذا الشأن .

فنأمل لكم التوفيق في هذا العمل القيم وأن نسمع عن أخباركم السارة دوماً والسلام .

لندن ١٩٦٣/١/٢٩ .
السفير عبد الرحمن العظم

ويصف أحمد وصفي زكريا أسباب الرحلة إلى الين ويعرض موجزاً سريعاً عن أعماله فيها كما يلي استناداً إلى مقدمة محاضراته التي نوهنا عنها فقال :

طوحت بي الأقدار في مطلع عام ١٩٣٦ إلى الين الذي كان يوصف بكلمة

(الداخـل إليه مفقود والخارج مولود) . وكان السبب في ذهابي أن بعض رجالا العرب الأفاضل المهتمين بالقضايا القومية العربية ذهبوا قبلي بسنة إلى اليمن لزيارة المرحوم المتوكل على الله الإمام يحيى حميد الدين الذي كان وقتئذ ملك اليمن . وكان هذا الإمام شديد التسك بقاعدة (ليس في الإمكان أبدع مما كان) شديد التعلق بعقلية عصور الانحطاط الماضية ، فأخذ أولئك السادة خلال زياراتهم يحدثونه ويخبرونه بأن الدنيا قد تغيرت عما يعرفه هو ، والأمر قد تطورت ، وأمم الشرق والغرب قد تقدمت وسبقتنا بمراحل ، فعلمنا أن نلحقها ونحذو حذوها فيما ينفع ويضر . ونصحوه وطالبوه في جملة ما طالبوه أن يلتفت إلى إصلاح مرافق بلاده الفقيرة وموارد عيشها الضئيلة ولا سيما الزراعة التي لا مورد لشعب اليمن غيرها ، على أن يرسلوا له مهندساً زراعياً يعمل في هذا الإصلاح . وبعد لأي قبل رحمه الله هذا الرأي ، ولكنه اشترط أن يتم هذا العمل المحتاج إلى عدة سنوات خلال ستة أشهر حددها ولم يزد . ولما رجع أولئك السادة وقع اختيارهم علي وكلفوني . وبعد مداولات قبلت بهذه المجازفة ، وذهبت وقت في تلك المدة القصيرة - على الرغم من العراقيل والمثبطات التي صادفتها - بأقصى ما يمكن أن يؤتي في خدمة الزراع والغرس واستطعت أن أترك هناك آثاراً خالدة من نباتات وأشجار مثمرة وغير مثمرة ما لم يكن لليمانيين عهد بها . جلبتها من سورية وفلسطين ومصر وإيطالية ، وقدت تلاميذ يمينيين علمتهم ودربتهم في متابعة ما شرعت به . ثم رجعت عند انتهاء المدة المذكورة ، أحمد ربي على الخلاص من الإمام ، وخلال أعمالي الزراعية المذكورة في صنعاء والأقضية والنواحي التي مكنوني من زيارتها كنت أتنسم المعلومات الجغرافية والتاريخية والعمرانية والاقتصادية وغيرها . فحصلت على نبذ منها نشرتها بعد رجوعي في بعض المجلات العلمية المصرية والسورية . وقد حفزني إلى ذلك النشر وهذه المحاضرة كون اليمن لا يزال مجهولاً في جلته عندنا معشر مثقفي العرب ، ولم يكتب في اللغة العربية

كتابات كافية عن جغرافيته الطبيعية والبشرية ، وعن أحداثه وكوارثه الكثيرة التي وقعت في العهود الأخيرة . على حين ألف بعض قواد الأتراك وأطبائهم في زمن وجودهم هناك عدة كتب ورسوموا خرائط . وقام قبلهم منذ مئتي سنة بعض المغامرين من الرواد الإفرنج ولاسيا الإفرنسيين والإنكليز والألمان .

كان سبب رحلة أحمد وصفي زكريا إذن بعض رجالات العرب الذين اختاروه لتقديم الخبرة والمشورة في ميدان الزراعة للحكومة اليمنية آنذاك .

وقد تم الاتفاق بين الحكومة اليمنية وزكريا عن طريق اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي العام ، وكان رئيسه الحاج أمين الحسيني مفقي الديار الفلسطينية وهو الذي قام بتوقيع العقد مع زكريا نيابة عن الحكومة اليمنية ، وتقدم فيما يلي صورة عن مسودة الاتفاق .

صورة مسودة عقد زكريا مع الحكومة اليمنية

بناءً على الطلب والاعتماد الواردين من قبل صاحب الجلالة الإمام يحيى حميد الدين ملك اليمن المعظم إلى صاحب السماحة الحاج أمين أفندي الحسيني مفقي الديار الفلسطينية ورئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي العام بشأن الاتفاق مع مهندس زراعي وإرساله ليشرف على الأعمال الزراعية في القطر الياباني ، فقد جرى الاتفاق بين كل من صاحب السماحة المفقي المشار إليه فريقاً أولاً والمهندس الزراعي وصفي بك زكريا فريقاً ثانياً على المواد الآتية :

١ - يتعهد الفريق الثاني بالذهاب إلى صنعاء اليمن والاشتغال فيها بالأعمال الزراعية الفنية الموافقة لحاجات ومطالب القطر الياباني والسعي بتعليم ونشر

أساليب الزراعة الحديثة وطرق العناية بالغراس والزررع النافعة .

٢ - يتعهد الفريق الأول إلى الفريق الثاني بأن يسهل له أسباب الأعمال المذكورة في المادة الأولى ويلبي مطالبه المؤدية لتحقيقها في أوقاتها ، ويمده بالأموال والرجال الكافية لذلك .

٣ - يتعهد الفريق الثاني بأن يبذل قصارى جهده في القيام بالأعمال الفنية المطلوبة منه في المادة الأولى ، وذلك بنسبة التسهيل والإمداد المذكورين في المادة الثانية بحيث لا يكون مسؤولاً عن التعطيل الذي قد يحدث من جراء التأخر بها .

٤ - إن مدة توظف الفريق الثاني في هذه المهمة ستة أشهر فقط . على أنه عند انتهاء هذه المدة إذا وافق كل من جلالة الإمام المعظم والمهندس الموما إليه على تمديدها تمدد حسب الاتفاق الذي ينظم مجدداً إذ ذاك .

٥ - يتعهد الفريق الأول أن يؤدي إلى الفريق الثاني راتباً شهرياً قدره خمس وعشرون ليرة ذهبية عثمانية ، أو ما يعادلها من الورق النقدي الإنكليزي أو المصري بسعره يوم الدفع ، على أن يبدأ استحقاق قبضه هذا الراتب من يوم وصوله إلى صنعاء .

٦ - يتعهد الفريق الأول أن يؤدي إلى الفريق الثاني مقدماً وعند الذهاب نفقات سفره من دمشق إلى صنعاء في الدرجة الأولى في السيارات والقطارات والبواخر ، ويتكفل بإعطائه النفقات نفسها عند انتهاء خدمته ورجوعه من صنعاء إلى دمشق .

٧ - إذا كلف الفريق الأول الفريق الثاني السفر من صنعاء إلى أي بلدة أو قرية في داخل البلاد اليمانية أو خارجها لأجل الأعمال المتعلقة بوظيفته ، فعلى الفريق الأول أن يؤدي إلى الفريق الثاني نفقات سفره وتجوله في الرواحل

والسيارات ثم تعويض انتقال قدره عن كل يوم نصف ليرة ذهبية عثمانية في خارج البلاد اليمانية وخمسها في داخلها [أي خمس الليرة الذهبية في داخل الين] .

٨ - إن الفريق الثاني مكلف بإنهاء مدة التوظيف المذكورة في المادة الرابعة ولا يمكنه تقصيرها إلا لعذر صحي هام . وفي هذه الحالة يتقاضى رواتبه إلى حين يوم مغادرته صنعاء فضلاً عن أجره الطريق المذكورة في المادة السادسة .

٩ - إذا رأى الفريق الأول أن ينهي خدمة الفريق الثاني قبل ختام المدة ستة الأشهر المذكورة فعليه أن يدفع إلى الفريق الثاني راتب شهرين من الأشهر القادمة فضلاً عن أجره الطريق المذكورة في المادة السادسة .

١٠ - يتعهد الفريق الأول أن يخصص إلى الفريق الثاني في صنعاء محلاً في أحد المباني الأميرية ليأوي إليها خلال أوقات عمله ، على أن يكون مفروشاً بما يكفي ، ويخصص له أيضاً خادماً لمعاونته في الأعمال الرسمية ، ودابةً صالحةً لركوبه وتجوّاله في الأراضي والأماكن التي يدعى للعمل فيها .

١١ - عقيب تصديق هذه المواقلة من الفريقين المتعاقدين يدفع الفريق الأول إلى الثاني في القدس راتب شهرين كسلفة ينفقها على تهيئة لوازم سفره ويدفع أيضاً أجره ذهابه المنصوص عنها في المادة السادسة ، وعلى الفريق الثاني بعد استلامه ذلك أن يتوجه إلى القطر اليماني بما يمكن من السرعة .

وبقي الحاج أمين الحسيني مرجعاً لكل خلاف أثناء وجود زكريا في الين كما سير معنا في يوميات زكريا في الين ، وكما يتبين ذلك من مسودة الرسالة الموجهة من قبل زكريا إلى الحاج الحسيني المؤرخة في ١٩٣٦/٣/٣ لـ ١٠ ذي القعدة ١٣٥٥ هـ :
حضرة صاحب السيادة والسماحة أمين أفندي الحسيني مفتي الديار الفلسطينية حفظه الله .

تحيات واحترامات وافرة . وبعد فقد مضى علي في صنعاء الين شهران كاملاً لم أتلّق خلاهما من الأخ علي أفندي الرشدي سكرتير مكتب المؤتمر

الإسلامي ، أقل جواب على رسائل العديدة التي بعثتها من القاهرة ومن عدن ومن صنعاء ... وقد كنت وضعت في رسالتي من عدن المؤرخة / ٢١ كانون الأول / ١٩٣٥ الأوراق المثبتة للمبالغ التي أنفقتها في سبيل شراء الأغراس والأدوات والبزور العائدة لمهتي الزراعية في اليمن .. وهي مع قائمة مفصلة لنفقات سفري ولنفقات اللوازم المذكورة معاً ، وقد ذكرت لحضرتي في رسالة ثانية تاريخها ٧ كانون ثاني ١٩٣٦ أنه بقي لي في ذمة المكتب ٢٩٢,٥ قرشاً مصرياً فوق مبلغ المئة جنيه فلسطيني الذي كنت استلمته منه ، ورجوته أن يتكرم بإرسال هذا المبلغ بالبريد أو بواسطة أخرى إلى ولدي غسان زكريا في دمشق ..

ولما تأخر حضرتي عن إجابتي بالكلية خابرت الأخ منيف أفندي وشكوت إليه هذا الإعراض الذي نالني من علي أفندي فنالني من هذا أيضاً مانالني من ذاك ، وكتبت إلى حضرة الأستاذ الجليل الشيخ إسماعيل الحافظ بهذا المال ، فلم يكن حظي من حضرتي أحسن من الآخرين المشار إليهما ...

وربما كان الأولى أن أرسل سيادتكم مباشرة منذ مغادرتي ربوعكم ؛ لولا ملاحظتي أن هذه السكرتارية مكلفة بملاحظة معروضاتي ونفقاتي حتى النهاية ، وملاحظتي أيضاً كثرة انشغال ساحتكم بأمر هي أهم وأقدم من هذه المسائل البسيطة ، وخشية تصديقكم وسط أعمالكم الكثيرة ..

أما وإن الأخ علي أفندي أوجب لي التأثير والانزعاج البالغين من إعراضه عن محادثتي وإهماله مخاطبتي بأمر هي من خصائصه الأساسية جئت بكتابي هذا ألفت نظر ساحتكم لذلك وأرجو أن تتفضلوا على الأقل بإمداد عائلي في دمشق بإرسال المبلغ المذكور أعلاه الباقي لي في ذمة المكتب ، بالنظر للحاجة الماسة التي وقعت بها بمناسبة الكوائن العصبية التي نشبت وما زالت ناشبة في دمشق ..

هذا ، وإن أعمالي التي أجريتها هنا منذ وصولي كنت شرحتها إلى الأخ منيف أفندي ، الذي لا بد أن يكون قد أبلغكم عنها ، وأزيد ساحتكم علماً بأنني

رجعت أمس من زيارتي الثانية في مختلف الأنحاء صحبة اثنين من أنجال جلالة الإمام ، وقد حصلت فوائد كلية من هاتين السياحتين اطلعت فيهما على معظم أحوال البلاد وحالاتها وقابلياتها الزراعية الاجتماعية و ... إلخ .

ولا أكتكم أن الحالة العامة إجمالاً ليست مما يبعث على الانشراح والاطمئنان ، على أنني فيما يخصني من الوجهة الزراعية مثابر على القيام بكل ما سوف يؤدي إن شاء الله لبقاء الأثر الطيب للعاجز ولما تحتم باعتراركم السبب الأصلي في ذلك ..

وختاماً ؛ تفضلوا بقبول فائق الاحترام وبتلبية رجائي بشأن إرسال المبلغ المذكور أعلاه إلى عائلتي المضطرة لذلك وأطال الله بقاءكم سيدي .

صنعا ١٩٣٦/٣/٣ الموافق ١٠ / ذي القعدة ١٣٥٥ هـ

قام أحمد وصفي زكريا بنقل أشجار ومزروعات تصلح للبيئة اليمنية وقام بتدريب كادرفني في هذا السبيل . فقد عثرت على ورقة صغيرة تبين مناطق زرع أغراس البرتقال اليافاوي (على سبيل المثال) كما يلي :

أغراس البرتقال اليافاوي المرسة باليمن	
أمكنة الغرس	
٩	مدنة
١٥	طاجور
٨	وادي مور
٥	وادي زوري
٦٧	الغلاية

وبقيت أخبار الين وزراعته الشغل الشاغل لزكريا ، ومن ذلك رسالة موجهة من أحد أصدقائه يجيب فيها على استفسار زكريا حول مزروعات الين وأحوالها مرسة من صنعا بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٣٩ وهذه صورتها :

صنعاء ١٦/٥/١٩٣٩ الموافق ٢٦ / ربيع الأول ١٣٥٨

عزيزي الأستاذ وصفي بك

تحية واحتراماً : تلقيت بعد الشوق رسالتكم وكانت لي مبعث الذكرى إلى تلك الاجتماعات الأخوية الصادقة ، وكل أمني الرجوع بالوقت المناسب كي نعيد ما كنا عليه ، ولكن هيهات فالقوم هنا لا يعلمون للوقت ثمناً ولا للواجب وجوداً ، فهم في وادٍ ، ونحن في وادٍ ، ومع ذلك لا أتمكن من إغماط حقهم في وجود القابليات التي إذا هديت ووجهت إلى الطريق المستقيم رجي منها الخير وأنت أدرى بهذه البلاد .

حينما وصلت صنعاء كنت مستقلاً في أعمالي ولكن بعد تشكيل وزارة الاقتصاد انضمت إلى (السيف علي) الذي أخرج من السجن حديثاً ، والحقيقة أنه خير أبناء الإمام ، إن هو إلا شعلة من الإخلاص والحمة ، وغيره على البلاد لا حدود لها ، أرجو أن يكون على يده من الأعمال ما يدفع هذه البلاد لكي تكون بمصاف البلاد الأخرى .

أخبرت سموه بسلامك وشكرك شكراً جزيلاً ، وأخبرني بوجود الأشجار التي غرسها في بيته ، وطلب مني مرافقته لرؤيتها وسيكون ذلك بكرة صباحاً . أما الأشجار الأخرى فتوزعة في بيت الجرموزي وبيت المسحار وفي المقام وفي دار السيف عبد الله وفي حمام العليل وفي الروضة والصافية والروض والإهجر وكلها مع الأسف في حالة يرثى لها ، وقد كلفت الأخ طلعت الخربوطلي بملاحظتها لأنه بعد السعي الحثيث تمكنا من إقناع الإمام بوجوب تعيينه مديراً للزراعة لمدة سنتين فعسى أن يتمكن من أداء واجبه بالوجه الأفضل .

أما وضع الين فلا شك من تغيره ولكن ذلك يحتاج إلى وقت ، وإلى صلاحيات لا يوافق الإمام على إعطائها لابنه الآن ، ومع ذلك فقد تحسنت

الأحوال وراجت الأفكار الحديثة ، ويؤمل انتشارها بشكل سيساعد على التقدم السريع ، ولا يسعني ذكر كل شيء عمل حتى الآن ، ولكنني أترقب الفرص للسعي إلى العراق كي أبحث لكم في كل شيء .

قدمت الكتاب إلى راغب بك فشكركم ، والحقيقة إنه لرجل فطن وذكي ، وقد غمرني بلطفه وشملي بأدبه ، وأنا بدوري أشكركم وأشكره على ذلك ، صحته الآن جيدة وقد بلغته سلامكم فانسر جداً وبقينا طول مدة زيارتي له في بحثكم ، وما لاقيتموه من عذاب في هذه البلاد المسكينة .

أرجو تقديم سلامي إلى جميع الإخوان وأتمنى لكم الصحة والموفقية .

المخلص

ويتبين من مجمل الرسائل التي قدم السيد زكريا صوراً عنها خلال حديثه عن يومياته في الين ، أن الحكومة الينية حينئذ ، لم تقدم التسهيلات اللازمة له ، ولم تقم بتنفيذ الاتفاق معه كما يجب ، وبقي له بعض الأموال التي لم يستطع قبضها حتى قبيل مغادرته الين .

تلك قصة رحلة زكريا إلى الين ومأساته فيها تجلت في مذكرات يومية كان سجلها المرحوم ، وهو في الين ، يصور فيها ما لاقاه وعاناه بنفسه أو شاهده بأمر عينيه .

وقد دعاني إلى جمعها وتنسيقها وتبويبها وإعدادها للنشر أني وجدت فيها صورة حية لفترة من الزمن كانت بعض أجزاء الوطن العربي - إن لم نقل كله - تعاني من التخلف ما تعاني ، ثم هاهي ذي اليوم تنهض من كبوتها لتزيل عنها بكل ما أوتيت من قوة آثار التخلف كلها ، فتحو الظلمات بنور الحقيقة ، يرفع لواءها الإنسان العربي حيث وجد .

فتسجيلاً للحقيقة ، وإكباراً وإعجاباً بالنهضة والجهود المبذولة في سبيلها وجدت من واجبي أن أحيي هذه المذكرات وأضم بعضها إلى بعض وأنسقها وأبويبها لتخرج إلى الناس في كتاب .

وكان لا بد من وجود هفوات وفجوات في بعض المعلومات وأسماء الأماكن والأعلام التي لم يتيسر لي الاهتداء إلى حقيقتها ، وصاحب الكتاب قد مضى إلى ربه تعالى ، والمصادر عن الين قليلة بين يدي ، فقام الأستاذ أحمد راتب حموش مشكوراً ، بتكليف من دار الفكر بمراجعة الكتاب وتنقيحه وصنع فهرسه ، كما اتصلت الدار بالأستاذين الجليلين مطهر الإرياني وعبد الفتاح الأنسي ، وهما من أهل الين ويعملان في السفارة اليمنية بدمشق ، ففضلوا جزاها الله خير الجزاء بقراءة الكتاب وإيضاح بعض ما غمض فيه . وقد أشرنا في الحواشي بالرمز (م إ) إلى تعليقات الأستاذ الإرياني وبالرمز (ح) إلى تعليقات الأستاذ حموش .

ولي وطيد الأمل أن يغفر لي القراء الكرام ما قد يرونه من هنات في الكتاب ، وأن يزودوا الناشر بملاحظاتهم القيمة لعلها تجد سبيلها إليه في طبعة قادمة .

ولا يسعني إلا أن أشكر لدار الفكر وكل العاملين فيها ما بذلوه من الجهد في تنقيح وإخراج هذا الكتاب .

والله ولي التوفيق

أحمد غسان سبانو

الجمعة ٣ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ
١٥ تشرين الثاني ١٩٨٥ م

مقدمة المؤلف

غرائب اليمن كما شاهدها

طوحت بي الأقدار في مطلع عام ١٩٣٦ إلى اليمن الذي كان يوصف بكلمة : (الداخل إليه مفقود والخارج مولود) ، وكان السبب في ذهابي أن بعض رجال العرب الأفاضل المهتمين بالقضايا القومية العربية ذهبوا قبلي بسنة إلى اليمن لزيارة المرحوم المتوكل على الله الإمام يحيى حميد الدين الذي كان وقتئذ ملك اليمن . وكان هذا الإمام شديد التمسك بقاعدة : (ليس في الإمكان أبدع مما كان) ، شديد التعلق بعقلية عصور الانحطاط الماضية . فأخذ أولئك السادة خلال زياراتهم يحدثونه ويخبرونه أن الدنيا قد تغيرت عما يعرفه هو ، والأمور قد تطورت ، وأمم الشرق والغرب قد تقدمت وسبقتنا بمراحل ، فعلينا أن نلحقها ونحذو حذوها فيما ينفع ويضر . ونصحوه وطالبوه في جملة ما طالبوه أن يلتفت إلى إصلاح مرافق بلاده الفقيرة وموارد عيشها الضئيلة ولا سيما الزراعة التي لا مورد لشعب اليمن غيرها . على أن يرسلوا له مهندساً زراعياً يعمل في هذا الإصلاح . وبعد لأي قبل رحمه الله هذا الرأي ، لكنه اشترط أن يتم هذا العمل المحتاج إلى عدة سنوات خلال ستة أشهر حددها ولم يزد .

ولما رجع أولئك السادة وقع اختيارهم عليّ وكلفوني ، وبعد مداولات قبلت بهذه المجازفة وذهبت وقت في تلك المدة القصيرة - على الرغم من العراقيل والمشبطات التي صادفتها - بأقصى ما يمكن أن يؤتي في خدمة الزراع والفرس ، واستطعت أن أترك هناك أثراً خالداً من نباتات وأشجار مثمرة وغير مثمرة مما لم

يكن لليانيين عهد بها ، جلبتها من سورية وفلسطين ومصر وإيطالية وقدت تلاميذ ينيين علمتهم ودربتهم في متابعة ماشرعت به . ثم رجعت عند انتهاء المدة المذكورة أحمد ربي على الخلاص من الإمام .

وخلال أعماله الزراعية المذكورة في صنعاء والأقضية والنواحي التي مكنوفي من زيارتها كنت أتسم المعلومات الجغرافية والتاريخية والعمرانية والاقتصادية وغيرها . فحصلت على نبذ منها نشرتها بعد رجوعي في بعض المجلات العلمية المصرية والسورية . وقد حفزني إلى ذلك النشر وهذه المحاضرة كون الين لا يزال مجهولاً في جملته عندنا - معشر مثقفي العرب - ولم يكتب في اللغة العربية كتابات كافية عن جغرافيته الطبيعية والبشرية وعن أحداثه وكوارثه الكثيرة التي وقعت في العهود الأخيرة . لكن ألفت بعض قواد الأتراك وأطبائهم في زمن وجودهم هناك عدة كتب ورسموا خرائط . وقام قبلهم منذ مئتي سنة بعض المغامرين من الرواد الإفرنج ولا سيما الإفرنسيين والإنكليز والألمان والطلين وجازفوا بأرواحهم ، وجاسوا خلال الين وألفوا عنه ونشروا كتباً قيمة كثيرة في لغاتهم . وكانوا يتهافون خاصة على زيارة مدينة مأرب عاصمة بلقيس ملكة سبأ المذكورة في التوراة والقرآن الكريم ، والشبيهة بمدينة تدمر عاصمة زنوبيا عندنا .

وقد قتل بعض هؤلاء الرواد في طريقه إلى هذه المغامرة ، وراح ضحية البحث العلمي في تاريخ الين . والجدير بالذكر أن الرائد العربي الوحيد الذي كان السباق بين مثقفي العرب في بلوغ مأرب والكتابة عنها وعن سدها هو مواطننا المجاهد السيد نزيه المؤيد العظم في سنة ١٩٣٦ ، ولحقه بعد بضع سنوات عدد من المصريين المختصين في الآثار وكتبوا ونشروا أيضاً .

وكنت أثناء تجولي واتصالي بمختلف طبقات اليانيين أسمع همساً ولفظاً وشكاوى مرة من قسوة الإمام يحيى وجوده وتخلفه وفوضى إدارته ، هو وأبنائه الذين ولاهم ما لا يستحقون من الوزارات والإمارات ، حتى صرت أعتقد أن

النفوس هناك مكتئبة والخواطر مضطربة ، وأن الين تتخض عن ثورة سوف تطيح بهذا الإمام الذي دام عهد ملكيته ثلاثين سنة أحاط الين بسور حديدي أغلق به منافذ النور ، وخنق الأنفاس ، وجعل الين متأخراً في كل شيء ومحتاجاً إلى كل شيء منعزلاً منكشاً ومجهولاً من كل البشر .

وقد صح ظني وحدث بعد حين ما حذرته وثار طلاب الإصلاح سنة ١٩٤٨ واغتالوا الإمام يحيى ونصبوا غيره . لكن ابنه أحمد - وقد كان جباراً بطاشاً أكثر من أبيه ، ومقدوح الخصال والأفعال - أسرع واستنفر القبائل الموالية له . وهؤلاء أتباع لكل ناعق ولاسيا إذا أباح لهم مدينة صنعاء . فهجم هؤلاء على صنعاء وقتلوا وسلبوا ونهبوا وقلبوا تلك الثورة المرتجلة .

واستلم أحمد منصب الإمامة والملكية وقطع رؤوس الذين ثاروا عليه . وكان بينهم عدد من الشبان المتعلمين خارج الين . وبقي أربع عشرة سنة يسير على نهج أبيه السقيم بل كان أشد سقماً وتخلفاً وطيشاً واستخدماً للجن حتى سموه : (أحمد الجن) .

ولما طفح كياله جرت محاولتان لاغتياله باءتا بالفشل قطع فيها رؤوس أخوين له ، وظل يعيش في جو من كراهية الشعب الياني ومقته وتذمره حتى مات في عامنا هذا غير مأسوف عليه ، وبموته انفجر البركان المحتقن وحيل بين ابنه وولي عهده (محمد البدر) وبين ما يشتهي من التربع على عرش الإمامة والملكية ، مع علمه بأن عصرنا الحاضر هو (عصر الديمقراطية) وهو (عصر الجمهوريات) وهو عصر حكم الشعوب بالشعوب (لابلحكم الفردي ودعاوى الحسب والنسب) .

أجل ياسادتي : حم القضاء على أئمة الين بعد أن دام سلطانهم الروحي والزماني أحد عشر قرناً ، وطاح آخر عرش من عروش جبروتهم واستغفلهم

منصب الإمامة وقداسته في استمتاعهم وملء خزائنهم في غير صالح الشعب اليماني المنكود الحظ الذين كانوا نكبة عليه وأي نكبة .

إن هذا الشعب العربي القحطاني النبيل كان في عهد أسلافه المعنيين والسبئيين والحيريين على قدر كبير من الحضارة والثقافة ورفاهية العيش ورقى الزراعة والتجارة حتى سمى الرومان بلاد الين « العربية السعيدة » ، وشهد بذلك القرآن الكريم في سورة سبأ حين قال ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ [سبأ ١٥/٣٤] . وناهيك بالآثار والأطلال والأعمدة والأسوار الموجودة في بعض مدن الين كأرب وصرواح ومعين وشبوة وبيحان البيضاء والسوداء وغيرها . وناهيك بالسدود العظيمة التي كانت تخزن مياه الأمطار المنحدرة من الجبال بين الأودية . وناهيك بالمزارع الزاهرة التي كانت تلك السدود تجري من تحتها الأنهار . وبالنقوش وكتابات الحرف المعروف بالسند . وهي كثيرة كنت أصادفها خلال تجوالي في ربوع الين .

ولما جاء هؤلاء الأئمة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري وتحكموا في الين باسم الشرافة والإمامة وقداستها ، أهملوا تلك الآثار والأعمال ، ونشروا دواعي الخمول والتأخر التي منها الحث على زراعة القات ، ولم يخلف واحد منهم أي أثر محمود عمراني أو اقتصادي أو ثقافي حتى أوصلوا الين إلى حالة يرثى لها استحق لها اسم « العربية الشقية » ، وجعلوا تاريخهم في الين الممتد منذ أحد عشر قرناً سلسلة من المحازي والمآسي ويا للأسف .

ولما بلغ السيل الزبى قام بعض قواد الجيش اليماني الذين شاءت الأقدار أن يتعلموا ويتدربوا من قبل ، خارج الين في بلاد عربية أخرى ، ويروا النور ويدوقوا طعم التحرر والتقدم ، ويتتبعوا الانقلابات العسكرية التي جرت في دمشق والقاهرة وبغداد ... ودائماً :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

قام هؤلاء القواد بثورة جبارة في ٢٦ أيلول الماضي فاستطاعوا أن يزيحوا محمد البدر آخر أولئك الأئمة . وحذر أولئك القواد أن يشابه محمد البدر أباه أو جده المذكورين ويكون الفرع طبق الأصل ، فدكوا صياصي الظلم والاستبداد والرجعية التي كان الين يشكو منها ويئن ، وأسسوا جمهورية عصرية التكوين دعوها (الجمهورية العربية اليمنية) وأعلنوا أنهم سوف يوقفون المجتمع الياني من رقدته التي طوها الأئمة ، وأبقتة في مؤخرة الشعوب العربية ، بل شعوب العالم كلها بسبب جور الأئمة وضغطهم وتخلفهم . وأنهم سوف يدفعون هذا المجتمع نحو الحركة والسير في ركب الحضارة الحديثة . واعترفت حتى الآن سبع وعشرون دولة بين عربية وأجنبية بهذه الجمهورية الفتية وستلحقها بقية الدول إن عاجلاً أو آجلاً . وسيفوز الين بما قاله الشاعر أبو القاسم الشابي :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

وقد كانت جمهوريتنا السورية في طليعة هؤلاء المعترفين لوثوقها بأن الثورة اليانية كانت على حق ونتيجة احتقان وانفجار . وفي اليوم الثاني عشر من شهر تشرين الثاني الماضي ألقى وزير الإعلام السوري الحالي خطاباً في النادي العربي بدمشق بمناسبة الاحتفال بذكرى وعد بلفور واغتصاب فلسطين أكد فيه موقف سورية الواضح من الثورة اليانية فقال :

إن حكومتنا وشعبنا وقفنا بلا تردد إلى جانب الثورة اليمنية ، لأننا نعتبرها رفضاً للتخلف وطموحاً مشروعاً إلى التحرر والتقدم والسير في طرق التقدم الفعال . ثم قال : إننا لم نقف ولن نقف ضد الثورة وضد التقدم وضد إرادة الشعب الياني في أن يكون سيد مصيره وحاكم أمره والمرجع الأول والأخير لسيادته وعزته وكرامته ... إلخ .

إنني ياسادتي انسياقاً بهذا الاعتراف السوري الرسمي أردت أن أشرح لكم نبذاً مما أعرفه من جغرافية البلاد اليمنية وتاريخها المجهولين لدى كثير من مواطنينا ، وأعدد الدواعي التي أوجبت حدوث هذه الثورة ، راجياً المولى عز وجل أن ينهيها على خير وسلامة ، ويحق الحق ويزهق الباطل ، ويحول دون إهراق الدماء العربية الزكية ودون تطور هذه الثورة إلى حرب واسعة النطاق تعمل فيها المصالح الأجنبية الاستعمارية عملها بأكف عربية .

أقول : لقد أعلن أولئك القواد من محطة إذاعة صنعاء يوم وثبتهم أسباب هذه الوثبة ، وبثوا الأهمم وشكاوهم العديدة مما كانت تعانيه الإدارة وفوضى الأعمال وقطع الرؤوس والشنق والخنق والتكيبيل بالقيود الحديدية والسجن بها مدى الحياة دون محاکمة ولا تحقيق وغيرها من المخازي والمآسي التي كان أولئك الأئمة الطواغيت يصبونها على الشعب اليمني المغلوب على أمره . وكل ما عددوه كان صحيحاً بل أقل من صحيح على ما يعرفه ويشهد به كل من زار اليمن مثلنا من عرب وأجانب ورجع كاسف البال حزيناً أسفاً على هذا القطر العربي العزيز القابل لكل عمران وازدهار لو وجد عقولاً نيرة ونوايا خيرة .

ولا ريب في أن أهل اليمن في مدنه وقراه قد تنفسوا الآن الصعداء لخلاصهم من الكابوس الثقيل الذي كان جاثماً على صدورهم . وابتهجوا أي ابتهاج ، والتفوا حول جمهوريتهم العتيدة يؤيدونها ويدافعون عنها وينصرون الحق على الباطل . وقابلت الشعوب العربية كلها ثورة اليمن بالتأييد ورجاء النصر والتوفيق ، لأن هذه الشعوب تريد أن ينهض شقيقها اليمن من كبوته ويسحق الماضي البعيد الأسن ، ويلحق ركب الحضارة العالمية الذي تأخر عنه كثيراً ليعتزوا به ويفخروا .

وللذين أيها السادة لدينا نحن السوريين ذكريات مؤلمة وانطباعات رهيبة يعرفها المسنون الذين أدركوا أوائل قرننا الماضي . فقد كانت بلاد اليمن توصف

بأنها مقبرة الجيش العثماني في ذلك الحين . وهذا الجيش إن كان نصفه تركياً من أبناء الأناضول فنصفه الثاني كان عربياً من بلاد الشام (سورية وفلسطين ولبنان) . فقد كانت تذهب من بلادنا العساكر كتائب وراء كتائب ، وجموع الأفراد الجديدة أفواجاً بعد أفواج . فلا يرجع منها إلى موطنه بعد خدمة أربع أو خمس سنوات إلا الثلث أو الربع وربما أقل . ونذر من بين هؤلاء الراجعين من لم يكن عليلًا أو هزيلًا أو مشوهاً بعاهة . كل ذلك من جراء الحروب والمعارك والأمراض وتبدل المناخ وتقص العناية وغيرها من الأسباب التي كانت في أواخر العهد العثماني تفتك بالجنود الذاهبين . فما من بلدة أو قرية في بلادنا العربية الشامية إلا تذكر الين بالأسى لأن لها هناك عشرات وربما مئات من الشهداء والمفقودين والمعلولين والمشوهين الذين راحوا ضحية ذلك العهد المشؤوم ، يقابلهم مثل هذا العدد أو أكثر من أبناء الين الذين كان الأئمة يستغلون سذاجتهم وعصبيتهم ويستفزونهم للوثوب على الدولة ومناجزتها القتال والعراك . لا لأجل صالح الين العام بل لكي يستعيد لهم سلطانهم الروحي والزمني ، ويجبوا الضرائب والصدقات ويكنزوا الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله والوطن .

أجل إن كثيراً من ضباطنا وقوادنا السوريين القدامى عملوا في الين أيام العهد العثماني ، وخاضوا معاركه وقاسوا شدائده ومرائره ، فمنهم من استشهد ودفن هناك ، ومنهم من رجع بعد لأي وشقاء طويلين ، فأدركنا من هؤلاء العقيد زكي العظيمة والعقيد عارف التوام والمقدم رشدي الجبان والمقدم كامل العشي وغيرهم . كما أدركنا من الأحياء العميد تحسين العنبري الذي حاول تنظيم الجيش الياني دون جدوى . كما رجع ينتابه المرض ودواعي الموت بسبب هذه الخدمة المرحومان أمير اللواء تحسين الفقير وأمير اللواء مصطفى وصفي السمان ، ويضاف إلى هؤلاء عدد كبير من السوريين المدنيين رجال الإدارة أو التعليم أو القضاء الشرعي أو الطب رحمهم الله جميعاً .

هذا والحديث عن شؤون الين وشجونه وغرائب مناظره ومآسيه ، والين كله غرائب ومآسي ، حديث طويل عريض لاتتسع له محاضرة واحدة . ويكفي أن أذكر لكم غيضاً من فيض فأقول : إنك لو هبطت اليوم الين لرجعت حالاً القهقري ، ووجدت نفسك أمام مشاهد تاريخية وأوضاع اجتماعية قديمة تعود إلى ما قبل قرن أو قرنين . فكل شيء هناك لا يزال من الطراز الذي أكل الدهر عليه وشرب ، فالجلوس والالتكأ على الحشايا والمساند لا على الكراسي ، والطعام على السطاط الممدود على الأرض لا على الموائد ، والأثاث في البيوت والثياب والأزياء والهيئات والعادات والتقاليد لا تزال كما كان يتحدث عنه أجدادنا ، وقد صارت في بلاد العالم مما يعرض في المتاحف الأثرية .

ولا تزال بلاد الين بلا مدارس عصرية عالية أو ثانوية وبلا معامل ومصانع وبلا أطباء بشريين أو بيطريين وبلا صيدليات ومستشفيات إلا ماندر ، والموجود منها في بعض المدن بلا وسائل وبأدوية كاذبة ، والمرض هناك إما أن يشفى الفقير بقدره قادر أو يموت . ومن ثم كانت الأمراض منتشرة والوفيات كثيرة ولا سيما بين الأطفال ، وليس هناك من الصحف سوى جريدة صغيرة اسمها (الإيمان) تصدر في الشهر مرة . ولولا أن الإذاعة قد دخلت منذ بضع سنوات لبقوا في عزلتهم ورقدتهم لا يدرون من أمور الدنيا شيئاً .

وليس هناك محاكم نظامية ولا دوائر رسمية أصولية ولا دستور ولا حياة ديمقراطية ولا مجلس نيابي يمثل الشعب ويتحدث عن مصائبه ومطالبه . والحكم كله أوتوقراطي (استبدادي مطلق) وثيوقراطي (روحاني) غير مستند إلا على إرادة فرد واحد هو الإمام الذي هو على حد تعبيرهم (طاعته من طاعة الله ومعصيته من معصية الله) . فالإمام يتدخل في كل كبيرة وصغيرة وفي أعظم الأمور وأحقرها ، والإمام هو الين والين هو الإمام .

وعلى الرغم مما ذكرته ففي الين وعند شعب الين محاسن كثيرة تستحق

الذكر ، وتدل على أن الين قابل لكل عمران وازدهار ، فعاصمة الين صنعاء مثلاً في نجد منبسط وسط منطقة الجبال العالية . ترتفع عن سطح البحر ٢٣٦٠ متراً . وهي ذات مناخ جاف صحي وهواء سَجَسَجٍ^(١) عليل ، لا تزيد درجة الحرارة فيها على ٢٥ صيفاً ولا تهبط إلى أكثر من درجة أو درجتين فوق الصفر شتاءً ، وهي مدينة كبيرة بقدر حص أو حماة عندنا . وتشبه دمشق بعض الشبه لوجودها في سفح جبل شاهق اسمه (تقم) نظير جبل قاسيون عندنا وأعلى منه ثلاث مرات ، وفيها دور وقصور شاهقة ذات ثلاث أو أربع طبقات ، وجوامع ومآذن مرتفعة وأسواق ومتاجر وحدائق وحمامات ومدارس ومبانٍ حكومية وثكنات ومستشفيات عسكرية مما أبقاه العهد العثماني .

وفي مدن الين شعب لطيف ذكي له كل الاستعداد للتطور والتقدم - لو وجد من يحكمه بالعدل والإحسان وسداد الرأي - وكثير من مراكز الأفضية والنواحي يشملها هذا الوصف الذي ذكرته .

واليانيون وأخص بالذكر أهل القرى أرباب الفلح والزرع الذين يسمونهم هناك (قبلين) هم من أشجع الناس وأصبرهم على تحمل المشاق والمتاعب ، وأبرعهم في حروب العصابات في الجبال . ينطلقون ويقفزون في المرتفعات والمنحدرات كالفهود . فلا تشعر كيف نبتوا من بين الصخور ومخابئ القلاع والوعور . وهم يحسنون الكر والفر والكون والتحصن والرمي بالبنادق والطعن بخناجرهم المعقوفة التي يسمونها (جنبيات) . وقد صاولوا الجيش العثماني وأرهقوه طوال عشرات السنين على الرغم من شهرته بالبسالة والجلادة وتفوقه بالمدافع والوسائل الحربية .

وبعد ذهاب العثمانيين عقيب الحرب العامة الأولى وتفرد الإمام يحيى بحكم الين كله أنشأ جيشاً شبه نظامي مؤلفاً من جنود مرتزقة سماه (الجيش المتوكلي

(١) سجسج : بوزن جعفر لاحرفيه ولا يرد . وفي الحديث : الجنة سجسج (ح) .

المظفر) ، لكن هؤلاء القبليين أتباع لكل ناعق ، لكل من يستغل فقرهم المدقع وجهلهم الطامي وسذاجتهم العارمة ، بالنقود والوعود الكثيرة البراقة . كان اعتاده عليه في توطيد الأمن الداخلي وقع ثورات القبائل . وهو أشبه بالدرك . وكان عنده جيش آخر غير نظامي اسمه (جيش الدفاع) مؤلف من أبناء القبائل ، كانوا يجلبونهم كل عام لمدة شهر يدربونهم ثم يصرفونهم . وقد تولى كبر هذا التدريب مواطننا المرحوم أمير اللواء تحسين الفقير . أما الجيش البراني فلا يدرب وإنما يسلط على المواطنين .

ولكن (الجيش المتوكلي المظفر) كان معدوم القيمة الحربية في المعارك الدولية ، لا لأن البسالة والجلادة تعوزانه ، بل لأنه كان بغاية التقدير والشح ، فراتبه ضئيل جداً لا يجاوز خمسة الريالات في الشهر له ولأسرته ، وبطنه جائع وجسمه غير مكتمل كما ينبغي ، عاري الساقين ، حافي القدمين ، عليه أن يمشي بهذا الحفاء في الجبال والأوعار مئات الكيلومترات ، وإذا ذهب بحملة عسكرية قطعاه على أهل القرى التي يحل بها ، وإذا أطلق الرصاص عليه أن يعيد الخراطيش إلى المستودع . وإذا مرض أو جرح فأجرة مداواته تقطع من راتبه الضئيل . هذا إلى أن ضباطه وقواده وسلاحه وعتاده من مخلفات الجيش العثماني القديمة . وليس في هذا الجيش إحالة على التقاعد . وكل جندي أو ضابط عليه أن يخدم من المهد إلى اللحد . وقد كنت أرى أثناء العرض الجدد والابن والحفيد في حظيرة واحدة ، ينشدون بملء أشداقهم (الزامل) أي النشيد الوطني (المارسلين) الياباني . وبينما كانت الأناشيد الوطنية في بلاد العالم تمجد الوطن وتبعث روح الحماسة والبطولة في أبناء الوطن وتحض على فداء الأرواح في سبيل الوطن كان (الزامل الياباني) يمجّد الإمام ويخوف ويهدد من تحدّثه نفسه بمعصية الإمام ، وقد بقي في ذاكرتي مما كانوا يجأرون به .

يامن يخالف أمر مولانا ويعصيه لا بد من يوم تراه

لا بد من يوم يشيب الطفل فيه والطير يرسي في سماء ... السخ
إن هذا النشيد الغريب العجيب الخيف يدلکم على ضروب الوعد والوعيد
والإرهاب التي كان الأئمة يسوسون شعبهم بها بدل العدل والإحسان اللذين أمر الله
بهما ، ويدلکم على أن الذين قاموا بالثورة الأخيرة لتحقيق الآمال التي كانت تجيش
في صدور أبناء اليمين كانوا على حق ، وكل الحق فيما فعلوه .



الحديث التاريخي

تاريخ اليمن قبل الإسلام وبعده

ليس تاريخ اليمن القديم وغموض أخباره مما شغل بال المتأخرين فحسب ، بل قديماً اضطرب مؤرخو العرب في أمره ، وحاروا في اختلاف قصصه ، واختلطت الحقائق بالخرافة في أخباره ، فقال ابن حزم بعد أن ذكر ملوك التبابعة : « وفي أنسابهم اختلاف وتخليط وتأخير ونقصان وزيادة » .

وقال ابن خلدون : « اختلفت أحوالهم واتفقت أسماء كثير من ملوكهم ، ووقع اللبس في نقل أيامهم ودولهم . فلنأت بما صح منها متحريراً جهد الاستطاعة ... إلخ » .

إلا أن هؤلاء المؤرخين رحمهم الله ، على الرغم من تردددهم وحيطتهم هذه ، لم تخل منقولاتهم من الاضطراب الذي منه شكوا ، فأدرجوا القصائد والأبيات المنسوبة إلى بعض ملوك بني حمير في وصف فتوحهم وانتصاراتهم الموهومة أو المبالغ بها جداً ، وهي منظومة باللغة العربية العدنانية ، في حين كانوا يعرفون أن لغة أولئك الملوك حميرية تختلف عن العدنانية إلى حد بعيد ، وقد دل على ذلك كلمة قديمة قالها أبو عمرو بن العلاء وهي : « مالسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا » كما دلت أيضاً الكتابات السبئية الحميرية المكتشفة حديثاً ، وهل ينظم المرء بغير لسانه ، ومن أين لأحدهم الذي أسموه تبعاً أبا كرب أن يقول :

لست بالتبع اليامي إن لم تركض الخيل في سواد العراق

أو تؤدي ربيعة الخرج قسراً لم يعقها عوائق العَوَاق

فأين الين من سواد العراق حتى تصل خيله وتركض فيه ، ناهيك بالصين
والمغرب اللذين زعموا أن غيره من التبابعة بلغها وافتتحها ، بل من أين له أن
يعرف من يعمر ثلاث مئة وعشرين سنة .

ومن أقوالهم : إن أول أجيال العرب من بني سام ، انتقلوا إلى جزيرة العرب
من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام ، فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيين . فهذا
القول يبعد عن رأي المحققين المتأخرين من جهة ويقرب من جهة أخرى ، فبعده
في أن المتأخرين يرون أن بني سام نشؤوا في قلب جزيرة العرب ، ولما ضاقت بهم
هذه الجزيرة هجروها وتدفعوا نحو أطراف العراق والشام ومصر ، وتركوا عيش
البداءة وتحضروا . وقربه في أن المتأخرين يرون أيضاً أن بعض بني سام وأسموهم
المعنيين - وسيأتي حديثهم - جلوا بعد حين من العراق لما زاحمهم الآريون ،
وجاءوا إلى الين موطن آبائهم الأولين وأنشؤوا فيه أول دولة عرفها التاريخ فيه ،
أي إن هؤلاء انتقلوا من حاضرة إلى حاضرة لا من حاضرة إلى بادية .

وفما يختص الين قالوا ما خلاصته : إن دولاً عديدة تعاورت الحكم في الين
من أقدم الأزمان ، منها العادية والقحطانية والحمرية ، فقوم عاد من بني سام
الذين تقدم القول إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيه بنو حام ،
وأن مواطنهم الأولى كانت بأحقاف الرمل بين الين وعلان وحضرموت والشحر ،
وأنهم اتصل ملكهم وعظم طغيانهم وعتوهم ، ولما بادوا خلفهم قوم لم يذكروا من
أين أتوا ، بل أسموهم (القحطانية) وحسبهم أجداد عرب الين ، ولقبوهم
بالعرب العاربة ، كما لقبوا قوم عاد بالعرب البائدة ، وقالوا : إن القحطانيين
اقتبسوا العربية من العاديين ، وإن من القحطانيين سبأ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان باني مدينة مأرب وسدها (كذا) .

وقد تأيد قسم كبير مما ذكره هؤلاء المؤرخون والجغرافيون بفضل مكتشفات علماء الآثار من الإفرنج الذين خاطروا بأنفسهم وتمكنوا من الوصول إلى بعض المدن والأماكن التاريخية في مشارق الين ، وأخصها مأرب وأماكن عديدة أخرى في أحقاف الرمل التي تقدم ذكرها ، ولا سيما في برية الجوف الممتدة من غربي تلك الأحقاف إلى سفوح جبال الين الشرقية - وفيها العاصمتان المذكورتان - ما برحت حتى الآن متمنعة على علماء الآثار لا يستطيعون أن يصلوا إليها ، ليعثوا وينقبوا في أطلالها ونقوشها ، وهي أمثال شبوة وروثان والعبر ووبار وهزم ويحان وبراقيش والبيضاء والسوداء وغيرها .

وبعض هذه المدن والأماكن إما مطمورة تحت الرمال السافية ، أو خاوية على عروشها تفعل فيه الأعاصير والهوام ، أو هو على خرابه يسكن بين أطلاله أعراب هج لا يدينون لسلطة ماحق ولا لحكومة صنعاء ، ولا يدعون غريباً أياً كان يصل إلى مواطنهم هذه حذراً من أن يغتصب لهم الكنوز التي يتخيلون وجودها تحت الأنقاض ، كما ثبت ذلك للسائح الألماني هنغريس في شبوة ويحان حينما مر بهما مغامر من حضر موت إلى الين .

وقد قال جغرافيو العرب الذين تقدمت أسماؤهم عن هذه المدن : إنها أسماء مدن ومواقع ومخاليف بالجوف من الين كانت لملوك حمير وفيها حصون وقصور ومبانٍ عجيبة (كذا) .

وقال نشوان الحميري عن وبار مانصه : « وبار اسم أرض كانت لعاد في مشارق الين ، وهي اليوم مفازة لا يسلكها أحد لانقطاع الماء ، ويوجد بها قصور ، وقد كستها الرياح بالرمل ، ويقال إنها كانت لأهل الرس وهم أمة من ولد قحطان ، والله أعلم » . ١ هـ .

ولا يسع المتأمل في تاريخ الين القديم إلا أن يعجب من وجود تلك المدن

والمواضع والمخاليف بين الرمال والمفاوز ، وكيف أنها تحتوي على حصون وقصور ، وعلى مبانٍ وقصور وصفت بكلمة (عجيبة) ، وأيد ذلك الأثريون الذين بلغوا ورأوا بعضها .

وقد توصلت بعد التأمل إلى أن تلك المدن والمواضع في إبان ازدهارها كانت وسط إقليم ظواهره الجوية مواتية من حيث اعتدال الهواء ، ووفور الأمطار ، وخصب التربة ، وسهولة العَلَ والنهل ، من الصهاريج والآبار المترعة بمياه الأمطار الوافية ، ومن السيول الدافقة في كثرة أو قلة من جبال الين وأنحائه الشرقية وأن هذه المؤاتاة ظلت دائمة منذ تكون القطر الياني في الأطوار الجيولوجية ، إلى فجر التاريخ والقرون القديمة التي تلتها ، أضف إلى ذلك أن تلك المدن والمواضع كانت على قارعة مسالك تجارية عظيمة كما كانت تدمر وسط بادية الشام .

واستعجبت بعد ذلك أنه قد حدث في أرض الين وجباله البركانية هزاهز عنيفة طمست كل أو جل بناييعه التي كانت تدفع بالغدران السارحة نحو براري الجوف وأحفاف الرمل ، وحدث في سمائه ماغيّر ظواهرها الجوية ، وجعل كميات الأمطار تتناقص قرناً بعد قرن إلى حد أصبحت لا تكفي للعَلَ والنهل ، وجاءت عوامل خارجية أيضاً قضت بتغير المسالك التجارية من البر إلى البحر ، وحرمت سكان الين من أكبر موارد رزقهم ، فانحط شأن المدن والمواضع المذكورة وهجرها سكانها على التوالي ، وصارت بمرور الأحقاب وانقطاع الأسباب وسط رمال وقفار تشكو العطش والجذب والخواء ، بعد أن كانت مغمورة بالري والخصب وال عمران ، ولا غرو فالبلاد تشقى وتسعد كالعباد .

إن هذا الاستنتاج الذي وصلت إليه تؤيده الأدلة الكثيرة البارزة للعيان في كل القطر الياني ، وقد سبق أن قلت في (حديث الين)^(١) المنشور في مجلة

(١) ينظر (حديث حديث الين - الظواهر الجوية) فيما سيأتي من فصول هذا الكتاب (ح)

المقتطف (جزء تشرين الأول سنة ١٩٣٧ ص ٣١٤) : على أن مقادير المطر في العصر الأخير صارت أقل مما كانت عليه في العصور الخوالي ، ويظهر للمتأمل كثرة الغيول^(١) والأودية الجافة أو الجارية وعمقها المتناقص ، ولم يسجل ميزان المطر في مرصد صنعاء الجوي سنة ١٩٣٥ أكثر من ٣٠٠٠ ميليمتر ، وهذا المجموع العائد إلى سنة واحدة وإن لم يكن كافياً للاعتداد به ، لكن بقية السنين لا تكون فيها الزيادة على ما يظهر أكثر من نصف أو ثلثي المجموع المذكور ، وهو يعد قليلاً على كل حال إذا قيس بجفاف إقليم اليمن وجفاف صحوره وأتربته ، ولا يزال شيوخ صنعاء يذكرون بحسرة إتراع الغيول بالماء ، وقد كانت مثلاً قبل ٤٠ - ٥٠ سنة تروي في شملها مساحات واسعة في قرى شعوب والروضة والجرف فأصبح الآن بعضها جافاً كل الجفاف ، وبعضها تناقص إلى ثلث مقداره السابق أو نصفه ، فصارت تلك المساحات غامرة بعد أن كانت زاهرة ناضرة ، ثم قلت في هامش ذلك المقال : أيّد الهمداني ظني بتأثير الزلازل في تقليل مياه اليمن إذ قال في كتابه (الإكليل ٨٨/٨ عند كلامه عن غيل وادي ضر : « وكان هذا الغيل في الجاهلية على ضعف ما هو عليه اليوم حتى وقعت في اليمن زلازل قطعت بعض مآتيه » اهـ .

وقد زادني إيقاناً بما ذكرت ماقرأته تفلأ عن كتاب (الربع الخالي) لمؤلفه عبد الله فيلي^(٢) فقد قرر هذا المؤلف - بعد أن اخترق ذلك الربع الموحش وشاهد أدلة جيولوجية كافية للاستدلال - أن البقاع الغربية من الربع الخالي حافلة بالخصب والعشب في عصور سحيقة تعود إلى ما قبل التاريخ ، وأن أودية الأفلاج ومقرن والدواسر ونجران وتثليث ... الخ . التي تهبط من جبال عسير نحو الربع الخالي كانت أنهاراً تصب في بقاعه الواسعة ، وأنه لما جفت هذه الأنهار وأصبحت أودية كما هي اليوم غاض الماء . وجف الهواء ، فأفحلت تلك البقاع وأقفرت .

(١) الغيول جمع غيل وهو الشجر الكثير الملتف ، وكل واد فيه ماء (ح)

(٢) (الربع الخالي) : عبد الله فيلي .

فإن صح هذا الرأي عن أودية عسير والربع الخالي فهو أشد صحة عن أودية الين وأحقاف الرمل وبراري الجوف المجاورة له في جنوبه ، وإن هذه الأودية والأحقاف والبراري لما كانت ذات أرض وساء سمحتين لبثت صالحة لارتواء البشر وعيشهم فقطنها أقوام كثيرون وتجاوروها ، فمنهم من قضى ومضى قبل أن يعرفه التاريخ كما جرى بقوم عاد وأهل الرس ، ومنهم من أبقي له آثاراً وأخباراً موثوق بها شرع التاريخ يدونها منذ القرن الخامس عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد فحسب .

ويظهر أن العطش والجذب اللذين حصلا من تطور العوامل الجيولوجية وتغير الظواهر الجوية بدأاً بأحقاف الرمل وسادا فيه ، أما المدن والمواقع التي كانت في غربي الأحقاف ، أي في برية الجوف الواقعة في سفح جبال الين ، فقد ظلت تلك العوامل والظواهر مؤاتية على قلة ، حملت سكانها الذين رأوا ماحل بأهل الأحقاف على بناء السدود فوق الأودية الهابطة من الجبال المذكورة ، وأتقنوا هذا العمل وأكثروا منه بعد في بقية أنحاء الين ، وكان أشهرها وأعظمها (سد العرم) الذي كان يروي مدينة مأرب وما حولها . وكان مبنياً على وادي ذنة الجامع لمعظم مياه الجبال المذكورة^(١) .

وقد حفظ أهل مأرب أن خصب تربتهم واخضرار الأودية المذكورة يدومان كلما دامت عنايتهم بترميم سد العرم وغيره وحفظها من الصدع ، حتى ضعف حالهم في القرن السادس الميلادي ، فعجزوا عن الترميم فخرب سد العرم ، وخربت مأرب وجناتها بسبب ذلك ولأسباب أخرى سيأتي ذكرها ، واندرس العمران من براري الجوف حتى لم يبق منه في يومنا إلا أثر ضئيل ، وانحصر في أنحاء الين الغربية على النحو والبلغ اللذين سيأتي ذكرهما .

وليس الأمر منحصراً في براري الجوف بل إن في أرجاء الين وحضرموت

(١) (الربع الخالي) : عبد الله فيلي .

كثيراً من الأطلال الأثرية الدالة على عمران وازدهار عريقين في التقدم ، وكنت أشاهد أثناء تجوالي في مدن الين وقراه على جدران الدور والمساجد وأبوابها عتباتٍ وأحجاراً منقوشة بالخط السبئي الحميري (المعروف بالمسند) تنتظر من يحل رموزها ، ولا يزال الأهلون ينبشون عن الأطلال والمواقع القديمة عادياتٍ ثينة ونقوشاً مكتوبة بالخط المذكور ينقلونها إلى (عدن) ، ويبيعونها من غواة هذه السلع وتجارها من الإنكليز وغيرهم .

وقد جمعت حكومة عدن بعض تلك الآثار وحفظتها في متحف صغير معروض للزوار ، لكن حكومة صنعاء لم تقم بعد بما يماثل هذا العمل الهام ، ويرجى أن يأتي يوم تقدر فيه قدر هذه الآثار قبل أن يقضى عليها بالمرّة ، وقد يكون في أقلها حجماً وشأناً ما يميّط اللثام عما برح العلماء يتحسرون على معرفته .

أما علماء الإفرنج الذين ذكرنا أسماء بعضهم وقلنا : إنهم عنوا بالين زيارةً وتنقيباً وبحثاً ، والذين حذا حذوهم من الشرقيين في تحقيق التاريخ وتطبيقه على الآثار والنقوش ، نخص بالذكر منهم جرجي زيدان مؤلف (تاريخ العرب قبل الإسلام) فقد جاءت مكتشفاتهم وبحوثهم عن الين أجلى بياناً لتاريخه مما ذكرت العرب وأكثر إعلاء لشأن سكانه القدماء . وقد قدمنا أن أبعد ما وصل إليه علم هؤلاء عن تاريخ الين ، لا يتعدى حدود القرن الرابع عشر أو الخامس عشر قبل الميلاد .

وفي تلك الحقبة المتأخرة من عصور التاريخ الأولى هبط الين قوم اسمهم (المعينيون)^(١) واستعمروا الطرف الشرقي منه المعروف بالريف ، وقد قدمنا أن أول عمران الين حدث في براري هذا الطرف حيث الآن الرمال السافية والفلوات الخالية إلا من بعض الأعراب الهمج . وهؤلاء المعينيون لم يعرفهم مؤرخو العرب ولا ذكروهم . وإنما ذكروا في بعض أشعارهم مدينة (معين) التي كانت عاصمة

(١) المعينيون : نسبة إلى مدينة معين .

المعنيين ، كما ذكروا مدنا اخرى خربة أسموها براقش والبيضاء والسوداء .
ومعرفة الإفرنج بالمعنيين حصلت من بعض أخبار التوراة وتواريخ
اليونان ومن النقوش الكتابية التي اكتشفها العالم الأثري هاليفي سنة ١٨٦٩ م في
مدينة معين المذكورة ، وهي تقع إلى الشمال الشرقي من مأرب وكانت خربة
مجهولة .

وأصل المعنيين غامض ، لم يعرف كيف نبثوا في الين ومن أين أتوا . وقد
ذهب المؤرخ جرجي زيدان إلى أن أصلهم من عمالقة العراق الذين كان لهم دولة
عظيمة في بابل دامت بين القرن الرابع والعشرين والحادي والعشرين قبل الميلاد ،
ومن أشهر ملوكها حمورابي . وأنه لما زالت شوكة العرب الساميين بزوال تلك
الدولة على أثر مزاحمة الآريين ، نزع بعض أهلها فراراً من أولئك المزاحمين ،
وكان المعنيون من جملة القبائل التي نزحت ، وإذ كانت قد تعودت الحضارة ولم
يعد يطيّب لها التجول في البادية التمس مقراً تقر فيه فنزلت الين وتوطنت
الجوف .

وقد استدلل المؤرخ المذكور على قوله من تشابه أسماء الملوك في الأمتين :
البابلية والمعينية كأب يدع واليفع وحصن صديق وتبع كرب ، ومن اشتراكهما
بأسماء المعبودات وأسس الاعتقادات وطرق العبادة ومن الأحوال الاجتماعية
والسياسية ، ويوافق ذهابه هذا ما ذكره ابن خلدون من أن أول أجيال العرب من
بني سام انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام ، إلا أنه في
حالة قبول هذا الذهاب الذي تغلب عليه الصحة ، تبقى معرفة السبب في اختيار
المعنيين الجوف دون غيره من بقاع الين الشرقية والغربية ، ألعله كان إذ ذاك
أرضاً خصبة وساء سمحة أكثر من غيره ، ومعرفة ما كانت عليه بقية بقاع الين
المذكورة ، أكانت خالية خاوية وهو ما لا نظنه ، ومعرفة حالة الجوف المذكور ،
ومن كان يسكنه ، وكيف لم يترك هؤلاء السكان أثراً ولا خبراً ، وكيف استظهر

عليهم المعينيون وحلوا محلهم ؟ هذه غوامض نضيفها إلى ما قدمناه من المشاكل التي ما برحت في حاجة للتحقيق والجلاء .

قالوا : بعد أن حل المعينيون في الجوف اليماني واستعمروه أسسوا فيه دولة ذات عز وسلطان ، وشادوا المحافد والقصور على مثل ما عرفوا في بابل ، وتعاطوا التجارة بمختلف السلع ، واقتبسوا الأبجدية الفينيقية ، ودونوا لغتهم بحرف خاص بهم يتنوع بتوالي الأجيال حتى صار إلى الحرف المسند الذي كتبت به اللغة الحميرية بعد ، وبلغ عدد ملوك هذه الدولة الذين عثر النقباءون على أسمائهم في أنقاض معين ستة وعشرين ملكاً . وأنهم كانوا يعرفون باسم مزواد . وأن نفوذ المعينيين التجاري امتد إلى شواطئ البحر المتوسط وخليج فارس ، وأن مسالكهم التجارية كانت ممتدة في أواسط جزيرة العرب ، وأن محطاتهم ومستعمراتهم انتشرت حتى شمالي الحجاز بدليل النقوش المعينية التي عثروا عليها في العلا شمالي المدينة المنورة وفي الصفا شرقي حوران وغيرها .

وفي العصور القديمة كانت مسالك التجارة بين الهند وإفريقية وبين آشور وفينيقية ومصر ، منحصرة في موانئ الجزيرة العربية كعدن وقانا (حصن الغراب) وظفار ومسقط ، وفي الطرق البرية الممتدة في صحاري الجزيرة المذكورة . فكانت السفن تأتي من الهند وإفريقية حاملة السلع المختلفة وفي مقدمتها خشب الأبنوس وريش النعام والذهب والعاج والآفاوية والطيب وأخصها البخور والمر اللذان كان لهما سوق نافقة في المعابد ، والعقاقير والأصباغ والحرير والمنسوجات ، فيتلقفها تجار المعينيين ، ويسرون بها وسط الصحارى المذكورة متنقلين من محطة إلى أخرى ، وقد كانوا أقاموا هذه المحطات وحصنها لسلامة قوافلهم حتى يصلوا إلى العراق أو الشام أو مصر ، وهي بلاد كانت إذ ذاك راغلة بالحضارة والترف يتهافت أغنيائها على شراء تلك السلع ، ثم ترجع تلك القوافل مثقلة بمنتوجات الشرق الأدنى ، كالحبوب والزيت والخمور والمصنوعات

المختلفة تبعث بها في سفن المحيط الهندي إلى بلاد الشرق الأقصى ، وقد ظلت القوافل أهم الوسائل مدة قرون طويلة .

وقد أثرى المعينيون من هذه التجارة والنقل ثروة عظيمة وازدهرت حضارتهم وبنوا عدة مدن في الجوف كان المؤرخ اليوناني استرابون ذكرها باسم ميناي وبثيل وكارنا وناسكوس . وقد اكتشف هالي في هذه المدن وقرأ أسماءها عليها بالحرف المسند . وهي التي قلنا إن العرب كانوا يعرفونها ويذكرونها في أشعارهم وينسبها جغرافيوهم إلى الحميريين ، ويسمون الأولى معين والثانية براقش والثالثة سوداء والرابعة بيضاء . قال الهمداني في كتابه الإكليل (١٢٤/٨) طبعة بغداد) : ومن محافد الين براقش ومعين وهما بأسفل جوف أرحب في أصل جبل هيلان وهما متقابلان . فمعين خراب خاوية على عروشها . وأما براقش فقائمة ، وأسماء أهلها مكتوبة بالحرف المسند ، يسكنها بدو الأوبر من بلحراث بن كعب ... الخ وفيها يقول علقمة ذو جَدَن :

وقد أسوا (براقش) حين أسوا^(١) ببلقعة ومنبسط أنيق
وحلوا من (معين) حين حلوا لعزهم لدى الفج العميق

وقال الهمداني أيضاً : وبالجوف سوى براقش ومعين : البيضاء والسوداء ، مأثرتان فيها آثار عجيبة وقصور آخر خربة بين الجوف ومأرب ، يعدن الناس فيها الذهب القبوري ودنانيرهم ودراهمهم على صور . اهـ .

ونذكر تصديقاً لكلام الهمداني أن في متاحف أوربة اليوم كثيراً من النقود المنقولة من الين وعليها صور الملوك وأسمائهم وأسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند ، والرموز سياسية أو اجتماعية أو دينية . ونذكر أيضاً أن أخبار المعينيين التي ما برحت قليلة وغامضة تكاد تشبه ما يقال في القرآن الكريم عن قوم

(١) أسوا : سكنوا وأقاموا (ح) .

عاد ذوي العبث والبطش والجبروت وأصحاب الأنعام والبنين والبنات والعيون . وقد قدمنا أن مؤرخي العرب جعلوا منشأهم من بابل وحسبوا مساكنهم بين الين و عمان وحضرموت . فهل المعينيون هم العاديون ، ذلك ما يتبادر إلى الذهن ويحتاج للتأكد .

هذا وقد ظل المعينيون ينعمون برفد وسؤدد طائلين نحو سبعة قرون ثم غلبهم السبئيون وأبادوهم وخلفوهم في السيادة والتجارة وذلك حول سنة ٦٥٠ قبل الميلاد . والدولة السبئية هي المعروفة لدى العرب بالقحطانية والحيرية والعرب العاربة : لأن سبأ في عرف العرب من أعقاب قحطان .

وقيل : إن السبئيين جاؤوا إلى الين من الحبشة في القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد ، فأقاموا بجوار المعينيين وخالطوهم واقتبسوا لغتهم وديانتهم وحضارتهم وزاحموهم في امتلاك بعض أنحاء الين وجعلوا عاصمتهم صرواح ، تشهد بذلك الكتابات المعينية التي اكتشفت وفيها ذكر لوجود السبئيين في الين . وإن بعض ملوك المعينيين مثل (خالي.كارينا صادق) و (يحثيل ريام) كانا في الزمن الذي كان فيه ملوك سبئيون . والمظنون أن هذا كان بين ٧٠٠ و ٦٠٠ سنة قبل الميلاد .

ويقال : إنه جاء في كتابة معينة ما يفيد أن السبئيين وقبيلة أخرى اسمها خولان ، كانوا يشنون الغارات على الطريق المؤدية من نجران إلى معان في جنوبي الشام ، وقد أشار كتاب أيوب من التوراة إلى هذه الغارات .

وما زال السبئيون يزدادون بسطة في الثروة والقوة حتى ظهوروا على المعينيين لأسباب مجهولة ، لعلها للوهن الذي قد يكون أصابهم كما يصيب عادة الأقوام التي تسترسل في النعيم والترف بمرور الأجيال ، في حين كان خصومهم في إبان نهضتهم وفتوتهم ، وما إن وطد السبئيون نفوذهم حتى أنشؤوا دولة كبيرة كانت كسالتها دولة تجارة وقوافل وزراعة وجعلوا عاصمتهم (مأرب) وزينوها بالقصور والدور

والشوارع والأعمدة والهياكل الجميلة التي لاتزال أطلالها تدهش الزائرين بروعتها وجمال هندستها .

ويظهر أن السبئين رأوا الظواهر الجوية في براري الجوف مالت إلى التحول ، وأن الأنهار التي كانت تتدفق من جبال الين الشرقية نحو تلك البراري تضاءلت وصارت أودية وغدراناً ، فكروا بالانتفاع من سيول تلك الجبال التي كانت تذهب سدى ، فبنوا سد العرم في مأرب ، وسدوداً أخرى في كثير من أنحاء الين ، وحضرموت ، وأتقنوا فن الري وتوزيع المياه فتقدمت الزراعة وأثروا منها كما كانوا أثروا من التجارة والنقل . وقد حملتهم تلك الثروة على العناية بالعمران فبنوا الحصون والمباني العظيمة والهياكل الشاحخة في الين وحضرموت وما بينها ، وتفننوا بزخرفتها وتزيينها بالنقوش والتأثيل والأعمدة ، وشادوا حولها الأسوار المنيعة ، وفرشوها بالديباج وأواني الذهب والفضة .

وكان سد مأرب من أعظم أعمال العمران في الين ، شاهده في القرن الرابع الهجري الجغرافي اليماني أبو الحسن الهمداني وذكره في كتابه الإكليل (ج ٨) إلا أنه ظل غير معروف أو موصوف بدقة إلى سنة ١٨٤٣ م لما زاره الأثري (آرنو) ورسم خريطته وأفاض في وصفه . كما زاره هاليافي وغلانز في سنتي ١٨٦٩ و ١٨٩٥ والسيد نزيه المؤيد الدمشقي في سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ، وأفاض في وصفه أيضاً في رحلته . وهذا السد جدار ضخيم بنوه في باب وادي ذنة بين جبلي بلق^(١) لتجتمع سيول جبال الين الشرقية وراءه في فصل الأمطار ، وتتصرف من ثم لري السهول الممتدة حول مأرب .

وفي هذه السهول كانت الجنتان الواقعتان عن يمين مأرب وشاليها كما جاء في القرآن الكريم في سورة سبأ . وكانت هذه السهول والجنان تشبه غوطة دمشق أو

(١) جبلي بلق : هما جبلان (بلق الأيمن) و (بلق الأيسر) وبينهما بني سد مأرب (م) .

أكثر على ما يظهر وتفيض بالغلل والثمار . وقد عثر الأثريون المذكورون في أنقاض هذا السد على نقوش كتابية بالحرف المسند استدلو منها على أن بناته هم (سمعيلي ينوف) وابنه (يشعمر) بدأ به وأكله خلفاؤها .

وفي تلك الحقبة شرع البطالسة خلفاء الإسكندر المقدوني في مصر يبنون السفن ويمخرون في البحر الأحمر وينقلون السلع بين موانئ الشرق والغرب ، إلا أن هذه المنافسة لم تؤثر تأثيراً يذكر في تجارة السبئيين وقوافلهم . فقد ظلوا يمدون جميع الهياكل المصرية والفينيقية بالبخور والطيوب وغيره . وكما اشتهر السبئيون بالإقدام والنشاط في الأعمال التجارية والزراعة اشتهروا بالبسالة في الحروب ، حتى إنهم صدوا حملة القائد الروماني يوليوس غالوس وأرجعوه عن أسوار مأرب . وقد كان قصدها طمعاً بما بلغه من ثروتها وترف أهلها . حدث ذلك في سنة ٢٤ ق . م ، وهذه الحملة الرومانية وإن أخفقت لكنها عرفت الرومانيين ببلاد العرب وجعلت مؤرخيهم يذكرونها ويذكرون الين خاصة ويصفونها بالعربية السعيدة .

ويذكر أن الدولة السبئية قضت دورين في حياتها : الأول لما كانت عاصمتها في صرواح ، وهي الآن قرية متهدمة ولكن لاتزال آثارها وأطلال قصورها ظاهرة ومأهولة ببعض السكان ، تبعد عن مأرب نحو خمسين كيلو متراً إلى الجهة الغربية ، وقد كانت الدولة السبئية في هذا الدور تحاول النهوض ومزاحمة المعينيين ، وكان لرؤسائها حينئذ ملوك ، وكان لهم لقبهم « مكرب سبأ » ، إلى أن انتهى هذا الدور سنة ٦٥٠ ق . م .

والدور الثاني لما انتقلت العاصمة من صرواح إلى مأرب واختص الملوك بالسلطة الزمنية وصار لقبهم ملك سبأ . وهذا الدور هو أزهى عصور الدولة السبئية ودام أكثر من خمسة قرون .

ظل السبئيون في يسار وترف زائدين وإذا تصدعت السدود رموها إلى أن ظهرت بوادر ضعفهم ، وفقدت قوافل البر ما كان لها من الشأن ، وذلك بتقدم فن الملاحة لدى الرومانيين الذين خلفوا اليونان بعبور الطرق المائية في البحرين الأبيض والأحمر مكان الطرق البرية المعرضة لخطر غارات البلاد وقطاع الطرق دائماً ، فضعف شأن السبئيين ، وتحولت غايتهم من شرقي اليمن الذي مالت ظواهره الجوية من الخصب إلى الجذب أكثر من قبل ، وانتقلوا إلى اليمن الأعلى فعمرروا في مدينة ريدان وهي الآن قرب بلدة يريم الحالية ، وعمرروا مدينة صنعاء أيضاً فأخذت مأرب بالتقهقر .

وانتقلت الدولة في سنة ١١٥ ق . م إلى الحميريين ، وهم من فروع السبئيين أو من أتباعهم ، وبالإمكان أن تعد دولتهم تمة دولة السبئيين ، وكان ملوكهم يدعون ملوك سبأ وريدان ، ثم لما فتحوا حضرموت أضافوا كلمة : وحضرموت ، وكان حكام المقاطعات أو الخاليف يدعون بالأقيال أو الأذواء ، كذي يزن وذو جدن وذو أشرع .

وتقل الحميريون عاصمتهم إلى صنعاء ، وكانت دولتهم دولة حرب وفتح ، فقد نبغ من ملوكها وأقيالها من فتح البلاد المجاورة كحضرموت وعمان ، ودافع الأحباش الذين كانوا يطمعون باليمن ويهاجمونه الفينة بعد الفينة ، بدؤوا بذلك منذ القرن الرابع الميلادي .

وورث الحميريون تجارة السبئيين وزراعتهم وصناعاتهم ، وزادوا فيها ركوب سفن البحر فوق ما كان لهم من قوافل البر . وأتقنوا فن جر الأثقال والرياسة فبنوا مدناً وحصوناً وقصوراً شاهقة متعددة الطباق ، حتى بلغت فيما قيل عشرين سقفاً في قصر غمدان الذي كان في صنعاء ، أما الآن فلا يزيد عدد طباق قصور صنعاء الحالية على الخمسة أو الستة ، وأجادوا استثمار جبال اليمن ، فحولوا منحدراتها

السحيفة إلى حقول مدرجة لا يزال أعقابهم سكان الين الحاضرون يقلدونها .
وأكثرها من عدد السدود وعنوا بترميمها كلما تصدعت . فلم يغادروا قطرة تذهب
سدى كما تذهب الآن ويالأسف ، وحفروا المناجم واستخرجوا المعادن وصنعوا
الطيوب والعطور وتاجروا بها وأثروا .

وما زال الحميريون في بذخ وترف وظهور وعلو يد ، حتى زاد حسد
الأحباش وطمعهم بهم ، فاتخذوا اضطهاد أحد ملوك حير لنصارى نجران حجة ،
وكان اسم هذا الملك الحميري يوسف ذي نواس ، وكان متهوداً يجبر الناس على
التهود ويضطهد المتنصرين ويحرق بعضهم في الأخاديد ، ولما استجار نصارى
نجران بقياصرة بنظية كلفوا هؤلاء الأحباش محاربة ذي نواس ، فجاء الأحباش
بهذه الحجة وانتقضوا على الحميريين سنة ٥٢٥ م وغلبوهم بعد حرب ودفاع شديدين
وعاشوا في بلادهم . ومن المؤسف أنهم خربوا القصور وبعثروا الآثار والنقوش
الكتابية وقضوا على عمران الين كله الذي كان نتيجة جهود اثنين وعشرين قرناً
في عهود المعينيين والسبئيين والحميريين . وما عملوه أنهم نشروا الديانة النصرانية
واضطهدوا مخالفيها حتى أنهم بنوا في صنعاء كنيسة عظيمة دعوها (القليس)
أرادوا أن تنافس الكعبة في مكة فيحج إليها العرب . لكنهم لم يفلحوا بذلك
وأخفقت الحملة التي بعثوها إلى مكة لهدم الكعبة سنة ٥٧٠ م .

ولما عظم بلاؤهم على أهل الين وطال ، استنجد هؤلاء بالفرس فأنجدوهم
بخصوصهم المعينيين رغبة باستعمار الين ، وأرسلوا مع رئيس اليمانيين حينئذ ، وكان
اسمه سيف بن ذي يزن جيشاً اشتبك مع القوات الحبشية وانتصر عليهم وطردهم ،
بيد أن اليمانيين انتقلوا من نير الأحباش إلى النير الفارسي الذي غدر بالين واحتله
في حين أنهم كانوا قادمين لنجدته . وقد أضعفت هذه الحروب الدولة السبئية
وزاد ضعفها بتهدم سد مأرب ، فكان تهدمه الأخير الذي حدث حول سنة ٥٤٣ أو
٥٧٠ م مع مصيبة الأحباش ، وما أتوه من التهديم والتفطيع ، وغلبة المسالك

البحرية على البرية نهائياً ، وتحول الظواهر الجوية في مشارق اليمن وبراري
الجوف من خصب إلى جدد ... كل ذلك كان سبباً في انتهاء عمران اليمن القديم
وزوال سعادته التي بهرت عيون الرومان ، وضياع استقلال أهله ، لأن الفرس
ولّوا نوابهم حكم الصين وبسطوا نفوذهم على جنوبي الجزيرة العربية ، كما كان
منبسطاً على شماليها وشرقيها وما زالوا حتى ظهر الإسلام وانتشر في اليمن .



خلاصة تاريخ اليمن بعد الإسلام

عمال النبي ﷺ والخلفاء : لما أسلم باذان نائب كسرى ، ولاه النبي ﷺ على جميع مخاليف اليمن ، وبعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعدداً من الصحابة لنشر تعاليم الإسلام في أنحاء اليمن .

وبقي باذان حتى مات بعد حجة الوداع ، فولى النبي عليه الصلاة والسلام ابنه شهر على صنعاء ، وولى ولاة آخرين على بقية اليمن إذ قسمها إلى عشر عمالات ، إلى أن خرج الأسود العنسي متنبئاً ، فلما قتل العنسي رجع عمال النبي إلى أعمالهم ، ولما توفي الرسول ﷺ ارتد أهل اليمن ، فحاربهم الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وأرجعهم إلى الإسلام ، وتوالت عماله وعمال من كان بعده من الخلفاء .

ولما استتب الأمر لأبي بكر في الجزيرة العربية شرع يستنفر قبائل العرب للجهاد في سبيل دعوة الإسلام ، فزحفت منها جحافل جرارة ، كان لليمانيين والحضرميين منها نصيب في الفتوحات الإسلامية التي بدأت في عهد أبي بكر ودامت إلى عهد من جاء بعده من الخلفاء الراشدين والأمويين ، وضربت من الجزيرة إلى حدود الصين والهند شرقاً والأطلسيتيك غرباً ، وظل الخلفاء المذكورون يندبون قبائل العرب للغزوات ويستحثونهم للفتوحات بدون انقطاع ، لأنهم مادة الإسلام وعصبه ، فكانت القواصي تأكلهم ، والحروب تفني منهم مئات الألوف .

ويظهر أن الخلفاء المذكورين وعمالهم في اليمن لم يتسع لهم الوقت والفكر لإعادة عمران اليمن وتشديد سدوده ، بل اكتفوا بإقرار الأمن وجبي الخراج

واستنفار القبائل إلى الجهاد . فخلا كثير من ديارهم الأصلية ، وصفرت الجزيرة عامة والين خاصة ممن يكفي للتعيمير والتشييد المذكورين . فكان في ذلك ضرر بليغ دامت آثاره إلى يومنا هذا .

وتوزعت فلول القبائل اليمانية الزاحفة في الأقطار المفتوحة ، وظلت محتفظة بأسائها اليمانية على الرغم من تعاقب الأجيال ، إلا أن روح العصبية الجاهلية التي عفى الإسلام على أثرها ، وشدد في النعي عليها ، ذرقتها بعد في أوائل العهد الأموي ، بين اليمانيين والقحطانيين ومنافسيهم من القيسيين والنزاريين ، وانتشرت في الأقطار المفتوحة ولاسيما في الشام وخراسان والأندلس ، ودامت هذه الروح الخبيثة عصوراً عديدة ، تشب نارها تارة وتخمّد أخرى . سالت بسببها دماء غزيرة كانت من أكبر العوامل في ضعف الأمة العربية ، وتغلب الأعاجم على أمرها ، وزوال مجدها من تلك الأقطار .

ومن أحداث تلك الحقبة في الين ، الاقتتال الذي جرى بين عمال علي ومعاوية إلى أن استتب الأمر لمعاوية ، ومنها نهوض عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي سنة ١٢٩ هـ بدعوة الإباضية ، وطلبه الخلافة لنفسه من مروان بن محمد الأموي ، وزحفه واستيلائه على صنعاء ومكة المكرمة والمدينة إلى أن جهز عليه مروان جيشاً قتله وأخذ فتنته ، ومنها انصراف رؤساء الين إلى التنازع والاختلاف .

ولم تزل عمال الخلفاء متوالية على الين في عهد الأمويين إلى أيام المأمون العباسي . ولما ظهرت دعوة الأشراف العلويين بالنواحي ، جاء منهم إبراهيم بن موسى الكاظم إلى الين سنة ٢٠٠ هـ واستخلصه من عامل المأمون ، واستفحل أمره ، وكان يسمى الجزار لكثرة من قتل وسبى ، ولكن أمره لم يتم ، لأن المأمون لما بلغه اختلال أمر الين وانتشار دعوة الأشراف العلويين فيه ، وجه إليه محمد بن

إبراهيم بن زياد بن أبيه ، ضامناً له صيانتته من العلويين ، فقدّمها سنة ٢٠٣ هـ وفتح تهامة بعد حروب ، واحتل مدينة زبيد سنة ٢٠٤ هـ وصيّرها كرسياً لمملكته ، وعظم أمره بعد ذلك في كل البين وحضرموت ، وصار ملكاً مستقلاً إلا أنه كان يخطب لبني العباس ويحمل إليهم الخراج والهدايا .

دولة بني زياد ٢٠٣ هـ - ٤٠٧ هـ : ثم صار الملك في أبناء محمد المذكور ، ولما رأى هؤلاء بعد ، ماحل ببني العباس من الضعف ، استبدوا وألفوا دولة بني زياد ، وصاروا يحكمون التهائم دائماً والجبال أحياناً . ومن مشهورهم الذي طالت مدته واتسعت سلطته وثروته أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم المتوفى سنة ٣٩١ هـ . وكان مبلغ جبايته فيما قيل ١٣٦٦٠٠٠ من الدينار الفثرية^(١) ماعدا ضرائب على مراكب السند وعلى العنبر الواصل بباب المنذب وعدن أبين ، وعلى مغائص اللؤلؤ ، وعلى جزيرة دهلك^(٢) ومن بعضها وصائف ، وكانت ملوك الحبشة من وراء البحر يهادونه ويخطبون مواصلته . ودامت دولة بني زياد نحو قرنين إلى أن انقرضت سنة ٤٠٧ هـ .

دولة بني يعفر ٢٤٧ هـ - ٣٨٧ هـ : وفي عهد بني زياد كان في الجبال دولة اسمها دولة بني يعفر ، لمؤسسها يعفر بن عبد الرحيم الحوالي ، وكانت قاعدتهم صنعاء إلا أن أمراءها كانوا يدفعون الخراج إلى بني زياد في زبيد ، كأنهم عمال لهم ، كما كان بنو زياد نواباً للخلفاء العباسيين .

دولة الأئمة الزيدية : لما اشتدت قسوة الخلفاء العباسيين على الأشراف العلويين وأخفق هؤلاء في وثباتهم العديدة التي قاموا بها لنيل الخلافة في العراق والمغرب والحجاز وجرجان وطبرستان ، وقتل منهم بالتتابع أناس كثيرون وكان

(١) غر : اسم موضع بتهامة يظهر أنه كانت تضرب فيه الدينار .

(٢) دهلك : جزيرة في وسط البحر الأحمر قريبة من الساحل الإفريقي ، نفى إليها الشاعر الأحوص المتوفى سنة ١٠٥ هـ .

منهم صاحب الدعوة الزيدية ، زيد بن حسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، خرج زيد هذا على هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي فقتل وصلب سنة ١٢٢ هـ وخرج بعده يحيى فقتل كذلك سنة ١٢٥ هـ .

واستمر القتل والتشتيت في هؤلاء الأشراف من قبل الأمويين والعباسيين إلى أن التجأ أحدهم إلى اليمن في سنة ٢٨٠ هـ ، وهو الحسين بن القاسم الرسي ، فكان من عقبه أئمة الزيدية في اليمن ، وأول من خرج منهم ابنه يحيى في صعدة شمالي اليمن وتلقب بالهادي سنة ٢٨٨ هـ ، ونشر دعوته الزيدية ، وحارب بني يعفر ، وملك صنعاء وما بينها وصعدة ، وحارب أيضاً علي بن الفضل القرمطي ، ثم ارتجع بنو يعفر البلاد التي أخذها ، ورجع هو إلى صعدة ، وبعد موته في ٢٩٨ هـ توالى قيام أخلافه من الأئمة .

وعلي بن الفضل المذكور ، رجل نشأ في تلك الحقبة في اليمن الأسفل ، كان قرمطي المذهب ادعى بعد بالنبوة وأباح لأتباعه كل المحظورات ، كشرب الخمر ونكاح البنات والأخوات وسائر المحارم ، واستفحل أمره في كل اليمن وقتل خلقاً كثيراً ، واستمر أمره ثلاث عشرة سنة . وحاربه الإمام الهادي إلى أن مات مسموماً سنة ٣٠٣ هـ وانطفأت فتنته .

دولتا بني نجاح وبني الصليحي ٤٠٧ هـ - ٥٥٣ هـ : وبعد انقراض آل زياد سنة ٤٠٧ هـ ، حكم التهاائم فروع منهم كانوا عبيد وعبيد عبيد ، منهم عبد اسمه نجاح ، استقل بملك التهاائم أربعين سنة . ولما مات خلفه ابنه سعيد الأحول ، فثار عليه رجل من أمراء الجبال اسمه الصليحي ، كان يدعو للفاطميين أصحاب مصر ، في حين كان سعيد وأبوه من قبل يدعو للعباسيين ، واغتصب الصليحي زبيداً ، لكن سعيداً عاد وهاجم الصليحي وقتله ، وظلت زبيدة تتعاورها أيدي أبناء الصليحي تارة وسعيد بن نجاح أخرى ، والغارات دائمة بينهما إلى أن قتل سعيد فخلفه أخوه ، ثم أبناء أخيه إلى أن انقرضوا سنة ٥٥٣ هـ .

وبقي أمر الين ، في تقلقل ، الجبال لرجل وتهامة لآخر ، وعدن لغيرهما إلى أن ظهرت دولة بني المهدي .

دولة بني المهدي ٥٥٤ هـ - ٥٦٤ هـ : ملك منهم ثلاثة ، وكانت عاصمتهم زييداً ، ولكن لم تطل مدتهم كثيراً . أولهم علي بن مهدي الحميري ، كان في بدء أمره رجلاً صالحاً وواعظاً ، قال إليه الناس واستفحل شأنه واعتصم بالحصون ، ثم حاصر زييداً عقيب موت آخر بني نجاح واستخلصها من عبيدهم . وبعد موته ملكها ابنه ثم حفيده ، إلى أن قدم تورانشاه بن أيوب وقضى عليه ، وكان مذهب علي بن المهدي ، التفكير بالمعاصي وقتل مخالفه في العقيدة .

دولة بني أيوب ٥٦٩ هـ - ٦٢٠ هـ : كانت دار ملكهم زييد ، وأولهم الملك المعظم تورانشاه بن أيوب ، وسبب قدومهم إلى الين أن السلطان صلاح الدين بن أيوب وأهله كانوا خائفين من نور الدين محمود زنكي ، فاتفق رأيهم على تحصيل مملكة غير مصر ، فإن قصدوا نور الدين قاتلوه ، فإن هزمهم التجؤوا إلى تلك المملكة ، فجهز صلاح الدين أخاه المعظم شمس الدين تورانشاه إلى الين في سنة ٥٦٩ هـ ، وكان صاحبها عبد النبي بن علي بن المهدي ، فحاصره تورانشاه في زييد حتى طلب الأمان وأسر واستخلص زييد منه ، ثم استخلص عدن من أصحابها بني زريع ، وفتح صنعاء ودانت له بلاد الين كلها . ثم رجع إلى دمشق ٥٧١ هـ ثم إلى مصر فالإسكندرية وظل نوابه يديرون الين ويبعثون إليه بأموالها .

ولما مات تورانشاه سنة ٥٧٦ هـ ، أرسل صلاح الدين أخاه الثاني الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ، وجعله والياً على الين ، فجاء طغتكين وقبض على نواب أخيه الذين كانوا يتنازعون واستصفى منهم أموالاً عظيمة ، وظل يحكم في الين خمس عشرة سنة ، بنى خلالها قلعة جبل التعكر وقلعة حب وحصن وكوكبان وسور صنعاء وسور زييد سنة ٥٦٣ هـ ، ثم ملك بعده ابنه

العزیز إسماعیل ، وكان فيه هوج وخبط فأساء السيرة فقتله أمراؤه ، وملك بعده أخوه الناصر أيوب ، وكان صغيراً ، فقام بتدبير مملكته أحد مماليك أبيه ، ولما مات الناصر مسموماً سنة ٦١١ هـ خلفته أمه مدة وظلت تنتظر وصول أحد من بني أيوب لتتزوج به وتملكه البلاد ، فجاءها أحدهم وهو سليمان بن سعد الدين بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وكان فقيراً يحمل الركوة على كتفه ، ويتنقل مع الفقراء^(١) فأحضرتة وولته ، فلأاليّن ظمأً وجوراً واطرح زوجته وولية نعمته ، فبعث إليه عمّه الملك الكامل محمد أحد أبناء المسعود (يوسف المعروف بصلاح الدين) فاعتقل سليمان وتولى اليّن سنة ٦١١ هـ ثم كره المقام فيه فرجع قاصداً الشام سنة ٦٢٠ هـ ، وأتاب عنه عمر بن علي بن رسول الغساني الذي كان أستاذ داره ، فتغلب على اليّن وانتهت دولة بني أيوب وكانت مدتها ٥٧ سنة .

دولة بني الرسول الغسانيين ٦٢٠ هـ - ٨٥٨ هـ : أصل هؤلاء ترکان ،
لكنهم زعموا أنهم عرب من أعقاب جبلة بن الأيهم آخر ملوك بني غسان ، صاحب القصة المعروفة مع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأن بعض أحفاد جبلة كان اندمج في عشيرة تركانية فصاروا من التركانيين ، ولكنهم عرب غسانيون في الأصل .

وقد كان أحدهم خدم الخلفاء العباسيين وكانوا يرسلونه رسولاً إلى خدمة صلاح الدين الأيوبي ، وأحسنوا الخدمة ، فبعثهم مع أخيه تورانشاه إلى اليّن ، وبرز بينهم علي بن رسول ، استقر نائباً لبني أيوب حتى مات فخلفه ابنه (نور الدين عمر) ، وتلقب بالملك المنصور واتسعت سلطته ، وفي عهده ظهر الإمام شمس الدين أحمد الزبيدي ، واستفحل أمره في الجبال فحاربه الملك المنصور وغلبه .

(١) أبو الفداء ١٠٨/١

وبنى المنصور في اليمن كثيراً من المساجد والمدارس ، وله في مكة مدرسة كبيرة ، وظل مالكاً إلى أن اغتاله مماليكه الذين كان استكثر منهم . وذلك في سنة ٦٤٧ هـ ، فخلفه ابنه (المظفر يوسف) ، وحارب الإمام أحمد الزيدي وغيره من أئمة الزيدية مراراً ، وكان عالماً فاضلاً ، صفا له ملك اليمن وطالت مدته ٤٧ سنة ، وكان يؤدي أتاوة للملوك مصر المماليك وتحفاً وهدايا دامت حتى زمن أعقابه ، ولما مات سنة ٦٩٤ هـ خلفه ابنه (الأشرف عمر) وكان كأييه وجده عالماً فاضلاً ومديراً ، ظل سنتين فقط ، فخلفه أخوه (المؤيد هزبر الدين داود) حارب الأئمة الزيدية مراراً وكان يتغلب تارة ويغلب أخرى ، وتبع المذهب الشافعي واشتغل بالعلم واعتنى بجمع الكتب ، حتى اشتملت خزائنه على مئة ألف مجلد ، وبرّ العلماء .

ولما مات سنة ٧٢١ هـ خلفه (المجاهد علي) ، ظل ملكاً ٤٣ سنة .

ولما مات سنة ٧٦٤ هـ خلفه ابنه (الأفضل عباس) فمضت أيامه في الفتن ، وكان يهاجمه أئمة الزيدية وأشراف مكة وتثور عليه القبائل ، وكان منصرفاً إلى العلم والتأليف .

ولما مات سنة ٧٧٨ هـ خلفه ابنه (الأشرف إسماعيل) ، فمرت أيامه بسلام ، وظل خمساً وعشرين سنة ، ثم توالى بعده الملوك ، وشارت في زمنهم فتن كثيرة ، وضعف أمرهم إلى أن انقضوا سنة ٨٥٨ هـ وانتقل الملك إلى وزرائهم بني طاهر .

كانت دولة بني الرسول في الجملة ، دولة علم وأدب وخزائن كتب وإنشاء مدارس وتأليف في التاريخ والطب وغيرها ، مما عز نظيره في بقية دول اليمن بله دول الشرق كله في تلك العصور وبعدها .

وصف القلقشندي في صبح الأعشى ص ٥٠١ زيهم وشعارهم وأرباب وظائفهم وعاداتهم في إنشاء الدواوين واقتدائهم بالسلاطين المماليك المصريين في الأبهة وذكر

كثرة أموالهم ولهوهم وعنايتهم بالتجار وأرباب الصناعات وإكرامهم للغرباء والقصاد ، وأن أحدهم لا ينزل في أسفاره إلا في قصور مبنية له في منازل معروفة من بلاده ، فحيث أراد النزول بمنزلة وجد بها قصرأ مبنياً ينزل فيه . قال : « وإنما تجتمع لهم الأموال لقلّة الكلف في الخرج والمصاريف والتكاليف لقلّة أعوانهم ولأنهم محجوبون ببحر زاخر وبر منقطع من كل جهة ، ولأن الهند يمدّم بمراكبه ويوصلهم ببضائعه ، وكانوا مع أئمة الزيدية في المشاجرة والمهادنة تارة والمفاسخة أخرى . وكان مشتهام في زبيد ومصيفهم في تعز ويمتلكون كل التهايم الغربية والجنوبية واليمن الأسفل بما فيها تعز ولحج وعدن والشحر ، وكانوا يقدمون إلى السلاطين الماليك في مصر الضريبة المقررة والهدايا والتحف في كل سنة ، ويستنجدون بهم عند العجز ، وتأتيهم من مصر الجنود وتؤازرهم فيما يطلبونه من إقرار الأمن أو تأييد السلطنة . ويذكر من مؤلفي الكتب بينهم : المظفر يوسف بن عمر له (المعتمد في مفردات الطب) مرتب على الحروف الهجائية ، طبع في مصر في مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، وله كتاب في صناعة الإصطربلاب وعملها ، عليه إجازات من علماء الهيئة ، وهو من مخطوطات الخزانة التيمورية في مصر على ما بلغني . والأفضل عباس بن علي ، له (نزهة العيون) في تاريخ اليمن و (طبقات فقهاء اليمن) و (مختصر ابن خلكان) ، وابنه الأشرف إسماعيل له (المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في أخبار الخلفاء والملوك) .

وقد جمع الشيخ علي بن الحسن الخزرجي أخبار هذه الدولة في كتاب أسماه (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) طبع في مطبعة الهلال في مصر سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩٦٦ م على نفقة أوقاف ذكرى السيد حبيب الأسكتلاندي .

دولة بني طاهر ٨٥٩ هـ - ٩٤٥ هـ : زعم هؤلاء أنهم من أعقاب الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، ولا يعلم كيف ومتى دخلوا اليمن وصاروا وزراء لبني الرسول ، وقوي شأنهم حتى طمعوا بالملك لما ضعف سادتهم .

أولهم الظافر عامر بن عبد الوهاب ، أخذ بلاد الين بعضها من بني الرسول وبعضها من أئمة الزيدية إلى أن قتل في حربه معهم قرب صنعاء ، فخلفه أخوه (المجاهد علي) سنة ٨٧٠ هـ ، وكان هذا جواداً عالماً بنى مدارس عديدة ، وجلب لها أساتذة من مكة وغيرها ، ثم خلفه ابنه (الظافر عامر) سنة ٨٩٤ هـ ، وكان عادلاً ومحباً للعلم والعلماء ، حارب أئمة الزيدية في الجبال وغلبهم واستولى على صنعاء ، فأوت فلولهم إلى صعدة . وفي عهده ظهر البرتغاليون واستولوا على بعض سواحل الحجاز والين والهند ، واستفحلت شرورهم ، فاستجار بالملك عامر الغوري آخر ملوك الشراكسة في مصر ، فأرسل إليهم قانصوه الغوري عسكرياً وسفناً بقيادة أمير اسمه حسين الكردي مشهور بعسفه وجبروته .

وطرد هذا الأمير البرتغاليين من سواحل الحجاز والين لكنه أخفق في مقاتلتهم في سواحل الهند ، فرجع إلى الين وطمع في الاستيلاء عليه ، فهاجمه واستولى على الحديدة وزبيد . فدافعه الملك عامر وما زال يناضل عن ملكه تجاه الأمير حسين تارة والإمام شرف الدين وابنه المطهر حتى خرَّ صريعاً في إحدى الحروب سنة ٩٢٣ هـ ، فخلفه ابن عمه (عامر بن داوود) وثابر هذا على قتاله مع الإمام المطهر ، لكنه غلب وضعف أمره وجاء الترك العثمانيون في تلك الحقبة بعد أن فتحوا مصر وهاجوا عدن آخر مقر للملك عامر فقتلوه صلباً ، وبه انتهت الدولة الطاهرية ، وهي آخر الدول الشافعية الكبرى التي حكمت الين ، امتحنت بمحاربة البرتغال والشراكسة والأتراك من الخارج ، وفتن أئمة الزيدية من الداخل .

الشراكسة في الين : يظهر أن هؤلاء كانوا من حثالة ممالك الشراكسة الذين حكموا مصر ، ملك الين منهم ثلاثة أمراء . وكان ظهورهم سنة ٩٢٢ هـ ، وقد بقوا خمس سنوات لم يأتوا إلا بما لا يحمدون عليه .

أولهم الأمير حسين الكردي ، وكان سبب دخوله الين أنه بعد رجوعه من

الهند غير موفق كما قدمنا ، جاء إلى سواحل الين وبعث يطلب من الملك عامر - آخر ملوك بني طاهر - مؤنة لعسكره ، ولما رفض عامر تلبية الطلب غضب حسين وعزم على سلبه بلاده ، وقيل : إن الإمام شرف الدين الذي سيأتي ذكره ، حرصه على ذلك وأعانه بجمع من الزيدية ، وكان مع الأمير حسين مدافع وبنادق نارية مما كان يجمله اليابانيون وقتئذ ، فانتصر بهذه الأسلحة الحديثة ، على جند الملك عامر واستولى على الحديدة وزبيد ونهبها .

ثم ذهب إلى عدن وحاصرها بسفائنه فلم يفر بطائل ، وبعد أن أخذ ما أخذ أبقى نائبه (برسباي) في الين ، ورجع إلى جدة فقتل فيها ، وبعد ذهاب حسين تفرد برسباي المذكور في الين واجتمع إليه عدد من بقايا الشراكسة الذين خرجوا من مصر على أثر دخول السلطان سليم العثماني ، وظل برسباي يحور ويستبد ، ثم سار إلى حرب الملك عامر الذي كان ضعف أمره فغلبه واستولى على تعز ونهبها ، وظل لاحقاً بقفا عامر حتى قتله وشتت شمل أتباعه .

ثم جاء صنعاء وأخذها من عامل الملك عامر وعذبه واستصفى أمواله ، كما نهب عسكره صنعاء وأفحشوا فيها ، وبينما هو راجعون إلى زبيد بما غنوه هاجتهم قبائل الجبال فقتلت برسباي وكثيراً من أمرائه وجنوده واستولت على غنائمه ، فخلفه في زبيد الأمير الإسكندر ، وكان يحكم التهائم ، كما كان الإمام شرف الدين يحكم الجبال .

ولما بلغ إسكندر أن السلطان سليم أتم فتح مصر وقضى على دولة المماليك الشراكسة وأخذ الخلافة ، صار يخطب باسمه ، لكن ذلك لم ينفعه ، فقد داهمه الترك العثمانيون سنة ٩٣٧ هـ وقتلوه واستولوا على الين ، وسيأتي بيان ذلك .

دولة الأئمة الزيدية أيضاً : عقب وفاة الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي الذي تقدم ذكره ، خلفه أبناءؤه في منزلتهم في صعدة لا يتجاوزونها إلى الجنوب إلا قليلاً .

ولم تنزل إمامة هؤلاء الرسيين مطردة خلال القرن الخامس إلى أن وقع الخلاف بينهم ، وجاء فرع من أبنائهم واسمهم السليانيون ، فغلبوا على صعدة في القرن السادس .

وأول السليانيين المتوكل أحمد بن سليمان المتوفى عام ٥٦٦ هـ هاجم زبيد واستخلصها من بني المهدي ، ثم أضاعها ، وخلفه المنصور عبد الله سنة ٥٩٣ هـ ، فحاربه طفتكين والملك المسعود الأيوبيان ، ثم رجع بنو الرسي واستعادوا الإمامة ، وكان أولهم الموطأ أحمد الذي حارب ملوك بني الرسول إلى أن قتله أتباعه وحزوا رأسه سنة ٦٥٦ هـ وخلفه آخرون ألقابهم : المؤيد بالله ، والمنصور بالله ، والمهدي لدين الله ، والمطهر ، والناصر ... إلى كثير من أمثال ذلك .

ولما كانت أحكام المذهب الزيدي ، ليس فيها إمامة بالنص ولا باليقين ، ولا مجال لتسمية أولياء للعهد جاز لكل سيد فاطمي ، عالم زاهد ، شجاع سخي قادر على القتال في سبيل الحق يخرج للمطالبة ، أن يكون إماماً .

وقد اشترطت تلك الأحكام على الإمام أن يخرج على الأمراء والسلاطين أيضاً للمطالبة بالخلافة ، لهذا صار كل سيد فاطمي في الين يرى في نفسه حيابة هذه الشروط ، يخرج لتقليد الإمامة ، فإذا ما استولى عليها يقوم لطلب الخلافة ، ويشير لأجلها الفتن والاضطرابات ويشهر الحروب ويخوض المعارك ، حتى ينال مبتغاه ويسود ، أو يخفق في مسعاه ، فيأوي إلى أحد المعازل متحيناً الفرص للوثوب والقتال . وهكذا ، ولا بأس إذا هلك خلالها حرث الين ونسله وتقرض عمرانه وشقي من بقي من سكانه .

وصف القلقشندي هؤلاء الأئمة في كتابه صبح الأعشى (ص ٥١) فيما قاله :
أماراتهم أعرابية بدون كبر ولا شمم ، وربما اشترى أحدهم سلعته بيده ، ومشى بها في أسواق بلده ، وما منهم إلا ويعتقد في نفسه ويعتقد أشياءه فيه أنه إمام معصوم

مفترض الطاعة ، ويرون أن ملوك الأرض وسلاطين الأقطار يلزمهم طاعته ومبايعته حتى خلفاء بني العباس ، وأن جميع من مات منهم عاصياً يترك مبايعته ومتابعته ، وهم يزعمون ويزعم لهم أن سيكون لهم دولة يدال بها بين الأمم وتملك منتهى المهم ، وأن الإمام الحجة المنتظر في آخر الزمان منهم ، يتربصون الدولة في أقطار الأرض . اهـ .

قلت : إن هذه المعتقدات الغربية والمزاعم البعيدة المثال ، ناهيك بشرط الخروج على الأمراء والسلاطين بطلب الخلافة ، المكلفين به بحكم الإمامة ، كل ذلك كان يدفع بهؤلاء الأئمة دائماً إلى إيقاد نيران الفتن والحروب ومحاربة الدول الحاكمة في التهايم والجبال ليصفو لهم اليمن أولاً ، ثم يتجاوزون إلى غيره ...

وقد لبثوا منذ أواخر القرن الثالث إلى منتصف القرن العاشر يهاجمون ملوك بني يعفر وبني المهدي وبني أيوب وبني الرسول وبني طاهر ، كما هاجموا بعد الترك العثمانيين . وذلك كلما أنسوا في أنفسهم قوة وفي أولئك ضعفاً ، فإن ظفروا امتلكوا صنعاء واستقروا فيها ومدوا أيديهم حتى زبيد ولحج وحضرموت ، وإن فاز أولئك عليهم انكشوا إلى معاقلهم في صعدة ، وأخلدوا إلى سكينه موقته يتحينون الفرص للوثوب ، ويكون ويكون بينهم وبين ملوك الدول كما جاء في صبح الأعشى مهادئات ومفاسخات تارة وتارة ، وإذا تفاسخوا يكون النصر سجلاً بين الفريقين .

وكثيراً ما كان يظهر للإمام منهم من إخوانه وأبناء عمه معارض أو معارضان أو ثلاثة أو أربعة في وقت واحد ، أو في أوقات متتابعة لجواز ذلك في المذهب الزيدي ، ولادعاء كل منهم بمحيازة شروط الإمامة أكثر من غيره ، فلا يسع القوي منهم إلا مهاجمة الضعيف ، فينشب القتال فتسفك الدماء حتى يفوز أحدهم وينفرد بها ، وفي خلال ذلك تبقى بلاد اليمن المنكودة الحظ في أمر مريع وعويل

وضجيج ، وقل من هؤلاء الأئمة من مات حتف أنفه ، بل إن كثيراً منهم مضى مسجوناً أو مسموماً أو محزوز الرأس أو مسمول العين .

ولا تتسع هذه العجالة لأسمائهم وأخبارهم وأعمالهم التي ليس فيها سوى أحاديث الفتن والكوارث الآخذ بعضها برقاب بعض ، وكلها من أجل نوال الإمامة أو تدعيم السيادة ، على أن كثيراً من هؤلاء الأئمة كان على جانب غير يسير من علوم اللغة والمذهب الزيدي ، ول بعضهم في هذه العلوم فقط مؤلفات^(١) .

أما في موضوعات العمران والإنشاء وفيما يعود لإصلاح البلاد وإسعاد العباد فلم ير أو يسمع أن أحداً منهم أتى بأثر جدير بالتنويه والشكر على الرغم من مؤاتاة الأحوال وطول البقاء لكثير منهم ، مما يدل على أن هذه الأمور والأعمال الأساسية كانت خارج تصورهم وتقديرهم ، اللهم إلا بعض الأضرحة والقبب والمساجد والبرك . وقد زرت قسماً منها سنة ١٣٥٤ هـ وتحققت ذلك الإهمال والتواني .

وقد برز من هؤلاء الأئمة في الحروب والغارات خلال القرن العاشر المتوكل يحيى شرف الدين الذي دامت إقامته ٤٢ سنة (٩٢٣ هـ - ٩٦٥ هـ) ، فقد قاتل ملوك بني طاهر وأمراء الشراكسة وباشوات الترك العثمانيين ، ثم خلفه ابنه

(١) إن كثيراً من هذه المؤلفات التي وضعها الأئمة المذكورون وملوك بني الرسول وغيرهم من نبغ في البين من قبل ومن بعد قد خرج من البين وانتقل إلى استانبول بيد الترك ، أو إلى إيطالية بيد الإيطاليين ، وقد جمع الإيطاليون واشتروا كتباً كثيرة من البين ، ووضعوها على ماعلت في مكتبة الأمري وزيلغا في ميلانو ، ومعظمها في فقه المذهب الزيدي ، وبعضها دواوين شعر لبعض الشعراء بالبين ، وقليلها في تاريخ البين عامة وصنماء خاصة ، وما زال خروج الكتب مستمراً حتى فقدت كتب التاريخ الصالحة للمراجعة أو كادت . حتى إن اللجنة التي ألفتها إدارة المعارف في صنماء لتدوين تاريخ البين ظلت تذيع في جريدة الإيمان (كما في العدد ١٤٣ ربيع الثاني ١٣٥٧) وتستنهض جميع من عنده أمثال هذه الكتب لكنها لم تظهر .

المطهر ، وهذا دامت إقامته ١٥ سنة (٩٦٥ هـ - ٩٨٠ هـ) كان اليد اليمنى لأبيه من قبل ، وقد قاتل عامر عبد الوهاب وعامر داوود وكانا آخر ملوك بني طاهر كما قاتل الترك العثمانيين في معارك عظيمة استمرت أعواماً طويلة .

ويشبهه في مقاتلة الترك المنصور القاسم بن محمد المتوفي سنة ١٠٢٩ هـ إلى أن خرج الترك في زمن خلفه المؤيد محمد بن القاسم سنة ١٠٤١ هـ ، فخلا الجو في اليمن بعدهم للأئمة وتفردوا في حكم الجبال والتهائم كلها حتى-عدن وحضر موت وذلك خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر وكل الثاني عشر وأكثر الثالث عشر (١٠٤١ هـ - ١٢٨٩ هـ) .

ولم يخل أحد هؤلاء المدة الأخيرة المذكورة أيضاً من معارضين من إخوانه وأبناء أعمامه ، وكل منهم يحاول التفرد بالإمامة ، فيقوم في أحد أنحاء الجبال ويدعو لنفسه ، وتهيج الفتن والكوارث الدامية الهدامة التي تقدم وصفها ، وهي من أجل أسباب زوال سعادة اليمن القديمة ،

ولم ينبغ في هذه المدة منهم سوى المتوكل إسماعيل المتوفي سنة ١٠٧٩ هـ ، ظل إماماً ٣٣ سنة ، واستولى بعد معارك شديدة على لحج وعدن وحضرموت ، إلا أن قبائل هذه البلاد وأمرائها ظلوا يناجزون الأئمة الذين خلفوا المتوكل إسماعيل حتى تم لهم الخلاص والاستقلال عنهم حول سنة ١١٤٥ هـ .

ونبغ منهم أيضاً المهدي العباسي المتوفي سنة ١١٨٩ هـ واشتهر بفضلته وبيناء المساجد والبرك وباستقرار الأمن نوعاً ما في عهده ، وهذا هو الإمام الذي بنى الهوى في اسمه سائله ، وهو الذي زاره السائح الدانركي نيبوهر سنة ١١٧٦ هـ ووصف كيفية دخوله عليه ودرج في رحلته صورة مجلس الإمام المذكور^(١) .

وظل حال الأئمة على شيء من القوة إلى أن ضعف في أوائل القرن الثالث

(١) وصف جزيرة العرب لنيبور (١٧٣٣ - ١٨١٥) (م |) .

عشر ، وكثرت الفتن في ديارهم وعجزوا عن إطفائها ، واشتد الاختلال والاعتلال في عهد المنصور علي بن العباس والمهدي عبد الله بن أحمد ومن أتى بعدهما ، وثارت القبائل سنة ١٢١٦ هـ وعمت الفوضى وحوصرت صنعاء محاصرة شديدة سنة ١٣٢٣ هـ ، وخرجت التهائم من يد الأئمة إلى يد الأشراف من أهلها وظلت في يدهم إلى أن أرسل خديوي مصر محمد علي باشا جيشاً في سنة ١٢٥١ هـ ، واستولى على عسير والحديدة ومخا وتعز ومخاليقها ثم تركها لهم سنة ١٢٥٦ هـ . وانحصر الأئمة في الين الأعلى فقط . والفتن قائمة والسبل خائفة والشرائع عاطلة ، وحوهم قليل إلى أن اضطروا إلى استدعاء الترك العثمانيين سنة ١٢٦٥ هـ أولاً ، ثم في سنة ١٢٨٩ هـ ثانياً على ما سذكره إن شاء الله تعالى .

الدولة العثمانية في دورها الأول ٩٢٧ هـ - ١٠٤١ هـ :

لما فتح السلطان سليم مصر سنة ٩٢٣ هـ واستولى على الخلافة ، وصار يخطب له في الحجاز أيضاً ، رأى أن لابد من أخذ الين مادام الين دعامة الحجاز ، وبلغ نوابه في مصر وجدة ضعف حال الين في تلك الحقبة وخلوه ممن يحسن الذود عنه ، فبعثوا من قبلهم أمراء وجنوداً جاؤوا في سنة ٩٢٧ هـ وقتلوا الأمير إسكندر الشركسي واستولوا على التهائم والين الأسفل فقط ، أما الين الأعلى في الجبال فقد ظل بيد الإمام يحيى شرف الدين .

لكن أولئك الأمراء ظلوا عدة سنين يتنازعون فيما بينهم على الولاية ولم يحسن أحدهم الإدارة والسياسة ، فرأى الإمام شرف الدين ، الذي أشرنا إلى مقدرته وبسالته ، الفرصة سانحة فشرع سنة ٩٣٤ هـ هو وابنه المطهر يناجز العثمانيين ويدفعهم حتى أخذ التهائم ووصل إلى لحج وأبين وجيزان وأبي عريش ، ولم يبق في يد العثمانيين سوى زبيد التي تحصنوا وراء أسوارها .

ولما رأت الدولة هذه الحالة ، بدأت منذ سنة ٩٤٥ هـ تهتم بالين وصارت

ترسل من العاصمة قواداً أكثر عدداً وكفاية من الأولين ، وجعل هؤلاء استرداد الين وإكمال فتحه نصب أعينهم ، وما زالوا يراوون الإمام شرف الدين القتال ويغادونه ، حتى تسنى لأحدهم : إزديمير باشا أن يستولي بعد معارك شديدة على صنعاء في سنة ٩٥٤ هـ . ثم سار إلى الشمال واستولى على صعدة في سنة ٩٦٠ هـ فدان له بذلك كل الين وعدوه : (فاتح الين الأول) ، وعقد صلحاً مع الإمام المطهر الذي خلف أباه ، وظل هذا بموجبه قابلاً في معتصمه في حصن ثلا . ثم جاء بعده ولاية ضعفاء كان أحدهم واسمه رضوان باشا مأفوناً^(١) فنقض الصلح المعقود مع الإمام المطهر واعتدى عليه ، لكنه لقي جزاء بغيه وانكسر في المعارك التي أثارها ، وكان سبباً لانتقال أكثر بلاد الين إذ ذاك إلى الإمام المطهر ، ولم يبق في يد العثمانيين سوى زبيد ، على أن هؤلاء لما رأوا ماحل بهم عادوا فأرسلوا سنة ٩٧٦ هـ قائداً مغواراً اسمه سنان باشا الكبير^(٢) استطاع بعد حروب هائلة أن يسترد أكثر بلاد الين من يد الإمام المطهر فعدوه (فاتح الين الثاني) .

ومن مشاهير الولاة الذين خلفوا سنان باشا ، يذكرون مراد باشا الملقب بجفار الآبار^(٣) وجد في سنة ٩٨٣ هـ ، وبني جامعاً في حصن صنعاء الداخلي المسمى بالقصر وآخر في تعز . وهو الذي جلب إلى صنعاء ماء من سفح جبل تقم فسمى هذا الماء (غيل باشا) .

(١) مأفوناً : ضعيف الرأي (ح) .

(٢) تولى سنان باشا هذا الصدارة العظمى عدة مرار وتوفي في سنة ١٠٠٤ هـ ، وكان صاحب أموال جسيمة ومبرات عديدة منها الجامع المنسوب إليه في دمشق ، والخانات التي ينزلها المسافرين في بلاد الشام وغيرها والباقي منها سالماً أكثر من غيره خان القطيفة وخان سسع قرب دمشق ، وواحد في الين لا يزال يدعي باسمه ، هذا عدا المساجد والمدارس والحمامات ، أنفق على هذه المعاهد الخيرية فيما قيل مليوني دينار ، ويعد أكثر وزراء آل عثمان أثراً ونفعاً لولا ما قيل أيضاً عن بطشه وجبروته .

(٣) لأنه كان في بلاد الأناضول وفي فتن الخوارج التي أطفئوها ، وكان يلقي بجثث من يقع في يده في الآبار فلقب بها .

ويذكرون أيضاً حسن باشا الأرناؤوط في سنة ٩٨٨ هـ واستولى على صعدة وأجلى أبناء الإمام المطهر إلى إستانبول وبنى جامع البكرية المشهور والقائم حتى الآن في صنعاء ، وبنى مساجد وخانات عديدة .

ويذكرون أيضاً سنان باشا الكتخدا في سنة ١٠١٣ هـ له خيارات عديدة كتبليط عقبة شهارة وبناء مساجد وقبب وبرك .

ويذكرون أيضاً الحاج محمد باشا في سنة ١٠٢٥ هـ الذي حفر بئر الباشا ، أعذب بئر في صنعاء ، وبنى سور بلدة يريم ، ورمم سورَي صنعاء وزبيد ، وله خيارات أخرى .

ثم خلف هؤلاء ولاية مافونون أساؤوا التدبير وعكفوا على الجور وابتزاز الأموال ، وعاصمة السلطنة البعيدة في غفلة عن مراقبتهم ومحاسبتهم ، لأن الانحطاط كان قد دب فيها منذ أوائل ذلك القرن ، وانصرف السلاطين إلى الخمول واللهو فاهتبل الأئمة هذه الفرر ، وصاروا يناجزون ولاية الدولة كلما أنسوا منهم ضعفاً ، إلى أن تمكن أحدهم وهو الإمام المؤيد محمد بن القاسم في سنة ١٠٤١ هـ من إخراجهم من الين كله داخله وساحله . فانتهى بذلك دور الترك العثمانيين الأول الذي دام ١١٤ سنة ، أبقوا خلاله بعض المباني والمآثر الخيرية ، والابتزاز شأنهم في أكثر الأزمنة والأمكنة . ويذكر أنهم كانوا في ذلك الدور يقيمون في الين كله جيشاً لا يزيد عن عشرين ألف ، ثلاثة أرباعه من أبناء عرب الين ، وأن ولاية الين كانت إذ ذاك تجني نحو نصف مليون دينار ذهبي ، وأنها كانت بعد أن تنفق من هذا المبلغ على الموظفين والجيوش والحروب تبعث (١٥٠,٠٠٠) دينار إلى عاصمة السلطنة^(١) .

(١) تاريخ الين وصنعاء ، أحمد باشا ٢٥٧/١ طبع الآستانة عام ١٢٩١ هـ .

دور استقلال اليمن ١٠٤١ هـ - ١٠٨٩ هـ :

بعد أن زال حكم العثمانيين عن اليمن في سنة ١٠٤١ هـ ارتاح الأئمة الزيدية واستقلوا في جباله وتهاشمه كلها استقلالاً تاماً ، وظلوا سائدين نحو قرنين ونصف لا ينازعهم خلالها أي منازع غريب ، سوى من كان يظهر في التهاشم من أشرف أهلها الشافعية وأمرائهم ، فقد كان هؤلاء كما قدمنا لا يرون الخضوع للزيدية ولا يرضون بضياح سيادتهم من أيديهم ، فظلوا يناجزون الأئمة ويدافعونهم عن التهاشم حتى تم لهم ما أرادوا في منتصف هذا الدور وأواخره .

وقد كان ينتظر من الأئمة المذكورين بعد أن استقلوا وسادوا وهذا بالهم أن ينصرفوا إلى تنظيم شؤون اليمن وإعادة عمرانها بعد أن أنهكتهم الحروب والكوارث الماضية ، وأن يعنوا بالمشاريع والأعمال الخيرية المفروض صدورها من أمثالهم ذوي العلم والفضل العزيزين ، والسيطرة البالغة جداً إلى حد التقديس ، ولا سيما أموال الضرائب والصدقات المأخوذة من الرعية ، وقد كانت تجي إليهم كلها دون هودة وتكنز في خزائن صنعاء ، لكن شيئاً من ذلك لم يحصل ، بل اكتفى الأئمة المذكورون بإدارة بلادهم ومعاملة رعيته على مناهج بالية . وأشد ما كان يهمهم هو جباية أموال الصدقات والضرائب المذكورة وذكرها ، وإنفاق قسم منها في مدافعة وثبات الطامعين بنوال الإمامة من أقاربهم ، أو إخماد ثورات القبائل التي كانت - ولا سيما في أواخر - هذا الدور تكثر بحكم سوء الإدارة أو المجاعات .

على أن العثمانيين لم ينسوا اليمن طوال ذلك الدور بل ظلوا يتحينون الفرص لاسترداده باعتباره دعامة الجزيرة العربية وسور الحجاز المتين ، وأنه بدون الحجاز ووراء اليمن لا تستقيم لهم دعوى الخلافة الإسلامية ، لكن اضطراب شؤونهم الداخلية وانشغالهم بالفتن حالت دون ذلك إلى حين

ظل الين مستقلاً في الدور الذي ذكرناه آنفاً (١٠٤١ هـ - ١٠٨٩ هـ) استقلالاً حال من أمنية العثمانيين بالقضاء عليه اشتغالهم باضطرابات شؤونهم الداخلية بإطفاء الفتن والثورات في ولاياتهم المترامية الأطراف ، فضلاً عن حروبهم المتوالية مع الروس والنساويين وغيرهم إلى أن جاء محمد علي باشا رأس الأسرة الخديوية في مصر ، بعد أن استتب له الأمر ولحظ حالة الين ومكانته المذكورتين ، فحملته مطامحه البعيدة على انتهاز الفرصة ، فأرسل أحد قواده واسمه أمين بك واستخلص اللحية والحديدة من يد الأشراف وقسماً من التهايم في سنة ١٢٥١ هـ ، وعززه بعد بأخراسه إبراهيم باشا اليكن فأتى هذا فتح التهايم وأنحاء تعز من الين الأسفل ، ولكن عقيب مؤتمر لندن سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م واضطرار محمد علي باشا إلى إخلاء بلاد الشام والحجاز التي كان استولى عليها ، رجعت الجنود المصرية من الين فلم يكن في وسع الدولة العثمانية إذ ذاك أن ترسل جيشاً لاحتلال الين ، فاكثفت بتسليم التهايم مؤقتاً إلى حسين بن علي أحد شرفاء بلدة أبي عريش وعقدت معه اتفاقاً ، فظل هذا محتفظاً بما سلم إليه ، يدافع إمام صنعاء المتوكل الذي قصده وحاربه ليستولي على مايبده .

وفي سنة ١٢٦٥ هـ أرسلت الدولة توفيق باشا القبرسي مع جيش نزل في الحديدة ، ثم تقدم إلى صنعاء باستدعاء الإمام محمد بن يحيى ، وقد كان هذا الإمام ضعيفاً قاصراً عن إخماد ثورة القبائل ضده ، فاستنجد المعونة من الدولة ، لكن أهل صنعاء وثبوا على جند توفيق باشا المذكور على حين غرة ، وقتلوا عدداً منهم وأرجعوا الباقين مثخنين بالجراح إلى الحديدة ، وكانوا أسقطوا الإمام المذكور لأنه استنجد بالدولة وأهانوه ثم قتلوه ، ونصبوا مكانه علي المهدي ، ثم جاء بعده من العثمانيين متصرفون عديدون إلى الحديدة وحدها وكانوا لا يتجاوزونها إلا قليلاً ، وكثيراً ما كان أمراء عسير من آل عايض الذين نبغوا في تلك الحقبة يهاجمون المتصرفين ويزعجونهم .

ولما استفحلت شرور الأمير محمد بن عايض في عسير وتهامة ، وهاجم الحديدة سنة ١٢٨٧ هـ ، ساقى الدولة إليه جيشاً بقيادة المشير رديف باشا ، ففتح عسير وقتل ابن عايض وقضى على إمارته ، وكانت صنعاء إذ ذاك تموج بالفتن من عجز الأئمة وعصيان القبائل وانقطاع السبل ، فاستنجد الأئمة والسادة بالدولة بواسطة شريف مكة ، وكان هذا ثاني استنجد ، فأمرت الدولة الغازي أحمد مختار باشا الذي خلف رديف باشا في قيادة جيش عسير أن يذهب إلى صنعاء ويقر الأمن ويملكها باسم الدولة ويبسط سلطانها على الين كله ، فجاءها في سنة ١٢٨٩ هـ وأطفأ فتن قبائلها بعد معارك عديدة أجلها ما قاساه في حصار حصن كوكبان ، وأخضع الين جباله وتهامه - ماعدا أنحاء صعدة الشمالية ومأرب الشرقية - وأسس ولاية الين من ذلك الحين وقضى على نفوذ الأئمة الذين كانوا يظنون أن الدولة بعد أن تنجدهم تعود أدراجها وتترك لهم البلاد ، فأوى هؤلاء بعد حين إلى زواياهم في صنعاء أو إلى معاقلمهم في القسم الشمالي من الجبال ، كصعدة وشهارة وقفلة العذر ، وقنعوا بالسلطة الروحية واحتجوا أموال الصدقات من أتباعهم الزيدية ولبثوا يتحينون الفرص للانتفاض واسترداد مافاتهم من الملك الذي أعطوه فلم يحسنوا سياسته .

الدولة العثمانية في دورها الثاني ١٢٨٩ هـ - ١٣٣٧ هـ : بعد أن فتح الغازي أحمد مختار باشا بلاد الين وأسس ولايتها كما قدمنا ، بدأت الدولة تهتم في شؤون هذه الألوية لمساعدتها أحوالها المضطربة إذ ذاك وبعد المشقة ، وكان ذلك في أواخر عهد السلطان عبد العزيز المشهور بهوجه وتبذيره .

ولكن الدولة لم تلبث أن رجعت إلى عاداتها في الإهمال بحكم ازدياد الاضطراب في عاصمة السلطنة وخروج أمم البلقان إذ ذاك عليها واضطرارها إلى مواجهتهم وإخماد ثوراتهم ، وزاد هذا الإهمال بعد بسبب نشوب الحرب الروسية سنة ١٢٩٤ هـ وانكسار جيوش الدولة فيها وانصرافها عقيبها إلى رتق فتوقها ،

ودخل عهد السلطان عبد الحميد الطافح بسوء السياسة والإدارة والتجسس ،
والبن النكد الحظ أكثر ما كان يجيئه من الولاة والموظفين الطالحين والمأفونين
وبعضهم من المغضوب عليهم والمطلوب إقصاؤهم ، فكان هؤلاء يجعلون دأبهم الجور
والعسف وابتزاز الأموال للرجوع بأكبر غنية إلى بلدانهم .

وإذا جاء ولاية صالحون فما يكادون يشرعون بالإصلاح وتبدأ أعمالهم بإتيان
الثروات حتى تستدعيهم الدولة إلى أماكن ووظائف أخرى ، فلا تدعهم ينهون
ما شرعوا به من المنشآت والإجراءات النافعة ، نعد من هؤلاء الذين كانوا قليلين
ويا للأسف : المشير أحمد أيوب باشا (سنة ١٢٩٠ هـ) بنى هذا في صنعاء عدة
مباني أميرية ، أجلها المستشفى العسكري الكبير الذي اتخذه الإمام يحيى مسكناً له
وسماه (دار السعادة) ، ونذكر الفريق إسماعيل حقي باشا (سنة ١٢٩٦ هـ) ، فتح
عدة مدارس وجند عدة أفواج من متطوعة أهل الين على النحو الذي عمله
العثمانيون في دورهم الأول ، وقد أتقن هؤلاء المتطوعة الخدمة وأبلوا أحسن بلاء في
إطفاء فتن القبائل من أبناء جلدتهم ، لكن الإدارة الحميدية الهوجاء استوحشت من
هذا الجند العربي على إثر تقارير بعض الجواسيس فأمرت بحمله ، وبذلك قضت
على هذا المشروع الذي كان نافعاً كل النفع لها ولأهل الين معاً ، ولم تعتبر
- وقتئذ - بالدول الأوربية التي تجند من أبناء مستعمراتها ، وتقاتل بهم وتفتح
مستعمرات أخرى بسواعدهم فتوفر من دماء أنبائها الأصليين ونفقاتهم الشيء
الكثير .

ونذكر الفريق عثمان باشا المشهور بورعه وعدله سنة ١٣٠٦ هـ ، والمشير أحمد
فيضي باشا الذي كان قائداً مغواراً أنقذ صنعاء من الحصار مرتين في سنة ١٣٠٨ هـ ،
وفي سنة ١٣٢٢ هـ ، على أنه كان عسوقاً أيضاً ، وحسين حلمي باشا الصدر الحنك
المشهور بعدله وحكمته ، الذي فتح في سنة ١٣١٥ هـ المدارس الصناعية والإعدادية
ودور المعلمين في صنعاء وتعز ، وقضى على الظلم والرشوة ، وشرع بإصلاح أمور الين
إصلاحاً حسناً لولا إغراض عاصمة السلطنة وإهمالها تلبية مطالبه .

ونذكر حسن تحسين باشا سنة ١٣٢٦ هـ المشهور برزاقته وحسن إدارته .
ونعد من المشهورين بعسفهم وجورهم مصطفى عاصم باشا سنة ١٢٩٣ هـ وعثمان
باشا سنة ١٣٠٥ هـ والمشير عبد الله باشا سنة ١٣١٨ هـ .

أما الأئمة الزيدية فبعد أن ذهبت ريحهم عقيب دخول الدولة وسدت في
وجوههم أسباب العيش والمقام في صنعاء انتقلوا منها إلى معاقلمهم في شمالي اليمن
فقطن الإمام المتوكل محسن بن أحمد الشهابي المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ في حاشد ،
والإمام الهادي شرف الدين محمد المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ في هجرة صعدة ، والإمام
المنصور محمد حميد الدين المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ في قفلة العذر ، ولبثوا كل منهم في
زمنه يبتهلون الفرر من ضعف الدولة وفوضى إهمالها وعسف ولايتها وجور
موظفيها وارتكابهم ، فيعلنون الوثوب عليها الفترة بعد الفترة ويستنفرون القبائل
بمختلف العهود والوعود ويشنون بهم الغارات على مراكز الجند وقوافلمهم ،
ويحاصرون صنعاء وغيرها من المدن كلما تمكنوا .

وهؤلاء القبليون هم سكان قرى اليمن وأرباب زرعه وضرعه ، أناس مابرحوا
على الفطرة وبعضهم على الهمجية ، وتراهم حتى الآن حفاة ونصف عراة اعتادوا
أن يتبعوا كل ناعق وداع ، ولا سيما إذا كانوا موتورين من الظلم وابتزاز الأموال ،
وهو ما كان يقع في الغالب . وقد صار بعد سنة ١٣٠٠ هـ يردهم السلاح الحديث
بكثرة ، يهربه تجار الأجانب من سواحل البحر الأحمر المهمة دون مراقبة .

أما الدولة ذات الخبط والارتباك فكانت ترسل الوالي تلو الوالي ولمدة
قصيرة ، وأكثرهم من نوهنا بطلانهم وجورهم ، وتزجي الجيش وراء الجيش قعاً
للفتن قبل الناشئة ، وهي لو أنها عوض الضحايا والجهود العظيمة التي بذلتها
وخسرت معظمها وقتئذ ، اهتمت للفتن قبل التهاب شرورها ، وأبقت الولاة
والقواد الصالحين الذين ذكرناهم ، وأصغت إلى لوائهم ونصائحهم ، وأطلقت
أيديهم في إقامة العدل وحسن السياسة والإدارة بما يتناسب مع حاجة بلاد اليمن

وأهله وأمزجتهم ، لما وجد القائمون عليها حججاً للقيام وبواعث للدعوة والاستنفار ، ولما سالت تلك الدماء الزكية لمئات الألوف من المسلمين الإخوان أبناء ترك الأناضول وعرب الشام من جهة وأبناء عرب اليمن من جهة أخرى ولما عم الدمار والبؤس اللذين لاتزال آثارهما المحزنة ماثلة في كل أنحاء اليمن .

ولا تتسع هذه العجالة لتعداد ما حدث في هذا الدور من المعارك الحربية والكوارث الفجيعة ، فقد فصلها بعض القواد العثمانيين ممن حضروها في مؤلفات خاصة ، وعندنا منها كتب أحمد راشد باشا وعاطف باشا وثروة باشا ، وقد كان يفنى من الفريقين في تلك المعارك المشؤومة ويخرب من البلدان الأخرى والقرى ويهلك من الحرث والنسل ما لا يعد ولا يحصى ، وأكثر الضحايا كانت تقع في جنود الدولة الذين كان تسوقهم في غير رفق من أنحاء الأناضول والشام ، وأكثر ما كان يؤدي لهلاك أولئك الجنود هو ما كانوا يقاسونه خلال سوقهم في اجتياز مئات الأميال في البر مشياً على الأقدام وفي تكديسهم في بواخر البحر ونقلهم كالأنعام ، حتى إذا وصلوا إلى اليمن ، بعد لأي وصاروا يقطعون قفاره وجباله الشاهقة ، يقابلهم تقلب هوائه الحار في تهامة والبارد في الجبال واختلافه عما في جو بلادهم ، ثم الأمراض المتنوعة التي كانت تصيبهم من فقدان التطبيب والمداواة أو قتلها ، ثم نقص الكساء والغذاء ورداءة المأوى والانقطاع عن الأهل خمسة أو ستة أعوام لمن يتاح له البقاء والرجوع بعد ذلك العناء ، ناهيك بالحروب التي كانت تأكلهم ... كل ذلك مما لا يزال يذكره بمرارة وتوجع من أدركوه وذاقوا محنته بأنفسهم أو الأسر التي فجعت بواحد أو أكثر من ذويها ، وما أكثرها في بلاد الشام .

وكان المبرز بين الأئمة الذين ذكرناهم أخيراً في مضمار الوثوب على الدولة واستنفار القبائل وتدوير رحى المعارك ومحاصرة صنعاء وغيرها من المدن هو المنصور محمد حميد الدين المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ ، وابنه المتوكل يحيى الذي تقلد

الإمامة عقيب وفاة أبيه . وكان أكثر حظاً وتوفيقاً منه ومن أسلافه كلهم . وقد أثار على العثمانيين حروباً شديدة وثورات عظيمة وحاصر صنعاء محاصرة هائلة في سنة ١٣٢٢ هـ وأطعم أهلها والجنود الذين كانوا محصورين فيها النار والعار .

وحدثت وقتئذ مجاعات فتاكة أودت بالألوف من اليمانيين أنفسهم فوق ما نالهم من الحروب والكوارث المختلفة ، وقد ذكر الشيخ الواسعي اليماني في كتابه تاريخ الين ص ١٩٧ - ٢٠٣ وصف هذه المحاصرات والمجاعات وما خلفته وقتئذ في صنعاء وغيرها من الآثار المحزنة والدمار والبوار .

ودام الحال تارة بالسكون وتارة بالثورات إلى أن دخل عهد السلطان محمد رشاد عقيب إعلان الدستور العثماني سنة ١٣١٦ هـ وشرعت الدولة بلم شعثها وإصلاح بلادها ، لكن الين لم يذق طعم هذا العهد كغيره ، فقد ظل الإمام يحيى يغادي الدولة ويراوحها فيما يثيره من القلاقل والإحن ، وحاصر صنعاء مرة ثانية في سنة ١٣٢٨ هـ حتى أيقنت الدولة بعجزها عن دفع طائلته ، فاعتمدت سنة ١٣٢٨ هـ أحد قوادها المحنكين المشير أحمد عزت باشا ، فجاء وفك حصار صنعاء ثم عقد مع الإمام معاهدة صلح اعترفت الدولة بإمامته على الزيدية وبسلطته على الأحكام الشرعية والأوقاف الخاصة بهم في منطقة الجبال وخصصت له راتباً مناسباً ، وبهذا هدأت الحالة من بعد ذلك التاريخ إلا ما كان يحدث بين القبائل النزاعة للاقتتال والاختلاف وبين الإمام وأحد أقاربه المسمى بالضحياني المعارض له بالإمامة ، وما نجم من فتنه الإدريسي في عسير الذي لاذ وقتئذ بالطليان وحارب الدولة وحاصر بلدة أبها وغيرها . فاستعانت الدولة على قتاله بالشريف حسين بن علي أمير مكة في ذلك الحين وملك الحجاز بعده .

حديث اليمن

سأقتني التقادير في مطلع عام ١٩٣٦ إلى اليمن . وكان ذهابي إجابة لطلب جلالة مليكه الإمام كي أخدم زراعة بلاده وأنظر إلى ما يؤدي لصلاحها في ستة أشهر حددها . فذهبتُ وقتُ في تلك المدة المتناهية في القصر بأقصى ما يمكن أن يؤتي في خدمة الزرع والغرس . منها أنني فتحت مدرسة زراعية علمتُ فيها بعض شبانهم أهم نظريات الزراعة الحديثة وعملياتها ، واستجلبت من مشاتل الشام ومصر وإيطالية ووزعت وغرست ألوفاً من أشجار الفاكهة والحراج على اختلاف أنواعها وأصنافها ، وكلها مما وجدته نافعاً ومناسباً لحاجة أودية اليمن الأعلى وجباله وما لاعد لليمنيين به من قبل ، وكتبت ونشرت عدة مقالات ورسائل في أجل الموضوعات الزراعية الحديثة التي تعوزهم وتفيدهم .

وقد كنت خلال أعمالي الزراعية المذكورة في صنعاء والأنحاء القليلة التي مكنوني من زيارتها أتسم المعلومات الجغرافية والتاريخية والطبيعية والعمرانية وما إليها ، فحصلت على نبذ منها رأيت على قلتها أن أنشرها في « المقتطف » . وقد حفزني إلى ذلك أن اليمن لا يزال غير معروف في جملته ، لم يكتب عنه في الماضي والحاضر كتابات كافية . وما كتب في اللغة العربية خاصة قلما شمل الأبحاث التي عنيت بها . لأن اليمن كان وما برح كالموصد في وجوه الغرباء ولا سيما الباحثين منهم ، ولم يتسنَّ جوس دياره والتاس مجاهله إلاّ للقليل من الشرقيين والغربيين ، ولا يزال مجال البحث والكتابة فيه واسعاً يحتاج إلى جهود جمة .

نبذة جغرافية

(الحدود) اليمن قطرّ واسعٍ مستطيل الشكل في الزاوية الجنوبية الغربية من جزيرة العرب . وحدوده الرسمية في يومنا من الشمال بلاد عسير العائدة للمملكة العربية السعودية يفصله عنها خط يمتد من ميناء ميدي على البحر الأحمر إلى شمالي بلدة صعدة متبعاً وادي مخلاف إلى حدود نجران ويام الجنوبية^(١) ، وحدوده من الجنوب المحميات التسع المرتبطة بمستعمرة عدن^(٢) يفصله عنها خط يمتد من الشيخ سعيد تجاه باب المندب إلى جنوبي بلاد الحجرية وماوية وقعطبة ، ومن الشرق بلاد حضرموت يفصله عنها وادي بيحان وبادية الجوف الممتدة إلى الربع الخالي ، ومن الغرب البحر الأحمر .

وقد سُمي اليونان بلاد اليمن بالعربية السعيدة Arabia Felix وسماها العرب بالخضراء^(٣) ، وذلك لكثرة أشجارها وزروعها ووفرة خيرها وميرها بالقياس إلى بقية أقطار الجزيرة العربية القاحلة في الغالب . واليمن في عرف العرب هو الجزء الجنوبي من جزيرتهم ، أو هو كل ما كان جنوبي الحجاز كما أن الشام هو كل ما كان شمالي الحجاز . وكانوا يجعلون حدوده من البحر الأحمر غرباً إلى خليج فارس شرقاً ، فيدخلون فيه حضرموت وعمان والربع الخالي ولواء عسير والمحميات التسع وعدن إلا أن هذا التحديد كان اعتبارياً في أغلب العصور ولم يتحقق إلا قليلاً .

(١) قلب جزيرة العرب لحافظ وهبة .

(٢) هي الإمارات والمشخات الكائنة في جنوبي اليمن الأسفل التي دخلت تحت حماية الحكومة البريطانية منذ احتلال عدن سنة ١٨٣٩ م ١٢٥٣ هـ . وهي لحج والصبيحة والحواشب والقطيب والموالق والضالع والواحي والعواذر .

(٣) صفة جزيرة العرب للهمداني .

لأن عمان وحضرموت إن تبعتا الين قبل الإسلام في عهد الحميريين لم تتبعاه بعد الإسلام ، بل ساد فيهما ولاية مرتبطون بعاصمة الخلافة مباشرة ، أو أمراء محليون مستقلون . وبلاد عسير كانت بيد بعض الأمراء أيضاً ، وآخر هؤلاء في القرن الماضي آل عايض .

وكان أشراف مكة في الشمال وأمراء نجد في الشرق وأئمة الين في الجنوب يدعون بامتداد نفوذهم إلى بعض المناطق أو القبائل من عسير ونجران المجاورة لهم . ولما استفحل أمر محمد بن عايض وهاجم تهامة وحاصر الحديدة جردت الدولة العثمانية عليه في سنة ١٢٨٨ هـ جيشاً بقيادة رديف باشا فشنت شمله وقضى على إمارته وجعل عسير لواءً مرتبطاً بولاية الين التي تألفت في السنة التالية على إثر استرداد صنعاء بيد أحمد مختار باشا الغازي .

وظل لواء عسير بأقضيته الستة : أبها ومحائل ورجال المع وقنفذة وبني شهر وغامد وصيبا ، تابعاً لصنعاء أولاً ثم لمقر السلطنة في إستانبول أخيراً ، حتى ثار فيه الأدارسة عقيب إعلان الدستور العثماني ، وحاربوا الدولة ثم استقلوا قبيل الحرب العامة ووطدوا استقلالهم بعدها .

ولما جلا العثمانيون عن الين سنة ١٣٣٧ هـ واستتب الملك فيه للإمام يحيى قاتل الأدارسة الذين كانوا مدوا أيديهم إلى تهامة الين واستولوا على الحديدة . وبعد أن أخرجهم في سنة ١٣٤٣ هـ عزم على أخذ عسير - معتبراً إياه من الين .

ولما شعر الأدارسة بعجزهم عن مقاومته التجؤوا سنة ١٣٤٥ هـ إلى عبد العزيز بن السعود ملك الحجاز ونجد ووضعوا بلادهم تحت حمايته .

وظل الإمام يحيى يحاول الاستيلاء على عسير وعلى مخلاف نجران المحتمي بالحجاز ونجد من قبل ، وتفاقم الخلاف من جراء ذلك بينه وبين الملك عبد العزيز . ونشبت الحرب في سنة ١٣٥٢ هـ وتقدمت الجيوش السعودية في

تهامة الين حتى الحديدة وباجل . فاضطر الإمام يحيى إذ ذاك للتسليم بالحدود التي ذكرناها في مقدمة مقالنا ، وقضى الأمر بانفلات عسير ونجران من الين نهائياً .

(أقسام الين قديماً) كان الين قبل الإسلام يقسم إلى مخاليف ، والمخلاف كما قال ياقوت في معجم البلدان بمنزلة الكور والرساتيق ، ولكل مخلاف اسم يعرف به ، وهو قبيلة من قبائل الين أقامت به وعمرته فغلب عليه اسمها . فمن المخاليف التي ذكرها ياقوت : أثين ولحج وبئحان وشبوة والمعافير واليخصيين والعوود والسحول ورعين وجيشان ورداع ومأرب وزيمة وذمار وغيرها ، وكل مخلاف تحتة محافد ومدن وقرى .

وفي صدر الإسلام قسمت أعمال الين على ثلاثة ولادة فوال في الجند^(١) ومخاليقها وهو أعظمها ، ووال في صنعاء ومخاليقها وهو أوسطها ، ووال على حضرموت ومخاليقها وهو أدناها .

وفي العصور الإسلامية المتوسطة قامت في الين ، وتداولت الحكم دول أو الأصح دويلات عديدة كان أكثرها في تهامة وبعضها كأئمة الزيدية في الجبال . ودولة الأئمة كانت أطولها عمراً . ودخل العثمانيون الين في القرن العاشر ، ولكن لم يلبثوا إلا قرناً حتى غادروه مرغمين ، وظلوا يتحينون الفرص لاسترداده ، اعتقاداً منهم بأن الين دعامة الجزيرة العربية وحصن الحجاز الحصين ، وأنه بدون الحجاز والين من ورائه لا يستتب البقاء لخلافتهم الإسلامية .

ففي القرن الماضي سنة ١٢٨٨ هـ فتحوا عسير على ما قدمنا ، وفي سنة ١٢٨٩ هـ فتحوا صنعاء ومعظم جبال الين وكل تهامة ، فدانت لهم هذه البلاد وأسسوا فيها : ولاية الين ، وما زالوا حتى أخرجتهم نتائج الحرب العامة سنة ١٣٣٧ هـ ، وسنأتي على تفصيل ذلك في النبذة التاريخية .

(١) الجند بلدية قرب تمر . ولعل ولايتها إذ ذاك كانت تشمل التهام والين الأسفل كله .

أقسام الين في العهد العثماني والعهد الإمامي الحاضر :

كان الين في عهد العثمانيين يؤلف ولاية واسعة تشتمل على لواء عسير الذي تقدم ذكره وألوية صنعاء والحديدة وتعز . وكان كل من هذه الألوية يشتمل على أفضية وهذه على نواح عديدة ، في كل ناحية مئات من القرى والعزل (جمع عزلة) . فكان يحكم في الولاية الوالي وفي الألوية المتصرف وفي الأفضية قائم المقام وفي النواحي المدير . وكانت مساحة هذه الألوية والأفضية والنواحي عظيمة ، وأبعادها شاسعة تزيد عن أمثالها في بقية ولايات الدولة ، وتتطلب تقسيمها إلى أصغر من ذلك وتكثير عدد الأقسام . وقد اقترح هذا سنة ١٣١٩ هـ الوالي حسين خلمي باشا المشهور بحسن إدارته ، ولكن لم يلبأ اقتراحه . ومما يجدر ذكره أن يد العثمانيين لم تصل إلى شرقي الين الأعلى وشماليه ولا جنوبي الين الأسفل فظلت مأرب وصعدة ونجران وشهران وقفلة العذر وما حولها من القبائل العاتية كحاشد وبكيل وأرحب وذي حسين وأمثالها تحت سلطة الأئمة أو المشايخ المحليين . وكذلك كان الحال في أراضي الحميات التسع في الين الأسفل التابعة لمستعمرة عدن كما تقدم ذكره .



هذا وقد كان لواء صنعاء (قضا صنعاء) تتبعه نواح اسمها بلاد البستان ، بلاد الروس ، بني بهلول ، بني الحارث ، بني حشيش همدان ، سحان ، أرحب ، نهم ، خولان ، الحدا . ثم (قضاء حراز) وقاعدته مناخة ونواحيه حراز ، ومفحق وعرومتوح وحجيلة . ثم (قضاء كوكبان) وقاعدته الطويلة ونواحيه كوكبان والمحويت وشبام . ثم (قضاء أنس) وقاعدته زوران ونواحيه أنس وعمة وجبل شرق وجهران . ثم (قضاء حجة) وقاعدته حجة ونواحيه حجة وبني عوام والشغادرة ومسور وعفار . ثم (قضاء ذمار) وقاعدته ذمار ونواحيه ذمار ومغرب عنس . ثم (قضاء يريم) وليس فيه نواح . ثم (قضاء رداع) وقاعدته

رداع ونواحيه رداع وسوادية وجبن . ثم (قضاء عمران) وقاعدته عمران وفيه ناحية عيال سريح .

وكان في لواء الحديدة (قضاء الحديدة) ونواحيه الحديدة وجزيرة قمران وجبل برع وحفاش . ثم (قضاء زيد) وقاعدته زيد ونواحيه زيد وحيس ووصاب العالي ووصاب السافل . ثم (قضاء اللحية) وقاعدته اللحية ونواحيه اللحية وزهرة . ثم (قضاء الزيدية) وفيه ناحية بني قيس . ثم (قضاء جبل ريمة) وقاعدته ريمة ونواحيه ريمة والجعفرية وكسة وسلفية . ثم (قضاء حجور) ونواحيه محابشة وعام وخمس وقارة وحرص وعبس . ثم (قضاء بيت الفقيه) وفيه أحياء متفرقة من قبيلة الزرانيق . ثم (قضاء باجل) ونواحيه باجل وملحان .

وكان في لواء تعز (قضاء تعز) ونواحيه تعز وتربة القمح وقاعة ومقبة وذو شراق . ثم (قضاء إب) ونواحيه إب ومخادر . ثم (قضاء عدين) ونواحيه عدين وحبيش . ثم (قضاء قطبة) ونواحيه جبل مريس ونادرة وحثيا . ثم (قضاء الحجرية) ونواحيه الحجرية وقبيطة وحش . ثم (قضاء مخا) وليس فيه نواح .

وقد أبقى الإمام يحيى معظم هذه الأقسام على حالها وأقام عليها حكماً سماهم (عمالاً) جمع كلمة (عامل) التي كانت مستعملة في العصور الإسلامية الغابرة . وهؤلاء العمال يمثلون الإمام ويمثلونه بنسبة مصفرة في سلطته ودواعي أهته . وهم يسرون على نهج جلالته ونهج تلك العصور في الحكم الإقطاعي المطلق .



المساحة والسكان : لم يتسنّ لولاة الترك وضباطهم ولا لجوالة الإفرنج وبحاثتهم ، وعدد هؤلاء كان قليلاً ، أن يضبطوا مساحة الين السطحية ويعرفوا عدد نفوسه ، ويضعوا خريطة صحيحة لألويته وأقضيته . ذلك لتعذر هذا العمل

في الزمن الماضي الطافح بالفتن والحروب واستمرار هذا التعذر في الزمن الحاضر لرغبة الإمام ببقاء بلاده في نجوة عن الكشف والبحث . وكل المساحات والأعداد التي وضعت والخرائط الإنكليزية والتركية التي رسمت وطبعت إنما هي اعتبارية سماعية لا يصح الركون إليها إلا للاستئناس فحسب .

فالترك كانوا^(١) يعتبرون ولاية الين بألويتها الأربعة التي ذكرناها بين درجات ٢٠ و ٣٠ ، ٢١ من العرض الشمالي و ٣٣ و ٤٣ من الطول الشرقي . وكانوا يقدرون طولاً من الشمال إلى الجنوب ٧٧٥ كيلو متراً وعرضاً من الغرب إلى الشرق ٣٥٠ كيلو متراً . وإن مساحة الين السطحية تبلغ على التقريب ٢٣٥٠٠٠ كيلو متر مربع .

أما عدد نفوس الين فقد اختلفت فيه الأقوال . فالمعاجم ودوائر المعارف الفرنسية والإنكليزية تقدره تارةً بمليون وتارةً بمليونين ونصف . وهذا قليل ، لأن الين أكثر بلاد الجزيرة العربية عمراناً وسكاناً .

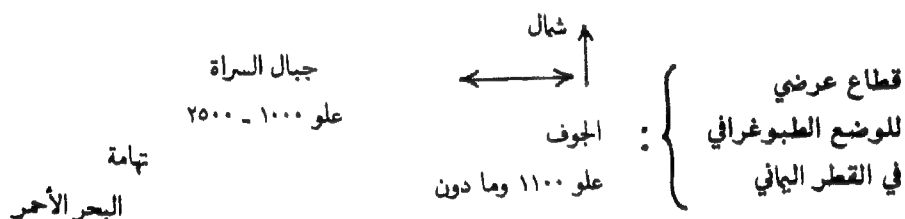
والترك^(٢) يقدرونه تارةً بأربعة ملايين وتارةً بثلاثة بما فيه لواء عسير . أما اليابانيون^(٣) فيبالغون إلى الخمسة عشر مليوناً . والتقدير التركي الثاني هو الأقرب إلى الصحة حتى في يومنا . ذلك لأن الين لم يحو ولا يمكن أن يحوي أكثر من ثلاثة ملايين ، لقلة أراضيه الزراعية ومرافقه الحيوية كما سوف نذكره ، ولانفصال لواء عسير عنه ، ولأن الحروب والفتن الماضية أهلكت حرثه ونسله كثيراً فأنقصت قطينه ، وهذه وإن زالت في عهد الإمام يحيى إلا أنه قام مقامها كثرة وفيات الأطفال وتوالي الأمراض العادية والسارية بحكم فقدان الأطباء وحرمان وسائل الاستشفاء ناهيك البؤس والشقاء الضارين أطنابها .

(١) قاموس الأعلام لشمس الدين سامي .

(٢) شمس الدين سامي في قاموس الأعلام ، وحسين حلمي باشا في لائحته الإصلاحية

(٣) عبد الواسع الواسعي في تاريخ الين .

الوضع الطبغرافي : يتألف القطر الياني من ثلاثة أقسام : الأول المنخفض ذو البراري والسباسب المنبسطة والإقليم الحار والهواء الرطب ويدعى (تهامة) ويجمع على تهائم ، والثاني المرتفع ذو الأطواد والهضاب الشاخنة والإقليم البارد والهواء الجيد ويدعى (قسم النجود) أو (قسم الجبال) وهي تمتد جبال السراة ، والثالث المنخفض أيضاً شرقي قسم الجبال ، وهو ذو براري وسباسب كانت في عهد ملوك سبأ عامرة غناء فأصبحت بعدهم غامرة قفراء ، ويدعى هذا القسم (الجوف) وهو بمثابة تهامة في الغرب ، وإقليمه حار لكن هواءه جافٌ وجيد .



وصف تهامة : تهامة برية عظيمة مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب ، من جدة على ساحل البحر الأحمر إلى عدن في ساحل المحيط الهندي ، على طول يقدر بألفي كيلومتر ، وهي تنحصر بين قسم الجبال والبحرين المذكورين على عرض يتفاوت بين ٦٠ و ١٢٠ كيلومتراً ، وهي تنقسم إلى تهامة الحجاز وتهامة عسير وتهامة الين .

وتهامة الين إما غربية وهي التي على البحر الأحمر ، وإما جنوبية وهي التي على المحيط الهندي . وحديثنا عن الأخيرتين في الأكثر .

كانت تهامة في الأصل قعراً للبحر الذي انحسر عنها في الطور الجيولوجي الأخير ، يستدل على ذلك بطبيعة أرضها ووفرة رمالها وكثرة الأحافير والأصداف البحرية التي تظهر في تربتها السفلى . ولا يزال انحسار البحر الأحمر وارتفاع سواحلها متوالياً على كر الدهور . فالرمال ما برحت تطمر مرافئه وتمنع السفن الكبيرة من الوقوف إلا على بعد شاسع .

حدث هذا الطمر قبل أربعة أو خمسة قرون في مرفأ غلافقة ، وقد كانت كما قال ياقوت في معجم البلدان مرسى زبيد ، وكانت زبيد عاصمة تهامة وأكبر مدنها فيما مضى ، فلما اندثرت غلافقة انحط شأن زبيد .

وحدث الطمر أيضاً إلى حد كبير في ميناء مخا ، فكان ذلك من دواعي انحطاطها وانتقال عمرانها إلى الحديدة الحديثة العهد . ويحدث هذا الطمر والاندثار الآن في اللحية وأمثالها من الموانئ الصغيرة فيتجدد غيرها على توالي العصور وهكذا دواليك .

وبسيط تهامة يتوج تموجاً خفيفاً ويحدث قلعات متواضعة وتعترضه أودية حصينة منحدره من أنحاء الجبال ، أكثرها جاف في أغلب أيام السنة وبعضها حار ، وتعترضه أيضاً كثبان رمال ، تزداد في بعض الأماكن وتمتد إلى مسافات شاسعة ، وتتحرك سطوحها بفعل الرياح كما هو الحال بين الحديدة وباجل وحول ميناء غلافقة المندر . وفي بعض شطوط تهامة مرتفعات صخرية تؤلف آكاماً تظهر في سواحل الشيخ سعيد ولا سيما حول مرفأ عدن .

ومعظم بسيط تهامة قابل للحرث والزرع ، وذو خصب يقوى في بعض الأماكن ولا سيما إذا جادتها الأمطار ، وفاضت الأودية المنحدرة من الجبال بالسيول ، وسقى الزراع حقولهم منها ، حينئذ ينو الزرع والفرس نموّاً عظيماً ، وتغزر محاصيل الدخن والذرة والسمسم والتبغ والنييلة والقطن والبطيخ ، والأشجار المثمرة وهي النخيل والموز والعمبا والليمون وغيرها . وفي تهامة نباتات وأنجم برية شائكة وغير شائكة تنتسب إلى فصائل مختلفة منها العصل الذي يعملون منه فحماً ، والبكار والثام اللذان يستعملان في بناء العشش والأكواخ ، وفيها من الأشجار غير المثمرة السمر والسلم والودوم والعشر والشورى والخروع الهندي وغيرها . وتؤلف هذه الأشجار في بعض أماكن تهامة أدغالاً ملتفة كان يعتصم بها ثوار القبائل في حروبهم مع الدولة العثمانية .

قال ياقوت : وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها وهو من التهم . اهـ .
لا جرم أن تهامة شديدة الحرارة تتفاوت درجاتها في الحديدة في الصيف بين ٣٠ - ٣٥ ليلاً و ٤٠ نهاراً ولا تقل في الشتاء عن ٢٤ - ٢٥ ، وأنها شديدة الرطوبة تبلغ أحياناً درجة الإزهاق (٨٠ - ٩٠) وذلك لقربها من خط الاستواء ومجاورتها البحر . لهذا لا يمكن سفر القوافل والمشاة والركبان في تهامة إلا ليلاً خوفاً من الرعن ، ولا يمكن النوم في ليالي الصيف إلا على السطوح وفي العراء . وتهب فيها أحياناً ريح السموم فتسفي الرمال وتحث أعاصير ، ولا يطفئ الحر إلا هبوب الريح الجبلي الشرقي أو البحري الغربي .

وأهل تهامة شافعية المذهب ، نخاف الأبدان ، ربعات القامة أو أطول ، سمر الوجوه لحر بلادهم ولاختلاطهم بالدم الصومالي أو الحبشي من قديم الزمان . وهم في الجملة أدمث خلقاً وألين جانباً وأرشد للغريب وأقرب للضيف من أهل الجبال . لكن الأمية أكثر انتشاراً في أهل تهامة منها في أهل الجبال ، وكذلك الشقاق والتناحر . ويعزى ذلك إلى أن الشافعية ليسوا كالزيدية ذوي أئمة وسادة يعنون بشؤونهم الروحية والزمنية إلى حد ما . والنفرة بين الشافعية والزيدية ما برحت ملحوظة . وهذه النفرة سياسية وإدارية أكثر منها مذهبية ، لو عني بشأنها لزال .

وسكان السواحل في تهامة يعملون في البحر بالنوتية وصيد الأسماك وبناء الزوارق وبعضهم بالغوص واستخراج الصدف واللؤلؤ ، وهذه الحرفة تجارة رابحة ، ويعمل أهل الحديدة وعدن بتجارة الصادر والوارد من اليمن وإليه . وسكان السهول والقرى الداخلية يعملون في تربية الزرع والضرع ، ويعمل أمثال أهل زبيد وبيت الفقيه بالصبغ والنسج مما سوف نذكره .

وفي تهامة قبائل شتى أشهرها الصبيحة والزرانيق والقحري وبني صليل والعيسية والجراجة وبنو مروان ودوغان وبنو قيس وغيرهم . وليست هذه القبائل

رحالة بل مستقرة في قراها وضمن حدودها ، تعمل في الزرع والضرع ، وتسكن بيوتاً من الأعشاش .

والزرانيق أشد هذه القبائل بأساً وخبثاً وأطولها يداً في قطع طريق البر وقرصنة البحر وفي تهريب السلاح والرقيق قبل منعها . مواطنهم حول بلدة بيت الفقيه بين الحديدية وزبيد ، حاربوا الترك العثمانيين مراراً ولم يزالوا مشاقلين لهم لما في مواطنهم من الحر الشديد والأدغال الملتفة التي يختبئون بينها . وأرادوا أن يعيدوا الكرة هذه مع جلالة الإمام الحالي بقيادة بعض الدسائس الأجنبية فساق عليهم جيشاً قبل بضع سنوات ، قمع فتنهم وأسكت نامتهم .

والقحري أيضاً من القبائل القوية تسكن بين وادي سرود ووادي باجل ، لكنها ليست من الشر ما يماثل الزرانيق .

وكانت تهامة في أكثر عصور تاريخ اليمن ولا سيما في العصور الإسلامية منفصلة عن قسم الجبال . قامت فيها دول عديدة مستقلة ، كدولة بني زياد وبني نجاح وبني الصليحي وبني أيوب وبني الرسول وبني طاهر ، وسيأتي ذكر ذلك في بحث التاريخ . ويظهر أن هذه الدول ما استطابت النشأة والمقام في تهامة على الرغم من حرها ووباء هوائها إلا لكثرة محاصيلها ووفرة ريع المكوس التي كانت تتقاضاها من قوافل البر وسفن البحر الواردة من الهند وإفريقية الشرقية ومصر والحجاز والشام . فكانت تهامة مركز التوزيع بين هذه الأقطار قبل فتح قناة السويس ، وكانت ميناء عدن ومخا مركز التصدير والتوريد . إلا أن الدول المذكورة لم تكن لتقنع بتهامة ، بل كانت كلما اشتد ساعدها ورأت ضعف أئمة الزيدية بسطت أيديها نحو الجبال فملكتهام مدة ، ثم أخلتها إذا عجزت عن حفظها . وهكذا كان شأن أئمة الزيدية ، كلما قووا ورأوا خلو التهايم من الحفظة استولوا عليها ، وإذا ضعفوا أضعفوها وحكمها كبراًؤها . وظل هذا الأخذ والرد حتى تم جمع المنطقتين نهائياً في عهد الترك الأخير سنة ١٢٨٩ هـ وفي عهد جلالة

الإمام الحالي سنة ١٣٤٣ هـ بعد أن نازعة عليها الأدارسة الذين كانوا أصحاب عسير .

وثمة في سواحل تهامة على البحر الأحمر عدة جزر بعضها صغير غير مأهول لا يزوره إلا الصيادون والغواصون . ولكن أكبرها حجاً وأجلها قدراً قران وبريم .

فقمران في شمالي الحديدة ، كان الترك أنشؤوا فيها قبل نصف قرن محجراً صحياً فحفلت بالسكان منذ ذلك الحين ، ثم احتلها الإنكليز عقيب الحرب العامة .

وبريم وتدعى أيضاً مينون في مضيق باب المندب ، لها مرفأ عميق صالح للبواخر وعلى الرغم من حرمان هذه الجزيرة الصغيرة القاحلة من أي أثر للماء والخضرة فقد أوجد فيها الإنكليز منذ أن احتلوها في الربع الأخير من القرن الماضي الماء المقطر وكل ما تحتاج إليه البواخر الداخلة والخارجة من البحر الأحمر من فحم ومؤونة . وتجاه هذه الجزيرة في ساحل الين موقع غير مأهول له مكانة عسكرية كبرى يدعى الشيخ سعيد فيه لحكومة الين مخفر للجنود ومركز للبرق .

وفي ساحل تهامة وداخلها مدن وقرى عديدة . منها في الساحل ميدي واللحية والصليف وابن عباس والحديدة والطائف وغلافقة والخوخة ومخا وعدن . وفي الداخل عبال وباجل والزيدية والقطيع والدرهمي والمنيرة والزهرة والضحي والمراوعة وحيس وبيت الفقيه وزبيد ، وفي تهامة الجنوبية وراء عدن الشيخ عثمان والحوطة والراحة وبرأحمد والحسوة وغيرها .

وأكبر مدن تهامة وأشهر موانئها على البحر الأحمر في عهدنا (الحديدة) . ويظهر من عدم ذكرها في كتب جغرافي العرب أنها لم تكن لمضي ثلاثة قرون أو أربعة سوى قرية حقيرة يقطنها الصيادون . إلا أنه بعد أن طمرت الرمال ميناءي مخا وغلافقة وتعذر على السفن أن ترفأ إليهما سعدت الحديدة بالعمران .

وهي الآن مدينة كبيرة يقدر عدد سكانها بثلاثين ألفاً ، جميعهم عرب شافعية المذهب ، بينهم خلاسيون أمهاتهم من رقيق الحبش أو الصومال ، وفيها قليل من الهنود البانيان والبهرة ومن اليونان والطلليان المشتغلين بالتجارة .

والحديدة محاطة بسور بني سنة ١٢١٥ هـ لهُ خمسة أبواب وعدة أبراج ، وفي داخل السور دور حجرية جميلة بيض ، وبعضها ذو طبقتين وثلاث ، وثمة عدة أسواق تغص بمحاونيت الباعة والتجار ومستودعاتهم . وفيها حركة بيع وشراء وإصدار واستيراد ، كانت أقوى من الآن كثيراً في عهد الترك . وفيها عدة مبانٍ حكومية ومساجد ، غير أن ساحلها مكشوف ومعرض للأنواء ، تلجأ السفن عند اشتدادها إلى خليج الجبانة في جنوبها . وحر الحديدة شديد ووبئ تزداد وطأته بحكم شدة الرطوبة أيضاً . وفي خارج سورها أحياء ودور كثيرة كلها عشب وأكواخ . وليس في الحديدة إلا قليل من البساتين لفقدان المياه الجارية والملوحة التربة ، ولذا تأتيها البقول والثمار من القرى والجبال القريبة منها . وماء الشرب يجلب إليها من آبار تبعد نحو أقل من ساعة ينقل في براميل محمولة على عجلات تجرها الجمال .

وفي شمالي الحديدة على بعد ٢٤ ساعة عنها (اللحية) ، وهي بليدة وفرة على البحر محاطة بسور وفيها ثلاثة مساجد ، وفي خارج سورها حصن ، ويجلب إليها ماء الشرب من آبار تبعد ساعتين أو ثلاث .

و (الزيدية) بليدة تبعد عن الحديدة ١٢ ساعة ييوتها عرائش ، ينسج فيها حصر من ورق شجر اسمه الدوم يشبه النخل .

و « باجل » بليدة تهامية على طريق صنعاء تبعد عن الحديدة عشر ساعات لها قلعة قديمة ومسجدان ودار حكومة .

وفي جنوبي الحديدة بليدة (المراوعة) ذات مساجد وحوانيت ومصانع لنسج القوط والبزوز المتنوعة ومعاصر لعصر السمسم ويسمون زيتة في الين سليطاً

ويزرع حولها النيلة والقطن والبطيخ .

و (بيت الفقيه) في جنوبي الحديدة وعلى بعد اثنتي عشرة ساعة . وهي مبنية على تل مرتفع ، وهواؤها وماؤها أجود ما في مدن تهامة ، دورها من الآجر ، ومن العريش ، وفيها حوانيت كثيرة وخمسة مساجد ، أحدها جامع كبير . وفيها حصن ، وقد اشتهرت بمنسوجاتها الجميلة المتينة المنسوجة من الحرير والقطن ، وعدد سكانها خمسة عشر ألفاً ، وحولها نخيل كثير .

وفي جنوبي بيت الفقيه وعلى بعد ست ساعات تقع مدينة (زبيد) بنيت في فم وادي زبيد ووسط سهل خصب كثير النخيل ، وأحيطت بسور مربع الشكل شيد من الآجر ، وفيه أبراج كثيرة وأربعة أبواب وفي داخلها قلعة بني فيها دار للحكومة ، وجامع باسم بانيه إسكندر باشا ، وفي البلدة جامع آخر كبير لمصطفى باشا النشار أحد ولاة الترك في اليمن . وفي زبيد من السكان عشرون ألفاً ، ودورها من الآجر أو العريش . وفيها جوامع ومساجد ومدارس عديدة .

قال القلقشندي في صبح الأعشى : زبيد مدينة مبنية في مستوى من الأرض ، تبعد عن البحر على أقل من يوم ، وماؤها من الآبار وبها نخيل كثير ، وبها مجتمع التجار من الحجاز ومصر والحبشة ، وهي شديدة الحر لا يبرد ماؤها ولا هواؤها . وقد كانت مشق ملوك اليمن بني الرسول كما أن تعز كانت مصيفهم . اهـ .

وبعد أن كانت زبيد قاعدة تهائم اليمن حافلة بالملوك والأمراء الذين سيأتي ذكرهم في بحث التاريخ ، وبالتجار والسفار ، وبدور العلم والعلماء واللغويين ، حسبك منهم الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط الذي حط رحاله في شيخوخته فيها ومات سنة ٨١٧ هـ ، وحسبك بعض ملوك بني الرسول مؤلفي الكتب العديدة في التاريخ والأدب والطب ... انخطأ شأنها بعد زوال دولة بني الرسول ، ولا سيما بعد خراب ميناء غلافقة ثم مخا وانتقال السفن والتجار والحكام إلى الحديدة ، فلم يبق من مجد زبيد وعمرانها ولا سيما من دور علمها وعلمائها إلا أثر ضئيل .

وفي جنوبي زبيد بليدة (حيس) فيها عدة مساجد ومطاحن ومصانع للنيلة ومصانع للأواني الخزفية .

وفي أقصى الجنوب فرضة (مخا) التي كانت في العصور المتوسطة مدينة كبيرة تعد أكبر موانئ اليمن ، بل كل جزيرة العرب ، ويدخل مرفأها الأمين سفن الهند والحبشة والزنج ، وتصل إليها قوافل مصر والحجاز وغيرها ، فتبادل العطور والطيوب والأصباغ والمنسوجات والمصنوعات والرقيق . وكان فيها ٧ - ٨ آلاف دار ، وعشرات من الخانات والمستودعات ، لاتزال أطلالها ماثلة .

وكان البن اليمني الناتج في لواء تعز وأقصيته يصدر منها ويعرفه الإفرنج باسم (بن مخا : Moka) . وظل هذا العز والعمران في مخا حتى ظمر البحر مرفأها بالرمال فاضطرت السفن إلى التحول إلى الحديدية وعدن ، ثم دهمها القضاء المبرم في سنة ١٢٥٠ هـ حينما هاجمها العسيريون ونهبوها وخربوها ، فأصبحت قرية حقيرة تندب مجدها الغابر .

ومثل ذلك يقال عن مدن تهامة الجنوبية والغربية التي كانت قديماً فدرس أكثرها وخلفها غيرها . ذكر منها الهمداني وابن خلدون والمقدسي والعمري وغيرهم من جغرافيي العرب ، عدن ولحج وأبين والرواع والشقاق والمندب والحصيب وهي قرية زبيد والقحمة والكدراء والمهجم وعطينة والشرجة والجردة وغيرها .

وصف المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) عدن فقال : بلد جليل عامر أهل حصين دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب معدن التجارات كثير القصور ، مبارك على من دخله ، مثرلن سكنة ، مساجد حسان ومعايش واسعة ، قد أحاط به جبل بما يدور إلى البحر ، ودار خلف الجبل لسان من البحر فلا يدخل إليه إلا أن يخاض ذلك اللسان فيصل إلى الجبل ، وقد شق فيه طريق في الصخر عجيب وعليه باب حديد ، ومدوا من نحو البحر حائطاً من

الجلبل إلى الجبل فيه خمسة أبواب ، إلا أنها يابسة عابسة لازرع ولا ضرع ولا شجر ولا ثمر ولا ماء ولا كلاً كثيرة الحريق والوكف .

وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار : لم تزل عدن بلد تجارة من زمن التبابعة إلى زماننا ، عليها ترد المراكب الواصلة من الحجاز والسند والهند والصين والحبشة ، ويمتار أهل كل إقليم منها ما يحتاج إليه إقليمهم من البضائع . إلا أن المقيم بها يحتاج إلى ما يتبرد به في اليوم مرات من قوة الحر . ولكنهم لا يبالون بكثرة الكلف ، ولا بسوء المقام لكثرة الأموال النامية . اهـ .

قلت : ما برحت هذه الأوصاف جارية في عدن على ما رأيت . إلا أن حالها قد حسن في الجملة منذ أن احتلها الإنكليز في سنة ١٢٥٤ هـ فحفلت بالشوارع المستقيمة والمباني الجميلة والمتاجر الحافلة ، والحدائق المغروسة ، والحصون والمنائر الظاهرة فوق الجبال السود المحيطة بها ، والماء المشروب الذي استجلبوه بعد الحرب العالمية من قرية الشيخ عثمان ، وهي اليوم من أهم تقط المواصلات بين الشرق والغرب ، ومن أحصن حصون البريطانيين ومركز أساطيلهم البحرية والجوية ومحطة عظيمة تتون منها البواخر بالفحم والنفط وما يلزم ، وبندر كبير تستمد منه بلاد العرب وإفريقية الشرقية عامة واليمن خاصة كل ما يلزمها من السلع ، وفيها وكالات البواخر التي تغشاها بكثرة في غدوها ورواحها بين الغرب والشرق . ويقدر سكانها بخمسين ألفاً أكثرهم عرب مسلمون وبينهم الصومالي والهندي والفارسي والإفريقي .

وعجبة عدن (الصهاريج) أو أسداد الماء ، وهي من أجمل الأعمال الهندسية في العالم تسع ثمانين مليون جالون ماء . وتاريخ إنشائها مجهول ، يرجع إلى قبل الميلاد بخمسة قرون أو عشرة . وكانت هذه الأسداد مردومة عند احتلال الإنكليز لعدن ثم كشفت ورمت في سنة ١٢٧٢ هـ .

وعدن في شبه جزيرة على ساحل البحر في دلتا وادي لحج وعندها ينتهي
مخلاف لحج ، كما أن هذا المخلاف ينتهي الين في الجنوب . ويقع سلطان هذا
المخلاف في بلدية اسمها (الحوطة) تبعد عن عدن نحو عشرين كيلو متراً ، وفيها
من السكان نحو عشرة آلاف ، وفيها قصور السلطان وإخوته ومساجد كثيرة .

وسلطان لحج عبد الكريم فضل العبدلي وأخوه الأمير أحمد قد أخذوا بحظ
وافر من الثقافة والحضارة المفقودتين عند سلاطين وأمرأ بقية الحميات ، ولما
عناية بالعلم والأدب والزراع والغرس .

زرت بستاناً كبيراً للسلطان في شمالي الحوطة فوجدته يحتوي على كثير مما لم
أسمع إلا باسمه من أثمار البلاد الحارة التي جلبت أشجارها من الهند ، كالجوافة
والعاط والسيتافل والرامفل والنارجيل والتمر الهندي والشيكو والبندان والعنباء
والجبالي والمائج وغيرها ناهيك بأثمار البلاد المعتدلة .

وللأمير أحمد مؤلف مطبوع في مصر سنة ١٣٥١ هـ دعاه (هدية الزمن في
أخبار ملوك لحج وعدن) فيه بحث وتحقيق جديران بالشناء والإعجاب ، خاصة
وقد انقطع التعبير والتحرير بين أمرأ الين منذ عهد بني الرسول أصحاب زبيد
(٦٢٠ - ٨٥٨ هـ) .

الجبال : لانبالغ إذا قلنا إن القطر اليمني قطر جبلي بحت . لأن جباله
تشمل ما يزيد على ثلاثة أرباع مساحته العامة . وجبال الين تتمة سلسلة
(السراة) أو سلسلة الحجاز الآتية من الشمال ، والمبتدئة من بين الطائف ومكة ،
والمنتية في جنوب الين عند الأعضاء المشرفة على تهائم لحج وعدن .

قال ياقوت في معجم البلدان : السراة جبل مشرف على عرفة قرب مكة
ينقاد إلى صنعاء ، وإنما سمي بذلك لعلوه ، وسراة كل شيء ظهره .

وقال أيضاً : السراة الجبال أو الأرض الحاجزة بين تهامة واليمن ولها سعة وهي باليمن أخص .

وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب : السراة أعظم جبال العرب وأذكرها ، أقبل من ثغرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمتة العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور (تهامة) وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل في غريبه إلى أسياف البحر غور تهامة ، وصار مادون ذلك الجبل من شرقيه نجداً ، وصار الجبل نفسه سراته وهو الحجاز .

وقال أيضاً : أما جبل السراة الذي يصل ما بين أقصى اليمن والشام فإنه ليس بجبل واحد ، وإنما هي جبال متصلة على نسق واحد من أقصى اليمن إلى الشام في عرض أربعة أيام في جميع طول السراة يزيد . كسر يوم في بعض هذه المواضع وقد ينقص مثله في بعضها .

وفي (الرحلة البانية) للشريف عبد المحسن البركاني : إن أول جبل السراة يبدأ في عقبة كرى بين الطائف ومكة ويسمى بجبل الحجاز لأنه الحاجز بين تهامة ونجد ، وإنه عظيم الارتفاع عن سطح البحر وإساع المساحة ، كثير الطول طوله من الشمال إلى الجنوب إحدى وأربعون مرحلة ، وكل مرحلة مسير يوم بالإبل المحملة وهي أربعين كيلو متراً . فمن الطائف إلى أبها عاصمة عسير خمس عشرة مرحلة ، ومن أبها إلى صعدة سبع مراحل ، ومن صعدة إلى شهارة ثماني مراحل ومن شهارة إلى صنعاء عاصمة اليمن سبع مراحل ، ومن صنعاء إلى نهاية هذا الجبل أربع مراحل . وهذا الجبل أهل بالسكان وقراه متصلة بعضها ببعض ، وإذا سافر مسافر من الشمال إلى الجنوب في تلك المراحل فإنه يكون دائماً بين مزروعات وأودية وأشجار كثيرة المياه والمراعي وقراه كافة مبنية بالحجر المنحوت ، ودورها من طبقتين إلى ثلاث ولا يوجد فيه أكواخ مثل تهامة . اهـ .

قلت : وظهر هذه السلسلة المرتفعة ارتفاعاً عظيماً ينقسم قسمين ، فما كان منةً في الشمال في علو نحو ٢٠٠٠ متر وما فوق حتى جاوز ٣٠٠٠ متر سمي بالين الأعلى ، وما انحط في الجنوب عن ٢٠٠٠ متر حتى اقترب من مستوى التهائم سمي بالين الأسفل . والحد بين الينين فيما قيل قرية المنزل في تقيل سمارة في جنوب مدينة يريم ، على طريق تعز وعدن .

والين الأعلى حول مدن يريم وذمار وصنعاء وعمران وما بعدها نحو الشمال يؤلف نجداً مستوياً واسعاً مستطيل الشكل يمتد من الشمال إلى الجنوب ، من قرب جبال نجران إلى تقيل سمارة المتقدم الذكر ، فيتباين العلو فيه من ٢٠٠٠ إلى ٢٦٠٠ متر ويختلف علوقنه الشاخحة من ٣٠٠٠ إلى ٣٥٠٠ متر . ويمكن تشبيه هذا النجد بسنام الجمل . لأن سفحيه الغربي والجنوبي يتدرجان في الانخفاض نحو التهائم الغربية والجنوبية ، وسفحه الشرقي نحو فيافي الجوف المنحطة ، وهذه تتدرج بالانخفاض من ١١٠٠ متر فما بعد ويمتد في وسط هذا النجد (خط تقسيم المياه) الذي يدفع ببعض مياه ينابيعه وسيوله إلى الأودية المنحدرة نحو فيافي الجوف في الشرق ، وبعضها إلى الأودية المنحدرة نحو التهائم في الغرب والجنوب . وسيأتي ذكر هذه الأودية .

على أن النجد الياني ليس في مجموعه بسيطاً خالياً من التلعان والتضاريس . بل إن في معظم أرجائه جبالاً وأطواداً عديدة منفردة أو مجمعة مخروطية أو مستطيلة الشكل . وهذه الجبال تفصل بين الرقاع التي يدعونها (قيعان) جمع (قاع) ويتخذون أرضها الشاسعة للحرث والاستغلال . اشتهر منها قاع البون وقاع سنحان وفيه مدينة صنعاء وقاع جهران وقاع الحقل وغيرها .

أما أطراف السلسلة وسفوحها المنحدرة نحو الغرب والجنوب والشرق فهي تتألف من جبال شاهقة هائلة تتدرج في الهبوط نحو التهائم أو الجوف ، وبعض أعضائها يدنو من البحر كتلك التي بين عدن وباب المندب ومخا .

وجبال الين كلها - سواء أكانت في النجود أم في السفوح - من أروع جبال العالم مرأى وأعسرها مرقى ، وأكثرها تضرساً وتتلعاً ، وأشدها تحطماً وتصدعاً ، وأفقرها بالماء والكلأ .

وجبال طوروس وأمانوس في شمالي الشام وجبال لبنان الغربي والشرقي وأطوادها وعقباتها تحسب متواضعة ذليلة إذا قيست بما في الين ، لا جرم أن من لم ير جبال الين المكفهرة وشناخيه المشمخة وأوديته السحيقة وصخوره العظيمة النافرة ، ومعظمها جاف متجرد عن البهجة والخضرة ، أسود اللون ، متجهم المنظر ، ومن لم يتسلق نقائله^(١) وعقباته الوعث أو يتدحرج في منحدراته الكؤود ذات الميل الشديد ، لا يعدُّ رأى جبالاً وأودية ولا قاسى تعباً ولا ردّد لهشاً ، ولا ارتعدت فرائصه فرقاً من خشية تدهور السيارة أو كبو الراحلة أو زلق القدم . وهذا التدهور أو الكبو أو الزلق مع التيه في مهامه تهامة من الأمور غير النادرة في الين .

ومبلغ الروعة في هذه الجبال والأودية يدركه المسافرون في إحدى الطريقين القديمة (طريق القوافل) أو الحديثة (طريق السيارات) بين الحديدة وصنعاء ، أو بين صنعاء وحجة ، أو بين صنعاء وتعز ، بل في أي طريق شئت ، اذكر ولا تستن . ففي طرق الين الجبلية عدد لا يحصى من القمم الناطحة للسحب والوهاد والمهاوي الممعة في التقعر والتمعج . والارتفاع والانخفاض في هذه الطرق يختلفان اختلافاً فجائياً لاهوادة فيه ولا رفق ، فبينما ترى نفسك قد صعدت في ٤-٥ ساعات إلى علوشاهق قدره ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ م إذ تهبط فوراً في ساعة أو ساعتين إلى ثلث أو نصف أو ثلثي ذلك العلو ، ثم تعود للصعود ، ثم للهبوط وهكذا بمعنى أن منكب هذه السلسلة مؤلف من مرتفعات ومنخفضات تتموج

(١) جمع ثقيل وهو اصطلاح يماي يطلق على الطريق في الجبل . ويقابله عند أهل جبل لبنان كلمة (قادمية) من تمرر التسلق إلا على الأقدام .

تموجاً رهيباً ويأخذ بعضها برقاب بعض كأمواج البحر المتعالية المتلاطمة على مسافة بضعة مئات من الكيلو مترات مما يبعث الرعب والتعب الزائدين للغريب القادم حديثاً .

وعلى الرغم من اكفهرار هذه السلسلة وكؤودة معارجها ومهابطها فإن في مشاهدتها عظمة وروعة تأخذان بمجامع القلوب ، ولا سيما حينما تتراكم أمواج الضباب ، وتتكاثر قطع السحاب ، وترتج الآفاق من الرعود القواصف والبروق الخواطف ، وهي ظواهر جوية كثيرة الحدوث في أغلب الأيام بعد الزوال ، فحدث إذ ذاك ولا حرج عن طلعتها التي لا تمل ، ورؤيتها التي لا تجتوى ، مما يحتاج وصفه وتبين ألوانه ووقعه إلى قريحة شاعر مفلق أو ريشة رسام مبدع .

البراكين والسيول :

ولأقسام هذه السلسلة أسماء عديدة تدعى سروات جمع سرة وفي كل من هذه السروات جبال متعددة معروفة بأسماء وأوصاف خاصة لا تتسع هذه العجالة لذكرها من وفرتها ، وكلها من الجبال البركانية الاندفاعية ، وجل صخورها من جنس البازلت الأسود أو الأزرق القاتم ، وهو لا يمتص الماء ولا يخزنه ناهيك جهومة منظره ، وبشاعة مكسره ، مما جعل جبال الين في الكفهرار الذي وصفناه . وبعض تلك الصخور من جنس الجير calcaire أو الغراء gres أو التراخيت أو الميكاشيت ذات الألوان الدكن أو الصفرة . وتختلط هذه الصخور القليلة بصخور البازلت السود أو تتراصف معها في غير انتظام في كثير من الأماكن . وتربة قيعان النجد اليماني تتألف من الطيفال الجيري والرمل الناشئ من تفتت الصخور المذكورة ، وتكون هذه التربة صفراء اللون في الغالب . وتتألف أتربة الأودية من الرواسب الرملية والطينية الناعمة التي جرفتها السيول ، وتكون غبراً أو رمادية اللون .

ويظهر أن ثوران البراكين وفتكات الزلازل في الأطوار الجيولوجية الغابرة كانت في الين على أشد ما يتصوره علماء الجيولوجيا في التصديق والتحطيم ، وأن أفعال الطبيعة من حر وقر وهزاهز وسيول ما برحت حتى يومنا هذا في غاية العنف والقسوة ، فالمسافر في طول الين وعرضه كيفما التفت يقع بصره على أهاضيب هرمية أو مخروطية الشكل قممها فوهات براكين منطفئة ، وعلى شناخيب مسنة مرتفعة كالمآذن والأبراج ، وعلى أطواد وآكام متددة منعزلة أو مكتظة ، وكلها مثخن بالخرق والشقوق المفجعة من هول تلك العوامل الطبيعية وأخصها الزلازل والسيول .

وفي مناكب تلك الشناخيب والأهاضيب والأطواد والآكام أو في سفوحها وفجاجها جلاميد هائلة الحجم والشكل ، مثل أو أعظم من حجر الجبلى في بعلبك ، حطتها الزلازل أو السيول من عل ، وصخور عظيمة مكدسة ، مثل أو أعظم من صخور الأهرام في مصر ، ورضام^(١) مضرسة تتدحرج كسورها وفتاتها تحت الأرجل فتزيد تعب الصاعد في عقباتها ومنحدراتها الكؤود وتجعله يقاسي لهاث المحتضر .

وفعل السيول في الين عظيم . وتاريخ الين طافح بفجائع هذه السيول التي تحدث الفترة بعد الفترة . وأخصها ما يحدث في صنعاء يأتيها من أنحاء سحان وسعوان وجبل اللوز ، ويخرب قسماً غير يسير من صنعاء وشعوب والروضة ، ويذهب بعد للانصباب في وادي الخارد أحد أودية الشرق .

وإذا استثنينا القيعان المنبسطة في أنحاء سلسلة السراة والرقاع الصالحة في بعض ذرواتها وأسنادها^(٢) والمنحدرات الخفيفة التي وطدها اليانيون بمتاعب زائدة وعملوا فيها حقولاً صناعية متدرجة أسموها جرباً جمع جربة^(٣) فإن أكثر أقسام

(١) الرضام جمع رضة وهي الصخرة العظيمة . والرضام صخور يرضم بعضها فوق بعض في الأبنية (ح) .

(٢) السند ما يقابل من الجبل وعلا عن السفح .

(٣) يقابلها لدى أهل جبل لبنان كلمة جلول جمع جل .

هذه السلسلة عاطل غير قابل للحرث والزرع ، وتكاد نسبة القابل منها لا تزيد عن الأربعين في المئة ، وما بقي فتون أو حرار^(١) أو منحدرات هي مسارح للقروء وأوكار للنسور ومنابت لما لا خير في أكثره من الأعشاب الغثة والأنجم والأشجار الشائكة مما سوف نذكره في بحث الزراعة .

وغني عن القول أن هذه الجبال لا تتساوى في العظمة والروعة وإمكان الصعود والنزول ووجود رقاع للحرث والزرع فيها أو عدمه . فمنها ما هو واسع الذروة ، صالح التربة ، قابل الصعود على البغال والحير . ومنها ما نقائله شديدة الكؤودة تزل الوبر^(٢) والقرد ، بل إن بينها ما ليس له غير ثقيل « لا يطلعة سوى المشاة ولا يطلعة دابة . فإذا أرادوا دابة يستنفعون بها في ذروته مثل البقر للحرث والحير للحمل حملها الرجال عجلة أو عضوة صفاراً^(٣) . على أن اليانين لم يغادروا قيد شبر يمكن الاستفادة منه في ذروات هذه الجبال أو منحدراتها ولا سيما من تلك التي تنفجر فيها عيون وغبول^(٤) . فهم قد تعلقوا بأذيالها وتسلقوا أدراجها ووطدوا ما أمكنهم التوطيد من أنجادها وأسنادها فزرعوا وغرسوا وشادوا الحصون والقرى بهم قعساء جديرة بالإعجاب .

الطرق ووسائل النقل :

أما وسائل النقل فأحدثها السيارات . فهي قد دخلت الين منذ خمس سنوات وصارت تجري الآن بين أكثر المدن والقرى التهامية وبعض النجدية التي لا يصعب الوصول إليها . أما في الصعبة الوصول فقد عبدوا لها حتى الآن طريقين طريق

(١) المتون جمع متن وهي الأرض التي تجمع الارتفاع والصلابة والغلظة ، والحرار جمع حرة وهي الأرض ذات الحجارة الكثيرة السود النخرة .

(٢) الوبر ilyrax دويبة كالنسور لكنها أصغر منه .

(٣) الممداني في صفة جزيرة العرب ص ١١٢

(٤) غبول جمع غيل ، اصطلاح يمني يطلق على البنايع الجارية .

الحديدة - صنعاء ، وطريق صنعاء - حجة ، إلا أن هذه الطرق التي يخططها موظفون غير مهندسين وقرويون غير مأجورين وتلك السيارات البالية التي يديرها سواقون غير ذوي كفاءة تجعل الراكب يسأل الله السلامة في كل لحظة .

ففي طريق الحديدة - صنعاء تطوي السيارة بادئ ذي بدء سهول تهامة ، فتتسلف بين كثبانها ، وتغوص أحياناً في رمالها ، ويتحمل الراكب حرارة شمسها اللاهبة ، فإذا انتهى منها بعد مسير نحو ستين كيلو متراً يصل إلى بليدة اسمها (باجل) تقدم وصفها . وإذا غادرها ظهرت أمامه طلائع الجبال التي تقدم ذكرها . وبعد أن يجتاز محطة البَحِيح وقرية عُبال التهاميتين أيضاً تنحرف السيارة نحو الجنوب الغربي وتشرع بالتوقل ، فتسلك الطريق التي فتحت للسيارات حديثاً على النحو الذي وصفنا نقصه وخطره . وهي تتغلغل وتتبع وتصد وتهبط في أودية طويلة قليلة العمران والسكان منها سحان وسهام تجري في بلاد ريمة .

وهذه الأودية منحصرة بين جبال شاهقة من فروع جبال ريمة منها - والعهد على السائق الذي أسماها - على عيين الطريق جبل ضان وجبل عبس وجبل برع وجبل عساكر وعلى يساره جبل الجبي وجبل الشرق . وهذه الأودية تتصل تارة وتبتعد أخرى ، ويكثر في عدواتها أشجار العضاء الشائكة والنباتات المتعرشة على اختلاف فصائلها ، وحقول الذرة على اختلاف أعمارها وأطوالها ، وقد يصادف السائر أيضاً فيها قطعان القروود على اختلاف وفرتها وضخامة بعض أفرادها وغرابة وثباتها وصيحاتها المضحكة . وإذا كانت السيارات لاتستطيع الإسراع أكثر من ١٠ - ١٥ كيلو متراً في الساعة بحكم شعث الطريق وكثرة المعارج والمنعطفات ، فلا بد من قضاء الليلة الأولى في هذه الأودية المقفرة . والمحطة الوحيدة التي يجوز المبيت فيها هي قرية حقيرة وبيئة اسمها « مدينة العبيد » - سكانها جالية من السودان . وبعد مسير مسافات شاسعة وسط وادي حمام الأعلى

في بلاد أنس يصادف السائر قرب انتهاء الشرق حماماً معدنياً كبيرتياً يأتيه المرضي في شهري مارس وأبريل . وبعد هذا الحمام ببضعة كيلومترات تشرع السيارة باقتحام عقبة طويلة كؤودة اسمها عقبة المصنعة إذا بلغت أعلاها أفضت إلى ظهر النجد اليمني الذي تقدم ذكره ونصل إلى أحد قيعانه المنبسطة المسمى (قاع جهران) فيتنفس المسافر هنا الصعداء لخلاصه من الصعود والدوران المتواليين المدورين للرأس ، ومن ضيق الأودية وحشرها وحرها ، ويلقي المشاهد الآن فضاءً فسيحاً وهواءً سحسجاً .

وبعد الاستراحة برهة في قرية (معبر) ينحرف السائر نحو الشمال الشرقي ، فإذا انتهى من قاع جهران يصعد في ثقل كؤود يفضي بعده إلى أودية لا تخلو من منعرجات ومنبسطات ، فيها عدة قرى منتثرة أسماؤها بيت زيادي ووعلان والدوب وحزيز وغيرها حتى يصل إلى قاع فسيح في وسطه مدينة صنعاء .

هذا وما عدا السيارات ، ليس في اليمن ولم يكن من وسائل النقل ، سوى البغال والحمير والإبل .

أما الخيل فقليلة الوجود والاستعمال شأن كل البلاد الجبلية . والطرق عبارة عن شعب ومسالك وعث حفرتها الأقدام بمرور الأيام . وقد صادفت في طلوعي من وادي الأهجر إلى حصن كوكبان في عقبة تقطع النياط توقلنا أكثرها مشياً ، أن قسماً من هذه العقبة قد بلط تبليطاً حسناً لم أعرف على الرغم من سؤالي أي صاحب خير من القدماء صنعه وفي أي عصر صنعه . ومثل هذا البلاط الموجود في ثقل سارة الصاعد من إب إلى يريم ، وهو على ما قيل من صنع الملك العزيز طغتكين أخي صلاح الدين الأيوبي الذي حكم اليمن في سني (٥٧٧ - ٥٩٣ هـ) ، ولعل الأول أيضاً من صنعه ، كما أن السور المحيط بصنعاء بدأ به أخوه توران شاه وأكمله هو .

طريق القوافل القديمة :

وصف طريق القوافل القديمة بين الحديدية وصنعاء :

كانت الجيوش التركية والقوافل التجارية قبلاً تسلك طريقاً أقصر منالاً وأكثر عمراناً وسكناً منها في طريق السيارات الحديثة . عبّد الترك بعض أقسامها في زمانهم وبنوا الجسور على بعض أوديتها فجعلوها صالحةً لسير عجلات المدافع وغيرها . إلا أن هذه الأقسام المعبّدة قد أشرفت على الخراب من الإهمال الحاضر .

إن المسافر في هذه الطريق^(١) بعد مغادرة قرية باجل ومحطة البحيح اللتين تقدّم ذكرهما ينحرف نحو الشمال الشرقي ويمر بقرية اسمها حجيّة . ومن ثمّ يشرع بالصعود في وادٍ طويل ، هائل المنظر ، على جانبيه جلاميد عظيمة مذهشة ، واسم الوادي حجام يمتد نحو ساعتين على سير البغال .

وفي قرب حجيّة قرية الأكمة من قرى جبل مسار ، وتحتها العريف ووراءها جبل صَعْفَان وفيه حصن متوّح . ويزداد الصعود بل التوقّل بعد حجيّة كلما أوغل المسافر نحو الشرق وتزداد معه مناظر الجبال العظيمة ووعوثتها الرهيبة ، وتزداد رقة الهواء وبرودته المنعشتان على خلاف ما كان في هواء تهامة ذي الثقل والحر المضيئين .

وبعد وادي حجام يبلغ المسافر سفح جبل وسل ويلمح على يساره في الأفق الشمالي جبل الطويلة ، ويلمح أمامه في الأفق الشرقي جبل شبام المعداد من قمم اليمن الشاخنة ووراءه في الأفق الغربي برع وجبل ريمة المائل لهُ ويلمح في طريقه أيضاً أو يمر بقرية محصنة اسمها (العتارة) أهلها إسماعيلية مكرميون .

(١) وصف هذه الطريق مراسل جريدة التيس الإنكليزية المستر هرس سنة ١٨٩٢ ، ونشر ترجمته ضومط في المقتطف م ٣٨ ج ١

وبعد اقتحام عقبة طويلة تقطع نياط القلب طولها خمس ساعات يصل إلى بلدة اسمها مناخة مبنية قرب قمة جبل حَرَّاز المشابه لصهوة الفرس . وهي كما قيل مسرح وموطئ للعقبان والنسور .

ومناخة في موقعها وعلوها وشكل دورها الشبيهة بالحصون والآكام من أمتع أماكن الين وأعزها منالاً ، تشرف من أنحائها الأربعة على أودية ووهاد هائلة السحق والانحدار . وإذا سرح المسافر نظره في آفاق مناخة البعيدة يرى وادي موسنة ينبسط أمامه شمالاً بغرب ، ودونه جبلا ملحان وحفاش ، وفي الشرق جبل شعيب حضور أعلى قم الين طراً وتحت بوعان .

وثمة قن عديدة شيدت فوقها قرى حصينة ، ومامنهما إلا وحولها الأراضي المحروثة والحقول الصناعية المتدرجة ومغارس البن والقات .

وبعد مناخة يعود المسافر إلى الهبوط والتدحرج في تقيل عمودي شاق اسمه تقيل مناخة ، فإذا بلغ وادي الشجة في أسفلها يعود إلى التوقل تارة والهبوط تارة أخرى ، والهبوط أكثر ، والطريق مملوء بالأشجار الشائكة ، حتى يبلغ أسفل واد سحيق يعد أوطاً قسم الجبال في الين وأحرها ، فيه قرية اسمها مفحق بنيت فوق قمة .

ثم يعود المسافر للتوقل في درجات عسيرة لا تحصى حولها وهاد لا قعر لها ولا حد حتى يبلغ قرية اسمها سوق الخميس ، ثم قرية أعلى منها اسمها بوعان فيها قلعة شاهقة .

وفي بوعان مشهد للجبال والأودية الهائلة . وإذا تراكت أمواج الضباب أو قطع السحاب وهي كثيرة النشوء والتراكم في هذه الأماكن الجبلية المتجهة إلى الغرب نحو سواحل البحر الأحمر ، تحدث مسارح النظر ومباهج الفكر التي أطرينا روعتها وبداعتها .

وبعد بوعان يستمر التوغل إلى متنة أو مخفر سنان باشا وهي آخر مرحلة للقادم من الحديدية . وبعدها نزول متدرج إلى مساجد ، ثم صعود إلى عقبة عصر ثم نزول إلى سهل أفيج فيه مدينة صنعاء خاتمة المسير .

قلنا إن الترك في عهدهم الأخير عبدوا أقساماً كثيرة من هذه الطريق وذلّلوا صعاها . وكانوا يريدون أن يسيروا بها من مفتح إلى وادي ضفور إلى عبال ، تاركين مناخة لصعوبة عقباتها وعلوها . ثم قرروا مد سكة حديدية من رأس الكثيب في شمالي الحديدية إلى باجل فوادي ضفور ففتح فسوق الخميس فصنعاء ، وعهدوا في مد هذه السكة إلى إدارة الخط الحجازي ، فقامت هذه الإدارة بالعمل وجلبت آلات وعوارض وقضباناً حديدية ، وتقدم التهديد من السواحل إلى الداخل نحو ١٥ كيلو متراً . ولكن مفاجأة الطليان بحرب طرابلس الغرب ومن بعدها الحرب البلقانية والحرب العامة ، حالت دون إنجاز ذلك .

الارتفاعات في قسم الجبال :

صعدة ٢٢١٦ عمران ٢٢٠٢ كوكبان ٣٠٠١ الروضة ٢٣٠٦ رداع ١٤٠١
ثلا ٢٨٦١ ذي مرمر ٢٦٩٨ شبام ٢٦٣٥ ذمار ٢٤٣١ يريم ٢٦٨٥ تعز ١٣٤٧
مأرب ١١٠٠ الطويلة ٢٩٠٠ مسور ٣١٦٠ معبر ٢٥١٦ جبل شعيب حضور (أعلى قم الين) ٢٥٠٠ جبل الظفير في قضاء الحجة ٣٤٠٠ جبل شهارة في بلاد حاشد ٢٣٧٠ . وفي بلاد عسير ، أبها ٢٢٧٥ سوغا ٢٣٦٠ محائل ١٦١٠ غامد ٢١١٠ .
وفي قسم تهامة الين زهرة ٣٧٥ حيس ٢٩٥ بيت الفقيه ١٦٥ زبيد ١٤٠ وجميعها بالأمتار .

الأودية والسدود :

ليس في الين أنهار تشبه على الأقل العاصي أو بردى الشام من حيث غزارة الماء ودوام الجريان . بل أن بين جباله أودية تحصل من خطوط اجتماع المياه الهابطة من ذروات جبال الين والمنحدرة نحو التهائم في الغرب والجنوب ، أو نحو الجوف في الشرق ، وتحصل مياه هذه الأودية إما من الينابيع المتفجرة عند خطوط اجتماع المياه المذكورة واسمها في الين (غيول) جمع (غيل) ، وإما من السيول المجتمعة من مياه الأمطار .

ومياه هذه الأودية إما أن تغور في رمال تهامة والجوف وتضيع سدى ، وإما أن ينتفع بها في ري بعض الأراضين ، كما يعمل أهل زبيد ولحج . وهذه الأودية كثيرة ، لا طائل في ذكر أسمائها وتعداد روافدها في عجالتنا هذه . وجلها جاف في غير موسم الأمطار ، وليس بينها ذوماء غزير يسيل في أيام السنة وينتهي في البحر إلا وادي بنا ومصبه شرقي عدن ، ووادي لحج ومصبه في عدن ، وأودية تهامة الغربية كواذي مخا ووادي زبيد ووادي رمع ووادي سهام ووادي سردود ووادي مور . ويمتد طول كل منها ٤-٥ أيام على الماشي ، ويحصل في مجاري بعضها غدران عميقة واسعة يجدون فيها سمكاً بوزن الكيلو غرام أو الكيلو غرامين . ويذكر من أودية الشرق التي تذهب نحو فيافي الجوف وادي الخارد ووادي أذنة وغيرها . إلا أن أعظم هذه الأودية وأقواها هو وادي مور الذي لا ينقطع في كل السنة وهو ميزاب تهامة الأعظم ، ومثله بكثرة الروافد وبعد المآتي في الشرق وادي أذنة الذي كانت تخزن مياهه بسد مأرب الشهير ويلقب بميزاب الشرق .

والأودية في الين أجل أماكنه قدراً وأعظمها شأنًا ونفعاً . وهي أنزهها منظرًا وأزكاها تربة وأوفرها خيراً وميراً . ففيها المواقع الرغيدة ، والينابيع والغيول الدافقة ، والأشجار الظليلة ، والمحاصيل المغللة ، والقرى والمزارع العامرة المنتثرة على عدوتها انتشاراً متقارباً جميلاً . وإذا ارتفعت هذه الأودية عن مستوى تهامة وحرها ، وتطامنت عن علو النجود وبردها ، فهي معتدلة الإقليم في الجملة على أن بعضها يشذ عما ذكرناه لضيق رقعته وانحباس هوائه ، أو كثرة منافعه فيحدث فيه الحر اللاهب والبعوض اللاسع ويصبح ويبئاً تفتك فيه حمى البرداء (الملاريا) .

لاجرم أن الين لولا أوديته هذه لما اختلف بجماليته وتهائه عن الهيكل العظمي الإقليمياً . فأجل مغارس الين ومزارعه ، وأجود وأبرك أشجاره وثماره تكون في هذه الأودية ، وفي كل منها كما قال الهمداني « ما لا يوقف عليه من القرى الصغار والأبيات ، وكل واد منها مخلاف يكون فيه سلطان يقوم به عوائده » .

وكان قدماء الينيين يعرفون قيمة مياه هذه الأودية الفائضة ويحسنون خزنها والانتفاع منها ، فيعمدون إلى بناء الأسداد ، وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الأودية المذكورة لحجز السيول ورفع المياه لري الأرضين المرتفعة كما يفعل أهل التمدن الحديث في بناء الخزانات ، فتكاثرت الأسداد بتكاثر الأودية حتى جاوزت المئات .

وذكر الهمداني في يحصب (العلوم من مخالف الين) (قضاء يريم الحالي على ما يظن) وحده ثمانين سداً . وإلى ذلك أشار شاعرهم بقوله :

وبالربوة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سداً تقلس الماء سائلاً^(١)

(١) تقلس الماء : تحجزه ثم تفيض منه بعد امتلائها به (ح) .

وأشهر أسداد الين « العرم » وهو سد مأرب الشهير وسد الخائق بصعدة وسد ريعان وسد سيان وأسداد بلاد عنس وغيرها . وكُلُّه مندثر ، لو أمكن ترميم بعضه إن لم يكن جلّه لعاد قسم من عمران الين وزهوه اللذين دمجها الرومان في كلمة (العربية السعيدة) .

المعادن :

يستعمل أهل الجبال في الين الملح الصخري الذي يجلب من جبل الملح في مأرب . قال الهمداني في هذا الجبل : « هوليس بجبل منتصب ولكنه جبل في الأرض يحفر عليه ويمع في الأرض وهو يبقى منه أساطين تحمل ما استقل من تلك المحافر ، وربما انهدم على الجماعة فذهبوا . وهي أرض لانبث فيها فيحمل إليها الماء والزاد والخطب والعلف ، ويتحفظ على الماء - من أجل الغراب أن ينقر السقاء فيذهب مأؤه - وهو من مأرب على ثلاث مراحل خفاف . ومأرب بحذاء صنعاء شرقاً » . اهـ .

وفي سواحل تهامة الغربية عدة ملاحات أخصها الصليف شمال الحديدة ، وهي عظيمة ، ملحها صخري فريد في نقائه وجودته وغزارته ، وقد كانت هذه الملححة تستغل في عهد العثمانيين وتدر وارداً قيل إنه كان يبلغ مئتي ألف ذهب عثماني ، إلى أن خربتها الدوابع الإنكليزية خلال الحرب العامة ، وحطمت مبانيها وآلاتها ، فلم تعد تقوم لها قائمة ، وقد طلب بعض الأجانب من جلالة الإمام امتيازاً بإصلاحها واستغلالها فلم يلب طلبهم خشية امتداد أيدي الأجانب إلى الين بجرائها ... وقد أوجب خراب ملححة الصليف عمران ملححة عدن التي يستخرج ملحها من البحر .

وفي الين أحجار بازلتية سود ، وأحجار كلسية وجبسية بيض صالحة للبناء وأحجار كالرخام تقطع ألواحاً رقيقة ، فتخرج شديدة الشفوف واللين والمتانة كأنها

الزجاج أو الميكا ، يستعملونها لسد النوافذ ويأتون بها من حوالي صنعاء . ولا تخلو بلاد اليمن البركانية من ينابيع مياه حارة كبريتية عليها حمامات يقصدها الأعداء ، أشهرها حمام علي في قضاء آنس وحمام بيت الفقيه وحمام ناحية عر وحمام قعطبة وحمام رداع .

وقد ردد الهمداني وغيره من مؤلفي العرب وأطنبوا في معادن اليمن وأحجاره الكريمة ، فذكروا وجود الذهب والفضة والحديد والنحاس . وقيل إن بعض الخبراء من الإفرنج أخبروا أيضاً عن وجود معادن الحديد والكروم والنحاس والفحم الحجري والكبريت والنفط ، وذلك في النماذج التي جلبت لهم للفحص ، أو في الأماكن التي توصلوا إليها . لكن أحداً لم يحقق حتى الآن صفاء هذه المعادن وغنى مناجمها إن كانت لها مناجم دارة ، ولا يزال اليمن بحاجة إلى خبراء في الجيولوجيا والمعادن يروءونه روءاً علمياً ، ويحققون الصفاء والغنى المذكورين للذين يشك في كفايتها ووفائها بنفقات الاستخراج .

وكذلك لا يعرف سبب إهمال المعادن القديمة التي ذكرها الهمداني وغيره أئنفاد مناجمها أم لصعوبة استخراجها ؟! وجل ما قيل^(١) : إن منجم الفضة في الرضراض بين بلاد همدان وخولان كان يستثمر قبل الهجرة إلى أن هبط أحد كهوفه وسد منافذه فترك . ومثله منجم الرصاص في بلاد نهم ، ومنجم الفضة في سارع ، قيل : إنها كانا يستثمران في عهد الإمام شرف الدين وابنه المطهر (٩٢٣ - ٩٨٠ هـ) إلى أن هبطت كهوفهما أيضاً وسدت منافذهما فتركا .

وقيل : إنه كان في جبل تقم (قرب صنعاء) في عهد الحميريين منجم للحديد ظلوا يستثرونه قروناً ، وكانت الأسلحة المصنوعة من هذا الحديد ذات قيمة باهظة لجودته ، وقيل أيضاً إنه كان في جبل صبر (قرب تعز) منجم للذهب

(١) سالنامة ولاية اليمن لسنة ١٣٠٤ هـ ، مطبعة صنعاء .

استثر طوال قرون . ولم يبق من المناجم القديمة التي تستثر سوى منجم الحديد في جوار صعدة . ويذكر أن الحديد القليل الذي يستخرج منه يؤتى به إلى صنعاء وغيرها ، ويباع بضعفي ثمن الحديد الأوربي المجلوب إلى اليمن ، ويعمل منه الجنبات (جمع جنبية وهي السكين التي لابد لكل يمني أن يعلقها في وسطه) والجرد (جمع جردة وهي ضرب من السيوف العريضة) .

أما الجزع الموشى والمسير والعقيق الأحمر والأصفر اللذان يستعملان في صناعة الخواتم والشذب الذي يعمل منه ألواح وصفائح ونصب سكاكين وأمثالها من الأحجار الجميلة التي ذكرها الهمداني فإنها لاتزال موجودة في اليمن يرتزق من نحتها ونقشها أرباب صناعتها في صنعاء وغيرها .

الظواهر الجوية :

إن فعل الظواهر الجوية في اليمن عظيم وشديد وأكثر ما نرى هذه العظيمة والشدة في قمم الجبال . فبخار البحر الأحمر والمحيط الهندي وما يتصاعد من جو تهامة اللاهب يميل دائماً للتكاثف فوق ذرا سروات اليمن ولا سيما فوق منحدراتها ومناكبها الغربية المتجهة نحو تهامة الحديدية . وكل الأماكن في تلك المنحدرات والمناكب يغمرها الضباب المتلبد صيفاً وشتاء ، يحدث ذلك كل يوم من بعد الظهر إلى غسق الليل وقد يدوم بضعة أيام دون انقشاع ، وقد لا ترى سماء الأماكن المذكورة صفاء الأديم خلال العام كله إلا أياماً معدودات . وأروع مسارح النظر في جبال اليمن وأوديته تلك التي كثيراً ما يصادفها السائر في الطريق الصاعدة من الحديدية إلى صنعاء وفي غيرها من الطرق أيضاً . فهو يشاهد أمواج الضباب عن كثب وقد تحيط به وتحول دون رؤيته منافذ الطريق فيخال نفسه غواص بحر زاخر ، أو يشاهدها عن بعد مئات من الأمتار لم تلحق العلو الذي بلغه جامدة أو مغدة السير تحت أقدامه وهي غاشية التلعات

والمحدرات ، وحاجزة المعاطف والفجاج ، فيحسب أنه راكب طائفة يحلق فوق الغمام وفوق أعلى القنن الشاهقة الآخذ بعضها برقاب بعض .

وتتطال الأمطار في الين عجيب . ففي أيامها حين تكون السماء صافية الأديم في الصباح والضحا ، تتلبد بعد الظهر بالسحب المكفهرة القائمة ، وإذا بالرعود تقصف والبروق تومض قصفاً ووميضاً متواليين وشديدين يبعثان الروع والوجوم ، وإذا بالأمطار تنهمر بشدة كأنها من أفواه القرب ، وكأن فعل خيوطها ضربات السياط ، تظل على هذا المنوال ساعة أو ساعتين ثم تنقطع ، فتهدأ ثورة السماء وتبقى الأرض وما فيها من الجبال والأودية والقيعان ريانة فياضة بالسيول الدافقة أو الغدران الممتعة ، ترى انتشار قطراتها وتسمع خريرها إلى مدى بعيد مما يبهج السمع والبصر ، ناهيك بالطيور التي تنطق وقتئذٍ من فجاج الصخور وغصون الأشجار ، مغردة زاقية . وإذا أمسى المساء تتبدد الغيوم وتسطع النجوم ، وإذا أصبح الصباح تنزع الشمس وتنعكس أشعتها على قطرات المطر المتبقية ، فتظهر كالدراري اللامعات وتظهر السماء صاحبة ضاحكة كأن لم يكن بالأمس شيء ... فلا يأتي الظهر إلا وتعود الغيوم للتلبد والسماء للاكفهرار والرعود والبروق والأمطار إلى ما فعلته مساء أمس ... وهكذا في كل يوم ..

وهذه الأمطار تهطل في الين في مواسم معينة تخالف ما في الشام وأشباهه من الأقطار . فهي تبدأ في شهر آذار وتدوم حتى أيلول ومن عاداتها أنها تقل في أيار وحزيران وتشتد في شهري تموز وآب ، وأنها - كما قلنا - تمطر في الغالب من وقت الزوال إلى أخريات النهار .

بيد أن الأمطار قليلة أو هي أقل من الحاجة في الين . فهو على الرغم من حوطته بالبحر الأحمر والمحيط الهندي في غربه وجنوبه ، ومن أن الجبال الجذابة للسحب ممتدة في أكثر مساحته ، ليست أمطاره غزيرة بقدر غزارتها في المناطق

المماثلة له في العرض والوضع الجغرافيين في آسية وإفريقية . وهذه القلة هي التي دعت سكان الين الأقدمين - وهم الذين آثارهم تدل على أنهم كانوا أيقظ وأنشط من سكانه الحاضرين - إلى أن يخزنوا السيول الفائضة في موسم الأمطار ولا يضيعوا قطرة منها بفضل الأسداد التي شادوها وقد تقدم ذكرها .

ولئن كانت صخور الين البركانية الجرد الصم غير صالحة لحزن المياه في أجوافها بالقدر الكافي لإسالة الأنهر العظيمة فإنك لا تجد في الين أمثلة لأنهار البلاد الجبلية كما في الشام والأناضول ، وجل ما هنالك ينابيع وعيون ثرة تتدفق هنا وهناك بمقادير لا تزيد في أكبرها عن خمسين ليتراً في الثانية ، فتجري في الأودية التي تقدم الكلام عليها إن كانت بين الجبال ، أو تجري في قنوات أو مجار مسدودة أو مكشوفة يدعونها « غيول » جمع غيل إن كانت قرب القرى والمدن ، ينهلون منها ويروون بها مساحات يسيرة من الأرض أحياناً .

على أن مقادير المطر في العصر الأخير صارت أقل مما كانت عليه في العصور الخوالي ، يظهر ذلك للممعن في كثرة الغيول والأودية الجافة أو الجارية وعمقها المتناقص . ولم يسجل ميزان المطر في مرصد صنعاء الجوي^(١) سنة ١٩٣٥ م أكثر من ٣٠٠ مليلتر . وهذا المجموع العائد لسنة واحدة وإن لم يكن كافياً للاعتداد به ، لكن بقية السنين لا تكون فيها الزيادة على ما يظهر أكثر من نصف أو ثلثي المجموع المذكور ، وهو يعد قليلاً على كل حال إذا قيس بجفاف إقليم الين وجفاف صخوره وأتربته .

ولا يزال شيوخ صنعاء يذكرون بحسرة إتراع الغيول بالماء . وقد كانت مثلاً قبل ٤٠-٥٠ سنة تروي في شملها مساحات واسعة في قرى شعوب والروضة

(١) وضع هذا المرصد العالم الألماني راتجس الموفد من جامعة هامبورغ سنة ١٩٣٣ م وقد مكث ورفيق له في الين سنتين يبحثان ويدرسان آثاره الحميدية وشؤونه الجغرافية والطبيعية التي أمكنهم الوصول إليها ووضعا كتاباً نفيساً عن نتائج أبحاثها .

والجفاف ، فأصبح الآن بعضها جافاً كل الجفاف ، وبعضها تناقص إلى ثلث أو نصف مقداره السابق ، فصارت تلك المساحات غامرة نادرة بعد أن كانت زاهرة ناضرة . ولم يتسع لي الوقت للاهتمام إلى أسباب هذا التناقص المريع أكان من أسباب بيولوجية بحكم وفرة الزلازل وتوالي تصدع الأرضين وعور الينابيع^(١) ، أم من الفتك بالحراج واستئصال الأشجار خلال الحروب والفتن التي لم تنقطع في الين إلا منذ عهد قريب أم من عوامل جوية وفلكية ؟

ولما كان القطر اليامي قريباً من خط الاستواء تختلف فصول السنة الأربعة فيه عن نظائرها في الأقطار البعيدة عنه . ففي الين يكون الربيع في أشهر كانون الثاني وشباط وآذار والصيف في نيسان وأيار وحزيران والخريف في تموز وآب وأيلول والشتاء في تشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول . واليانيون لا يستعملون في التوقيت إلا الأشهر القمرية العربية ، فهم لا يعرفون أسماء الأشهر الشمسية الأفرنجية ولا السريانية . وإذا أرادوا التوقيت على الحساب الشمسي لمعرفة مواعيد الزراعة استعملوا أسماء البروج التي تتقلب فيها الشمس . فيأتي فصل الربيع عندهم في بروج الدلو والحوت والحمل والصيد في الثور والجوزاء والسرطان والخريف في الأسد والسنبلة والميزان والشتاء في العقرب والقوس والجدي . ويستعملون أسماء منازل القمر وهي مجاميع النجوم التي يتقلب فيها القمر وعدتها ٢٨ منزلة وهي الغفر والزبانا والإكليل والقلب والشولة والنائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر والحوت والسرطان والبطين والثريا والدبران والمقعة والمنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك . ولهم في تعيين مواسم الزراعة

(١) قال الهمداني عن تأثير الزلازل في تقليل مياه الين : قال في كتابه الإكليل ٨٨/٨ عند كلامه على غيل وادي نهر : (وكان هذا الغيل في الجاهلية على ضعف ما هو عليه اليوم حتى وقعت في الين زلازل قطعت بعض ماءاته) .

اصطلاحات غريبة كلقارح والعشا والصواب والظلم والصلم والعلب وسهيل وعلانّ والروابع الأولى والأخرى وأمثالها مما يطول عدّه وشرحه .

وإذ كان القطر الياني في داخل المنطقة الحارة يحصل في جباله وتهائمه ما يحصل في بقية البلاد الداخلة في المنطقة المذكورة من حر وقر قد يكونان شديدين في بعض الأماكن والفصول .

والحرارة تتبع العلو عن سطح البحر ، فهي شديدة في تهامة وضعيفة في الجبال . ويضاف في الين إلى اختلاف الحرارة بين الجبال والتهائم ، بل بين مكان وآخر في الجبال والتهائم نفسها ، اختلافها أيضاً في ذات المكان ، وفي كل يوم بين الصباح والظهر والمساء ، وبين الهزيع الأول والثاني من الليل ، ثم إن الضباب الذي لا ينقطع انتشاره في الأماكن المتجهة إلى الغرب في ظهر السلسلة ، والمطر الذي لا ينقطع تهطاله في موسمه بعد الظهر من كل يوم ، يسببان حين قدومهما هبوطاً في درجة الحرارة يكون فجائياً ومؤثراً ، وهذا الهبوط يلجئ اليانيين ولاسيما أهل المدن منهم إلى تغطية رؤوسهم وظهورهم باللحفة ، وهي قطعة من الصوف مستطيلة واسعة ، لا بد لكل ياني أن يحملها صيفاً وشتاءً على منكبيه ، فهم يلتحفون بهذه اللحفة ، ويتدثرون بالفرو ، ويهرعون إلى مساكنهم ، وينكبون على تخزين القات وشرب منقوع قشر البن الساخن دفعا للبرد الذي يخشونه كثيراً .

وكلما ابتعد السائر من الساحل ومضى نحو جبال الداخل شعر بالانتعاش من خفة الحرارة والرطوبة وتناقصها التدريجين ومن ازدياد الجفاف . وهذا الجفاف البالغ حده الأقصى في إقليم الجبال يؤثر وينفع في فناء بعض الميكروبات أو عدم نموها وتكاملها .

والضباب يكاد لا يحدث في صنعاء ، فجوها شديد الجفاف لا يعرف الرطوبة

إلا قليلاً في موسم الأمطار ، كما أنها لاتعرف الحر ولا البرد الشديدين . فهواؤها سحسج عليل في أكثر الأيام .

ودرجة الحرارة في موسم الصيف وقت الزوال تختلف بين ٢٥ و ٢٧ وفي الصباح بين ١٢ و ١٣ ، وأشد أيام البرد فيها من غرة تشرين الثاني إلى منتصف كانون الثاني . وهو مها يشتد لا يهبط إلى تحت ٣ تحت الصفر ، ويعود للارتفاع في النهار إلى ١٥ أو ٢٠ . وأكثر مدن النجد الياني العالي وقراه على هذا المنوال من الاعتدال اللطيف . وإذا هبطت الحرارة إلى الصفر وتحتته ينسج البرد على الماء زرداً وقد ينزل الجمد المعروف بالبرد ، وقد تكون حباته كبيرة كالبنديق أو الجوز ، وقد يبقى هذا البرد على وجه الأرض بضعة أيام دون أن يذوب . وزعم بعضهم أن الثلج المعروف في جبال الشام يهطل على قمة جبل النبي شعيب (٣٥٠٠ متر وهو أعلى قمم الين طراً) ولم أتتحقق ذلك . ولو كانت نجود الين وجباله في عرض القطر الشامي لغمرت بالثلوج واستحال العيش فيها ، كما استحال على ما هو أعلى من ١٥٠٠ متر في بلاد الشام .

الإقليم : يراد بالإقليم مجموع الظواهر الطبيعية والكيمياوية الحادثة في جو مكان ما وأرضه . ويهتم الباحثون بهذه الظواهر لأنها من أشد العوامل تأثيراً في حياة حيوان ذلك المكان ونباته ، وفي درجة نموها وارتقائهما .

فالين في جملته ذو إقليم عجيب يختلف كل الاختلاف عن بقية الأقاليم المعروفة . وشكل أرضه وارتفاعها كلما تبدلا أمام السائر من الساحل إلى قسم الجبال تبدلت معها رقة الهواء وحره ونقاوة الماء وطعمه . فنشأ بحكم ذلك التبدل إقليمان مختلفان ، أحدهما حار خاص بتهامة والثاني بارد أو معتدل خاص بالجبال . ثم إن كلا من هذين الإقليمين أيضاً يحوي أقاليم منفصلة عديدة لاختلاف الارتفاع والانخفاض والاتجاه والانبساط اختلافاً بارزاً في رقاعه المنفصلة ؛ فشروط الحياة والمعيشة التي تتغير بتغير الظواهر الطبيعية والكيمياوية

في تلك الأقاليم أوجبت أيضاً تغير أشكال النباتات والحيوانات وألوانها في كل مكان . لهذا تجد في الين أعشاباً وأشجاراً وأزهاراً وأثماراً من التي تنشأ وتنمو عادةً في المناطق الحارة والباردة وما بينها من المناطق المعتدلة . لكنك كلما صعدت من أسفل إلى أعلى وكلما جلت من الين إلى اليسار رأيت أجناساً من النباتات وأنواعاً وميزت أشكالاً وألواناً وروائح تختلف ولو قليلاً عما رأيت وميزته منها في مكان آخر من الين نفسه . ناهيك باختلافها عما في بقية الأقطار كالشام والأناضول مثلاً .

وأكثر الفصائل النباتية المعروفة في بقية الأقطار الشرقية والغربية لها أفراد وجماعات في الين . لكن هذه تختلف نوعاً عن نظائرها في تلك الأقطار باللون والحجم والطعم . فالخرنوب ويدعونه في الين القرنيط أصغر ورقاً وأرفع قروناً وأقل حلاوةً من خرنوب جبال الشام . ومثل ذلك التين ويدعونه البلس فهو لا يكاد يؤكل من رداءته . وعلى ذلك قس بقية الأثمار من مشمش وتفتح وسفرجل وليون وغيرها . فقد أثر فيها الإقليم وأخفض جودتها ، حاشا العنب فإن أنواعه في غاية من الطيبة .

ويختلف حيوان الين أيضاً عن أمثاله في بقية الأقطار . فبقرة ذو سنم ضخمة يتدلى فوق أعلى الكاهل ، والعراب من خيله ذات مزاج عصبي شديد ، لا تسير إلا قفزاً ووثباً ، وجهه رفيع القوائم صغير الجثة لا يحمل إلا أثقالاً خفيفة ، وغنمة عديم الصوف أو قليله نحيل الخصر ، وبشره أقرب إلى قصر القامة وصغر الهامة وهزل الجسم وشحوب اللون ورخاوة المزاج منه في بشر سائر الأقطار العربية .

ناهيك بزي أهل الين في الاكتساء والاحتذاء وفي المذاهب والمشارب وفي الأطوار والعادات . فإن لكل من أقاليم تهامة والجبال فروقاً بارزة في هذه الشؤون . فجميع سكان تهامة وبعض سكان الجبال نصف عراة ، بينما سكان المدن

وبعض أهل القرى يكتسون ، وقد يتدثرون بالفرو . والتهامي يعجز عن توكل عقبات الجبال والقفر بين صخورها ومنحدراتها الكؤود ، شأن أهل الجبال ، كما أن الجبلي تخور عزائه إذا اضطر للغوص في رمال التهائم . وابن هذا الوادي يصقع إذا صعد الجبل الذي فوقه ، وابن ذاك الجبل يتلظى إذا هبط الوادي الذي تحته ، وكل منهم راضٍ بما قدر له ، لا يمكن لأحدهم أن يقاتل الثاني إلا إذا استدرجه إلى أرضه .

وصف الهمداني هذه الحالة في « صفة جزيرة العرب » فقال مثلاً عن جبل تخلى : ومن ولد في رأسه فقيح غير صحيح وخاصة النساء ومن ولد في صفحه فصبيح غير قبيح ، وطباع سكانه وأهله تخالف طباع من في صفوحه في العقل والنجدة والطول . اهـ .

عالم النبات : قلنا إن أكثر الفصائل النباتية المعروفة لها أفراد وجماعات في اليمن حاشا الصنوبرية فإنني لم أر لها أثراً إلا عدداً قليلاً من السرو في صنعاء وذمار ، جلبة الترك في زمنهم حتماً .

وقد أخذت معي إلى اليمن فيما أخذته من مختلف الأشجار المثمرة وغير المثمرة مئات من غراس السرو الأهرامي والأفقي والصنوبر المثر والصنوبر البري المعروف بالحلي والعفص والآروض والكازواريا ، غرست ذلك في أماكن مختلفة من صنعاء ، فإن أبقوا عليه وعنوا به تزدان نجدان اليمن وجباله بهذه الأشجار الجميلة . وتضيق هذه العجالة عن تعداد نباتات بلاد اليمن وذكر أسمائها المحلية .

وقد عني بهذا الأمر فيما مضى العالم الطبيعي الشهير فورسكال أحد أعضاء البعثة العلمية الدانماركية التي وفدت برئاسة نيبوهر إلى اليمن سنة ١٧٦٣ م / ١١٧٧ هـ ، وقد توفي فورسكال وقتئذٍ في بلدة بريم .

وأدرج العالم النباتي الألماني شوينفورت في كتابه المسمى : (الأسماء العربية لنباتات مصر والجزائر واليمن) المطبوع في برلين سنة ١٩١٢ م مذكره فورسكال

من النباتات بحسب اصطلاح اليانيين ، ولم يخل الترك في زمنهم من عالم يعنى بدرس أحوال الين من النواحي العلمية ولاسيا بدرس نباتاته ، ومنهم الطبيب أمير اللواء إبراهيم عبد السلام باشا صاحب كتاب (الرحلة اليانية والجغرافية النباتية في الين) طبع الآستانة سنة ١٣٢٤ هـ . وعني العالم الألماني راتجنس أيضاً بنبات الين ولاسيا في كتابه جداول توزيع فصائل النباتات اليانية بحسب ارتفاعات أماكنها عن سطح البحر .

والذي يسترعي النظر في الين ولاسيا في الجبال هو أشجار العضاء الشائكة وانتشارها بكثرة هائلة يكاد لا يرى غيرها ، ومثلها الأشجار اللحمية الشائكة ذات العصارة اللبنية . والأولى تنتسب للفصيلة القرنية والعائلة السنطية ، والثانية للفصيلة الأوفورية فمن الأولى الأنواع الآتية نذكرها مع أسمائها اليانية :

Acacia senegal	قات	Acacia arabica	سَلَم سَلَام « السنط »
Acacia Seyal	سيال « في مصر طلع »	Acacia asak	عسق
Acacia trotilis	حارس	Acacia flava	سيلام
Acacia abyssinica	طلع	Acacia spirocarpa	سمر
Acacia elaucophylla	الضهي	Acacia mellifera	ظبه
Acacia fluticosa	دفران	Acacia nubica	عرفطة

ومن الفصيلة القرنية أيضاً السدر *Ziziphus spina Christi* والسنا *cassia absus* والعشرق *cassia obovata* وغيرها مما لا يتسع المجال لذكره .

ومن الفصيلة الأوفورية الأنواع الآتية :

Euphorbia marticulata	خريش	Euphorbia ammak	عُشْق
Euphorbia monticola	سبيسب	Euphorbia cactus	كلخ ، غلق
Euphorbia polycantha	قصاص	Euphorbia fruticosa	شورور
		Euphorbia granulata	أم اللين ، مليبة
Euphorbia peplua	سبيع	Euphorbia schimperii	رميد

وغني عن البيان أن الفائدة الاقتصادية من هذه الغابات معدومة أو يسيرة . فلا يفيد بعضها إلا للاحتطاب . ومن المؤسف أن يكون القطر الياني محروماً من الحراج التي لا يخلو منها أمثاله من الأقطار الجبلية . ويظهر أن الحروب والفتن التي لم تنقطع من الين إلا لعهد قريب قضت على حراجه وجردت معظم جباله فلم يبقَ فيها من الأشجار والأنجم البرية إلا ما هو قليل النفع قليل الالتفاف ، منتشر في مناكب الجبال ومنحدراتها وحول الأودية ، على حالة منفردة أو على هيئة أدغال قليلة الكثافة ، وأشجارها من العضاء الشائكة التي عددناها ، وليس في الين من الأشجار الصالحة للنجارة والبناء سوى (الأثل) *camarix nilotica* الذي يفرسونه في صنعاء بكثرة حول البساتين أو كغابات صناعية ، وشجر آخر يحصل في الحبال يدعونه (طناب *cordia abyssinica*) لا بأس بصلابته ، لولا صعوبة عمله وقلة وجوده ويليها من ذوات النفع القليل شجر الطالوق *figus vasta* يشبه جيز مصر والشام بضخامته ، لكن ثمره لا يؤكل وخشبه قليل الصلابة والنفع ثم الطلح والسدر وأمثالهما .

وفقدان الحراج والأشجار الصالحة للصناعة يضطر اليانيين لجلب أخشاب النجارة من البلاد الأجنبية وإضاعة قسم من ثروتهم الضئيلة في سبيل شرائها . وهذا ما استوقف نظري حين شروعي بإدارة الأعمال الزراعية ، فاستجلبت لهم من مشاتل إيطاليا مئات من أشجار الحراج التي تنمو في الأماكن الجبلية كالسنديان *quereus pedunculata* والقيقب *acer platauvides* والسويد *campestris uhnus* والدلب *piatanus orientalis* وأنواع الصنوبريات التي تقدم ذكرها ، ناهيك الأوكالينوس والكاتاليا والآكاسيا وغيرها مما يصلح للزينة أيضاً . غرست بعضها لأجل التجربة في مناكب جبل نُقْم المشرف على صنعاء وبعضها في صنعاء والقرى المجاورة لها . ولعلمهم إذا عنوا بها وفاقاً لما علمتهم وكتبت ، واستكثروا من التي تنجح تجربتها عندهم يحدون منافعها في المستقبل ويحدثون منها أحراجاً تغنيهم عن جلب الخشب من الخارج .

وأكثر الفصائل النباتية أفراداً وجماعات في الين هي :

- الفصيلة الكبارية ، : ومنها الكليومة الخماسية الورق ، والكليومة الغربية والكبر الخوذي (في تهامة) .
- الفصيلة الخزامية : ومنها الورس أو الصباغ الأصفر ، يكون في تغز والعدين ويصدر إلى أوربة
- الفصيلة الطرفائية : ومنها الطرفاء البنية والمعضلة واسمها في الين الأثل تكثر في صنعاء وضواحيها ، ويستكثرونه بغرس عقله على صفوف منتظمة .
- الفصيلة الجنازية : ومنها الخبيزة والأبويتلون والبامياء والختمية وحب المسك الذي يعلق نساء حجيعة بذوره كالمسبح في رقابهن ، لأنها إذا دلكت تنشر ريحاً طيباً كالمسك .
- الفصيلة السلاسترينية : ومنها القات الذي يعضغ اليانيون أوراقه ، وسنأقي في بحث الزراعة على إيضاح ذلك .
- الفصيلة العناية : ومنها السدر والنبق في تهامة والجبال
- الفصيلة القرنية : الفراشية ، ومنها السلب
- في تهامة ، ينسجون من أليافه حبلاً وأكياساً وأقمشة ، والحلبة التي لا بد لليانيين أن يأكلوها في كل طعام ، والفصفصة واسمها في الين القضب ، والنيلة والسيسان
- الفصيلة القرنية السترابينية : ومنها الخيار شبر السنامكي (حجيعة) والتمر هندي (تغز)
- الفصيلة القرنية الميموسية

قام المرحوم أحمد وصفي زكريا بسؤال أحد مسؤولي الزراعة بلحج عن
الأشجار المعروفة بالمنطقة فكتب له الجواب التالي :

الشجر المعروف

أنواع الليمون

برتقال حلو . يوسفى . جيلي . خُمَّاشُ . جريب فروت . نارنج . حامض
نوعان طويل ومدور ؛ الأول قشرته جافة والثاني قاتمة إترنج .
جَوَّافة أحمر وأبيض مدور وطويل اسمه في لحج زيتون . تين سكري .
وأسود أمريكاني . وأبيض بلس يماني .
(مانجو) اسمه في لحج (عمبأ) فيها جملة أنواع منقولة من الهند منها
الألفنزو والبايرة وبقية الأنواع بلدية .

توت أحمر طويل الثمر

عنب عاصمي بياض عيون أسود أطراف رازقي
رمان . بابي في لحج اسمه عَنَبُ . فرسك إنجليزي ومصري ويماني

چمروك

چامبو (نوعان أسود وأبيض)

شيكو

لتشي

جُنْدَة

أَقْلَة

القشطة العادية اسمها بالهندية (ستافل)

قشطة حمراء اسمها بالهندية (رامفل)

قشطة ناعمة بدون قشور اسمها بالهندية (مامفل)

قشطة كبيرة مشوك (إفريقي) اسمها في بعض لغات إفريقية والمغرب

كرفنص بالهندية أو بالإنكليزي چيك فروت وهي فاكهة كبيرة مثل
البطيخ تعلق في أصل عود الشجرة
برقوق (كبنيشن) نوع آخر يمني من نوع (المري بولان) ونوع ثالث
أوراقه حمر (ياباني)
النبق نوعان مدور كبير ، وعنابي طويل منقول من نبق نحو امدوار في الهند
الموز شجرة قصيرة نوعان كاكى وأبو نقطة . الطويل موز أحمر وموز كبير
قرن الثور . والموز الصيني صغير
لوتس يشبه البرتقال
بدام باللغة الهندية ومعناها لوز وفي لحج يقال (بيدان) الذي قال فيه
شاعر صنعاء :

كل الشجر فديه على البيذان أكلّ وظل
شجرة الجوز الهندي ويقال له في لحج « نارجيل » وأصلها من لغة الهند
(ناريل) الذي قال الشاعر اليمني دون أن يرى الثرة .
مكحول من ربّه وفي صدره حبوب النارجيل
فالتة : باللغة الهندية شجرة ثمرها عنقودي حبوب حمر مثل النبت الصغير
منقولة من حيدر آباد يصنع شرابات لذيدة
(ماهونجا) الشجرة التي رأيته يصنع من عروقها النشاء
المشهور من الأشجار الموجودة في اليمن
في قسمي الجبال والتهائم على اختلاف المناطق

الأشجار التي لها ثمرها	البن
الصفصاف	العنب على تعدد أنواعه
الفلفل المالطي	الرمان الحلو والحامض
الكالبتوس	

القاقوق	السفرجل
الطنب (سبستان)	البرقوق والمشمش
زرج (جور)	الخوخ
السدد	الأجاص
الأثل	الكمثرى
الطلح أم غيلان ومن القرض وله	التفاح
أنواع كثيرة كالسمر والسلم	الليمون الحلو والحامض
العشر	النارنج
الأراك	قليل من البرتقال واليوسفي
الحناء	الأترج
قصب فارسي (حلال)	العنب (الأبناء الهندي والشامي)
السرو	النخل في المناطق الحارة
شجرات من الفستق غير الجيد	التمر الهندي
الطرفاء	خيار شنبر
	الجوز
	اللوز
	الموز
	التين (البلس)
	التين الإفرنجي
	التوت الأحمر وقليل من الأبيض
	شجرات من الزيتون لا تثمر
	الخروع
	حبة الملوك
	خرنوب

عالم الحيوان : وعالم الحيوان يسدي في الين كثرة وروعة غريبتين . فالجبال تحتوي على أفراد قليلة من الضباع والذئاب ، وعلى أسراب كثيرة من القروود . وفيها كثير من الحشرات والهوام المؤذية كالأنفاس والعقارب والرتيلاوات السامة والبق . وفي تهامة أسراب كثيرة من الغزلان السارحة . واسم القرد في الين (رباح) . على حين أن هذه الكلمة في اللغة تطلق على القرد الضخم^(١) .

وللقروود في الين ألوان عديدة . فمنها الأسود والأصفر والأحمر . وهي تسرح وتمرح مجتمعة بحيث لا يقل عدد السرب عن العشرات وأحياناً عن المئات . وهي تعيش في المناطق ذات المياه ، فتسطو على الزروع والبقول وتتلفها ، ولكل سرب رئيس كبير الجثة يحكم على سربه حكم القائد في جيشه . ولما كان القروود جبناء وشديدي الإحساس يسيرون بحذر وانتباه كالجنود المتخذ وسائل الحيلة في أرض معادية ، فإنهم يضعون لكل سرب قرداً أو قردين في الطليعة والساقة^(٢) والجناحين الأيمن والأيسر . فإذا ظهر أمام السرب السائر مانع ما في إحدى الجهات المذكورة يصيح القرد الموظف في تلك الجهة ليوقف السرب كله ويصفي إلى مصدر الصوت ، فإذا صاح القرد الموظف صيحة ثانية ينطلق السرب بسرعة منهزماً نحو الجهة المقابلة الآمنة ، وعند الهزيمة يمتطي الصغار ظهور أمهاتهم أو يتعلقون حول بطونهن . والقروود قلما تتعرض للإنسان ، ما لم يستفزها فترشق حينئذ بالحجارة أو بما يماثلها .

أما الطيور الكواسر كالنسر والعقاب والصقر والحدأة والرُّخمة وغير الكواسر كالحمام والقمري والعصفور والشحرور والبلبل والمهدد والحجل والقنبرة والشرقاق وغيره فحدث ولا حرج عن كثرة أنواعها وأجناسها واختلاف أشكالها وألوانها

(١) في معجم الحيوان لأمين معلوف ص ١٧ « إن هذه اللفظة من أصل سامي بمعنى رب أو شبهه ، لأنهم كانوا يعظمون القرد في الين كما كان يفعل قدماء المصريين » .

(٢) الساقة : ساقه الجيش مؤخره (ح) .

وأصواتها وغرابة طيرانها حول المساكن وفوق الرؤوس بلا وجل ، ويعزى ذلك إلى كراهة صيد الطير لدى اليابانيين أرباب المذهب الزيدي .

(الأديان) الدين العام في اليمن هو الإسلام . ومسلموه إما شيعة من أتباع مذهب زيد بن علي بن الحسين بن علي ، الذين يقولون بوجود الإمامة وتعيينها في أحد أبناء بيت النبوة الحائز على الشرائط الآتية :

أن يكون ذكراً حراً مجتهداً علوياً فاطمياً عادلاً سخيّاً ورعاً سليم العقل ، سالم الأطراف صاحب رأي مدبراً مقدماً فارساً . وإما سنية من أتباع مذهب محمد بن إدريس الشافعي ، الذين لا يقولون بحصر الإمامة في آل البيت . وجميع سكان جبال اليمن الأعلى زيدية ، كما أن كل سكان جبال اليمن الأسفل والتهائم شافعية . والزيدية يؤلفون ثلث سكان اليمن ثم الشافعية يؤلفون الثلثين . لكن السيطرة في يومنا بيد الزيدية كما كانت أيضاً في أكثر العصور الماضية . وقد تقدم القول : إن الفروق ملحوظة بين أتباع المذهبين من نواحي الأخلاق والعادات والحالات السياسية والإدارية .

ويقوم في جبال قضاء حراز قليل من الإسماعيلية أتباع داعي الدعاة (سلطان البهرة) في الهند ويسمونهم مبكرمين وفي الهند بهرة . وهم غير الإسماعيلية الذين يؤلفون آغا خان الزعيم الهندي المعروف ، واليهود يؤلفون عشر سكان اليمن ، وهم منتشرون في أكثر مدن اليمن وقراه ، يقيمون وحدهم في أحياء منعزلة ويؤدون جزية ضئيلة لاتتجاوز الريالين لقاء أمن واطمئنان لا يرون نظيرهما في أي قطر آخر ، وهم مكلفون إرخاء العارضين ولبس أزياء خاصة ذات لون أسود أو ما يماثله وعدم ركوب الخيل وتقلد السلاح . وذلك لكي يميزوا من المسلمين ولا يخل أحد باطمئنانهم . وعلى الرغم من مظهرهم الدال على الخفض والضعف فإنهم هنا حالاً من المسلمين المنكوبين بالبؤس والخلول . فمعظم الصناعات

في الين في أيدي اليهود ، وكذا معظم التجارة ، وكل الصيرفة ، فهم الحاكمون في الحركة الاقتصادية .

(الطبقات) :

كيفما جال الغريب في بلاد الين يشاهد أساليب الحياة وتقاليد المعيشة ، والأطوار والأفكار ما تزال على ما كانت عليه قبل بضعة قرون ، منها : أن الينيين مازالوا ينقسمون كما كانوا في عهود أجدادهم الغابرين إلى طبقات عدة هي : السادة والفقهاء والقضاة والنقباء والمشايخ والعقال والقبيليون فهؤلاء على القوم والمنظورون فيه . ويولي هؤلاء العوام وأرباب الحرف كالحداد والنجار والحزار والبناء والمزين والحمامي والنشاط والدوشان والمقهوي والرعوي وعيال العقال ... وأمثالهم المعدودون من الخشارة^(١) في المجتمع اليناني .

(السادة) : لا تطلق كلمة السيد في الين إلا على المنتسبين لآل بيت

الرسول ﷺ ، ولا يجوز استعمالها لغيرهم . والسادة في الين كثيرون ، تجدهم أينما ذهبت ، أسرهم معروفة وأنسابهم محفوظة . وهم أسمى طبقات الين وأوفرها احتراماً وإعزازاً . وهم القابضون على عنان العقائد والميول والمسيرون للآراء والنزعات .

وإذا صادف اليناني رفيعاً كان أم وضعياً واحداً من هؤلاء السادة وإن صغر سنه ورق حاله يهوي على ركبتيه ويديه بالتقبيل . وإذا ما ألقى أحد هؤلاء السادة خطبة في مسجد أو حادث جمعاً في منزل أو أذاع نشرة في البلاد يدعو لزعامته أو نصرته ، لا بد أن يشرع بالفخر والتمدح ، وأنه من آل بيت الرسول الخصوصين بالتقديم والتكريم وقراء الذكر الحكيم الذين ورد في وجوب محبتهم والتعلق بأذيالهم كذا وكذا من الآيات والأحاديث ، كما يذكر مثلها في فضائل الين وأهل الين ، وأشهرها حديث (الإيمان يمان والحكمة يمانية) .

(١) الخشارة : الرديء من كل شيء (ح) .

وكل الإمارات والعمالات الرفيعة والمقامات والوظائف الدارة في اليمن هي للسادة بادئ ذي بدء مهما قلت معرفتهم وكفاءتهم ، وكل صدقات الفطر والمهدايا والندور الدينية في الأعياد والمواسم وغيرها من الأوقات تجبى لهم مهما كثر ما لهم وسعد حالهم .

فتأمل بعد هذه الوجاهة والسيطرة الروحيتين الفائقتين كم يؤثر هؤلاء السادة في إنهاض الشعب اليمني البائس الذي ركبوا منكبيه منذ أحد عشر قرناً ، لو تهيأت لهم شروط ذلك الإنهاض من علم نافع وشعور قوي أو وطني . والقاعدة عند السادة أن يصاهر بعضهم بعضاً . فالسيد لا يرغب في زواج ابنته إلا من سيد . ولا يصبوا ابن السيد للاقتران إلا من (شريفة) وهو لقب بنات السادات ، وقد يقتنر السيد بنت غير شريفة ويكون ولده منها سيداً ، ولكن الشريفة إذا اقترنت بغير سيد لا يكون ولدها منه سيداً .



الفقهاء : هم شيوخ الدين المتضلعون والمشتغلون بالفقه وغيره من العلوم الشرعية الإسلامية ويكونون من غير السادة . وللفقهاء أيضاً في نظر الشعب اليمني احترام يقرب مما للسادة ، وما ذكرناه عن أولئك يشمل هؤلاء أيضاً في الجملة .

القضاة : هم كبار الموظفين ورؤساء الدواوين في دوائر الحكومة اليمنية من غير السادة .

النقباء : هم أعقاب حكام بعض البلاد فيما مضى الذين دالت دولتهم فانتقلت أملاكهم إلى بيت المال ، ول هؤلاء أيضاً قدر معروف .

المشايخ : هم عمد القرى والأحياء وذوو الحول والطول فيها . والمشايخ تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء .

العقال : طبقة توازي المشايخ بالقدر والنفوذ . وقد يكون السيد والشيخ عاقلاً .

القبيليون : القبيلي هو المعروف بالقروي أو الفلاح في عامة الأقطار العربية . وقد دعي بذلك لأن قروي اليمن وفلاحيه ما برحوا محتفظين بأنسابهم واجتماعهم على هيئة قبائل وبطون وأفخاذ . فهناك همدان وسنحان وعنس وحاشد وبكيل وأرحب ونهم وبلحرث وغيرها من القبائل العربية القحطانية المعروفة من قبل الإسلام ، لاتزال هي والفروع العديدة التي تشعبت منها في العصور المتوسطة والأخيرة ، وتسمت بأسماء شتى كذي محمد وذي حسين وبني جبر وبني بهلول وبني الحارث والحدا وغيرها موجودة في اليمن على الحالة والفطرة اللتين تركهما أجدادهم .

فالقبيليون هم جمهرة الشعب الياني ودهماؤه وخدام زرعه وضرعه وجنود سادته وحكامه ، وحملة دواعي بؤسه وشقائه ، يرهب جانبهم ، ويقام لهم وزن لأنهم كانوا وما برحوا أتباع الناعقين وأعوان الواثبين والخارجين .

وقبيليو اليمن ليسوا من الأعراب الرحل سكان بيوت الشعر المعروفين في بقية الأقطار العربية ، حتى إن اليمن يكاد لا يعرف لهؤلاء أثراً لفقدان البراري والصحاري الصالحة لسرح الإبل والغنم والخيل والترحال ، بل هم من المتعلقين بمزارعهم ومحارثهم ، والقاطنين في قرى ودور حجرية في الجبال ، وفي عرائش وأكواخ من الشجر والقش في التهائم .

والقبائل في تهامة وفي الجبال كانوا وما برحوا تحت نفوذ زعمائهم والغالبين على أمرهم ينقادون لهم انقياداً أعمى ، وأول عنصر الزعامة في القرى يبدأ بالعقال والمشايخ ، فكل من هؤلاء في قريته صاحب الزعامة الزمنية والقابض على زمام الآراء والحقوق . وينقاد هؤلاء إلى زعيم كبير يدعونه (شيخ المشايخ) يسيطر

على قرى عديدة تختلف قلتها وكثرتها بحسب قوته . ثم إن كلاً من هؤلاء ينقاد إلى الرئيس الأكبر الذي بيده أمر القبيلة كلها .

أما الزعامة الروحية والسيطرة العليا الزمنية الإدارية والمالية والسياسية فهي بيد الأئمة الذين لم ينقطع تعاقبهم منذ أواخر القرن الثالث الهجري على الرغم من الدول التي تداولت الحكم في الين .

والإمامة قد لا تبقى في يد سيد واحد بل ينازعه فيها غيره أحياناً من الحائزين على الشروط الأربعة عشر . ونفوذ الأئمة وسيطرتهم هائل جداً . فالإمام بحسب المذهب الزيدي رئيس ديني وأمير المؤمنين وخليفة المسلمين . وقد غالى الأئمة في فرض طاعتهم وتقديسهم ورووا أحاديث ووضعوا دساتير قاسية جداً ؛ فالصبي الياني أول ما يتعلمه في الكتاب أن : « طاعة الإمام من طاعة الله ومعصية الإمام من معصية الله » وأن « لا يد فوق يد الإمام » وأن « ليس للرعية إلا مطاطت به نفس الإمام » ، وغير ذلك من الأقوال الكامة للأفواه والقاطعة لنياط القلوب مهما أساء الأئمة وأخطؤوا بصفتهم بشراً على كل حال .

الألقاب : ومن غرائب الين أن الألقاب الفخمة التي كانت تستعمل في عصور انحطاط دول الإسلام ما زال لها في الين حكم قائم لا يحيدون عنها في تراسلهم وتخطابهم . فكل سيد أو قاضي علامة وكل فقيه فهمامة ، وكل من كان ابناً للإمام فهو سيف الإسلام ، وهذا لقب لا ينازع أبناء الإمام فيه أحد . وكل من كان اسمه أحمد فهو صفي الإسلام وينادونه بالصفى ، ومن كان اسمه محمداً فهو عز الإسلام وينادونه بالعزي ، ومن كان اسمه علياً فهو جمال الإسلام وينادونه بالجمالي . وهكذا بالفخري وبالشرفي ... إلخ .

الزراعة

معيشة اليمانيين قائمة على الزرع والضرع ، لكن زراعتهم إلى حد الكفاف لا إلى حد التصدير والاتجار . فسكان التهائم لا يستغنون عن استيراد الدقيق الهندي المعروف بأبي فيل ، وليس في الين من المحاصيل الزائدة والصالحة للتصدير سوى البن والجلد ، اللذين لا يعتد بهما في الكثرة والإيراد . وقد يصدرون قليلاً من التبغ والسمن والعسل والورس وسليط السمسم وأحجار العقيق بأنواعه الأحمر والمشجر والسمائي ، لكن هذا القليل لا يكون إلا في سني الرخاء القليلة أيضاً . فالين لا يقاس من حيث الخير والمير بمصر والعراق حتى ولا بالشام ذي الجبال . وقديماً قال ابن البرهان الحكيم : واسم الين أكبر منه لاتعد في بلاد الخصب بلاده (صبح الأعشى ٧/٥) .

وإذا كان لتهاون كبراء الين بإصلاح مرافق البلاد عامة والزراعة خاصة أثر كبير في هذا حتى الآن ، فلقسوة الطبيعة أثر أكبر ، يحاول الفلاح اليماني أن يغالبها بجهود جبارة جديدة بالثناء والثناء . والواقع أن قسماً عظيماً من النجود والتهائم غير قابل للحرث والزرع . ففي النجود ترى المتون والحرار التي وصفنا كثرتها ووعرتها . وفي التهائم كثبان الرمال والبراري الجافة تشغل قسماً عظيماً لا تقل نسبته - على ما ظهر لي - عن ستين في المائة من عموم المساحة ، والبقية التي قدرها أربعون تستثمر استثماراً مكلفاً لضيقها ونقصها عن الحاجة ، وهي منبثة على غير اتصال في الأودية والمنحدرات والمنبسطات .

والفلاح اليماني من أشقى فلاحي العالم لكثرة كده وعثرة جده ونقص العناية بأمره ، فهو يضطر :

أولاً - بحكم كثرة الجبال التي وصفناها مراراً إلى أن يتجشم في منحدراتها عملية شاقة مكلفة يحرق بها أرضين جديدة وينشئ غيطاناً صناعية يسميها جرباً (جمع

جربة (يملؤها بالتراب الذي ينقله على ظهره ، وقد يكون ذلك من مكان سحيق بعد أن يدعم أمام التراب مجدار عريض لا ينقص ارتفاعه عن مترين أو ثلاثة في أكثر الأماكن .

وهذه الجرب تكون صغيرة المساحة في الغالب لضيق الأرضين فلا تتجاوز المئة أو المئتين متراً مربعاً . وهي تحسب عندهم بوحدة من القياس يدعونها لبنة ، ذرعها يختلف بحسب المناطق فتكون تسعة في تسعة أذرع أو ضعفي ذلك .

وابن الجبال في الين لا يغادر أصغر بقعة في جباله مما يمكنه استثماره إلا ويتعلق بأذيالها ويحمل لها التراب ويقلبها جربة . والسائر في الجبال أينما يتوجه ير هذه الجرب متدرجة من سفوحها إلى قممها ، بعضها فوق بعض كالمصاطب المتوالية وهي تعد بالعشرات وأحياناً بالمئات ، فيما يكون المنحدر شاهق العلو .

ثانياً - يعتمد الفلاح اليماني في الحرث على عملية النقب defoncement واسمها عنده (القلط) . ذلك لأنه لا يستطيع الحرث بالبقر في كل زمان ومكان ، تارة لقلّة البقر الذي تحتاجه الأوبئة والأمراض المستولية من حين لآخر ، ولا من يداويه لفقدان الأطباء البيطريين ، وتارة لتعذر صعود البقر ونزوله من أكثر تلك الجرب المتدرجة المرتفعة ، وتارة لأن أرض الفلاح ضيقة ومواسمه التي يستغلها منها متوالية لا يعوضها بالسماد فتنتهك قواها ويحتاج حينئذٍ إلى استمداد الخصب من تحت تربتها .

لهذه الأسباب يتكل على سواعده فيقلب عاليها سافلها إلى غور ٣٠ - ٤٠ سنتيمتراً ، وهو يتخذ لذلك معولاً سقيماً اسمه (مفرس) صغير المقبض ذا حديدة مستدقة طويلة . ولا يخفى أن هذه العملية أيضاً شاقة وتستدعي أيادي عاملة كثيرة تكلف وقتاً وتقداً طائلين . ولكن الفلاح اليماني يتجشها على الرغم من ذلك ، ويكرر عملها كل سنتين أو ثلاث مرة في رأس الدورة الزراعية . والشقاء

الناشئ من هاتين العمليتين وأمثالهما حدا باليانيين أن يسموا العامل فيها بالأجرة اليومية (شاقى) ويجمعونها على (شقة) .

أما في القيعان والأودية المنبسطة فقد يستعمل الفلاح الياباني المحراث المجرور بالبقر . لكن محراثه من أسقم المحارث الشرقية التي كلها سقيم . فالطرف النهائي من سكته عريض نحو ٥ - ٦ سنتيمترات ، وحقه أن يكون رفيعاً ليسهل نفوذه ، ولو كانت تربة الين مندمجة ثقيلة لاستحال الحرث به . ولكنها خفيفة سهلة التفكك . ثم هو بعد الحرث بالبقر أو بعد « القلط » يستعمل التمشيط Hersag ، ويتخذ له مشطاً اسمه عنده (المشبر) له أسنان من الحديد ضخمة دقت تحت لوح من الخشب ، مستطيل الشكل يحره بالبقر فيكسر به التلع الباقية بعد الحرث ويفتتها . وهذه عملية نافعة محمودة لم أدر من أين اقتبسها الفلاح الياباني ، وهي كثيرة الاستعمال في أوربة ، وقليلته أو هي شبه مفقودة في بلاد الشام رغم لزومها ، ورأيت أيضاً مما يحمد للفلاح الياباني أنه بعد عمل التمشيط يستعمل التمهيد Nivellement ، ويتخذ له زحافة خشبية مستطيلة الشكل في طرفها لسان حديدي ينفذ في التراب أثناء العمل ، اسمها عنده (الحر) ، يدفع بها تراب الأقسام الواطئة إلى الجربة فيدحو سطحها ويهدده لكي تتوزع مياه الري أو مياه الأمطار فوقه بالتساوي . ثم حينما يقسم الأرض المستوية إلى أحواض يستعمل المسحاة المعروفة لدى بستاني بلاد الشام ، أو يدفعها شخص ويجذبها آخر ، وذلك لرفع الحواجز بين القسائم ، واسم المسحاة عنده (مسبّ الحديد) وحصاد الزروع يؤتى بالأيدي أو بالمناجل ، والدارس يؤتى دوساً بأرجل الحمير أو هرساً بأسطوانة من الحجر الثقيل تشبه التي تستعمل في بلاد الشام لدحو الأسطحة دفعاً للوكف .

☆ ☆ ☆

أما تركيب الصخور الجيولوجي في الين فجمل أراضيها في الأكثر رملية طينية ، صفراء اللون ، قليلة الاندماج ، وسط في خصبها ، على أن هذا الخصب

يزداد في الأرضين المستوية أو المروية بمياه السيول ، والمحروثة بطريقة (القلط) المذكورة آنفاً . وأغلب أراضي القيعان المنبسطة في النجود أعزاء ويدعونها (أرض غقر) ويجمعونها على أعقار . وهي تشرب من مياه الأمطار فقط ، أو من مياه السيول التي يعنون بسوقها وفرشها فوق حقولهم . كما أن أغلب الأراضي في قعر الأودية مستوية يدعونها (أرض غيل) تشرب من مياه الينابيع والمسائل .

والحاصيل التي يعنى بها فلاحو القيعان والأودية المذكورة هي الحبوب كالقمح ويدعونها بَرّاً والشعير والذرة على اختلاف أنواعها . وعندهم للبر أنواع عديدة ، منها البوني والميساني والسمرة والعربي . فالبوني والسمرة والميساني من الأنواع الشتوية التي تزرع في الأعقار في كانون الأول وكانون الثاني وتحصد في نيسان وأيار . والعربي من الأنواع الصيفية التي تروى ، وهو يزرع في حزيران ويحصد في أيلول .

ولهم في زرع الأنواع الشتوية في الأعقار طريقة يدعونها (القياض) ، هي أنهم يخطون بالمحراث في الأرض المهيأة - خطوطاً متوازية أقرب إلى الانحناء من الاستقامة ، ويلقون الحب في الأرقام المحفورة بين الخطوط أو المتون إلقاءً ويتخذون لهذا أنبوباً طويلاً من الصفيح يربطونه بمقبض المحراث على النحو الذي يزرعون به الذرة البيضاء في بلاد الشام ، فيخرج الحب باتساق كأنه مزروع بآلة البذر الأوربية .

وللشعير أنواع منها السقلة الذي يؤكل خبزه لبياضه وجودته ومضارعه للبر ، وهو يزرع في غرة تموز ويحصد في منتصف تشرين الأول . وفي بعض الأماكن يمكن زرعه مرة ثانية في السنة . ومنها نوع اسمه الأسود يمكن زرعه مرتين في السنة صيفاً وشتاءً .

ومن الشعير ما هو ذو صفين كالشعير الحضورى ، وما هو ذو ستة صفوف كالشعير الميساني .

أما الذرة الصغيرة Sorgo فلها عندهم عدة أنواع بحسب الألوان : حمراء وصفراء وبيضاء وغبراء ، ولكل من هذه الأنواع عدة أصناف ، وهي تزرع في نيسان وأيار وتحصد في تشرين الأول وتشرين الثاني . أما الذرة الكبيرة Mais المعروفة في مصر بالشامية وفي اليمن بأسماء شام ورومي وهند ، فلها أيضاً أنواع عديدة ، تزرع في نيسان وأيار وتحصد في تشرين الأول . فأنت ترى من ذلك أن في اليمن لكل من أجناس الجبوب أنواعاً شتوية وصيفية ومواسم زرع وحصاد متوالية لاتكاد تنقطع في أكثر شهور السنة .

والمسافر في نجد اليمن وأوديته كيفاً وفي أي وقت يتجه ير حقولاً تبذر ، وأخرى تسقى ، وأخرى تحصد ، ويرى زروعاً قد نبتت وأخرى بجانبها ومن جنسها قد اهتزت وربت ، وأخرى قد حملت سنابلها ، وأخرى قد اصفرت واستحصدت وهلم جرّاً ، وهذا من عجائب اليمن .

وللهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » عبارة في هذا الموضوع تؤيد ماقلناه وتدل على قدم المصطلحات الزراعية اليمنية وغرابتها قال : « ومن عجائب اليمن أن أكثر زروعها أعقار فلذلك متن عجينةا ولان خبزها . وهو أن تشرب الجربة في آخر تموز وأول آب ثم تحرث بأيلول إذا جدت أي شربت ماءها وجف وجهها ، ثم تحرث في تشرين كراً أخرى ثم في تشرين الآخر كراً ثالثة ، ثم بذرت في كانون الأول فأقام فيها الزرع إلى أيار وصرب (يعني فطم) ولم يصب ماءً ، فأما القرارة بالهجرة فإنه يصرم (يعني يقطع بها متعجلاً بنيسان أو آخر آذار فتكون الجربة بها كثير من جهها فتحرث ويبذر فيها ثانية فتأتي بطعام معجل لحرارة الزمان يصرم بحزيران اهـ .)^(١) .

(١) أسماء الشهور : كانون الثاني - يناير . شباط - فبراير . آذار - مارس . نيسان - أبريل . أيار - مايو . حزيران - يونيو . تموز - يوليو . آب - أغسطس . أيلول - سبتمبر . تشرين الأول - أكتوبر . تشرين الثاني - نوفمبر . كانون الأول - ديسمبر .

وفي الين غير الحبوب المذكورة اللوبياء واسمها عندهم الدجرة ، والفول ذو الحب الصغير والعدس والعتر المشابه للجلبان والسسم وأجوده الماري والجوفي والخردل ، وهم يعصرونها واسم زيتها سليط ، والعلس المشابه للبر .

أما في تهامة فحرها لا ينبت البر والشعير ، وإنما العناية فيها للذرة الحمراء ، وأجودها البكر ، والبيضاء وأجودها الصيف ، وللدخن واسمه عندهم طعام ، وللذرة الشامية والسسم وللطهف .

وفي زبيد ورعية وحفاش قليل من العصفر والنيلة والحناء ، وفي أماكن أخرى التبغ والكمون واليانسون والشمار والحلبة وقصب السكر والموز .

وفي أنحاء مفتح والعدين الورس ، وكل ذلك لسد الحاجة للتصدير .

ومن دواعي الأسف أن كثيراً من الحبوب والنباتات المذكورة مصاب بأمراض وحشرات مختلفة تحتاج إلى اختصاصيين يعنون بأمرها على أن يعنى بتنفيذ وصاياهم .

وقد تقدم في بحث الأودية أن أزكى أرض اليمن تربة وأوفرها ماءً وأكثرها مزارع وريراً هي الأودية . وعلى الرغم من هذه المزايا لايسع المتأمل فيها إلا أن يعجب ويأسف من اقتصار سكانها وملاكها سادات اليمن على زراعة الحبوب والنباتات المذكورة آنفاً . فليس في اليمن من النباتات والأشجار الاقتصادية الصالحة للتصدير والاتجار إلا القليل ، وأخص هذا القليل البن وسياقي ذكره . ولو أنهم عنوا بإيجاد النباتات والأشجار الاقتصادية التي تجلب لهم دراهم من الخارج وسعوا في إصلاح الزراعة وإزالة عراقيلها لكفتهم مؤونة العوز وأغنتهم .

وثمة من المحاصيل التي أطنب فيها الهمداني (في صفة جزيرة العرب) النباتات والحيوانات الآتية التي لم يتسنّ لي رؤيتها والتثبت من بقائها حتى الآن . قال : « سكر العشر لا يكون إلا بنجران ، وهو سكر ينزل من الهواء على

ورق العشر وعلى غيره أحياناً ، وهو ضربٌ من المن وهيئته مثل قطع اللبان والمصطكي ، وقد يحل ويعمل منه سكر كبار مطيع في القوالب ، ومنها المحط ويدعى القصاص وهو حائق للباسير ، ولا تصيب هذه العلة أحداً في خيوان لاستعمالهم إياه في القدور ويعقد بالعسل ويهدى . وأهدى منه بعض سلاطين تهامة إلى العراق فكتب إليه أن احتفظ بحظائر هذه الشجرة ، فأعلمهم أنه نبات جبال قبائل وادعة وأرحب . ومنها الورس واللبان اللذان لا يكونان في غير اليمن .

وقال : وفي اليمن من كرام الإبل الأرحبية والمهرية والصوفية . ومن البقر الجندية والجنديرية في الجسم والقوة وطيب اللحم ، والجيلانية السود الحرش التي تدبغ جلودها للنعال ، ومنها الشرع المدلّمة ، ولها حيالة وحد في قرونها وبأس ، وتقتل السباع وهي العراب من البقر ، والأخرى الدرب والدربة السنام ، ومن الحمير للسرّج الحضرمية ثم المعافرية . ومن الخيل العنسية والجوفية ، وبها الكاذي الذي لا مثيل له في بلد يشبه رائحة السبلة في الثوب ، غمره ودهنه نفيس ، وبها الدعيب وهو اللي وهو من حبوب الباه ودهنه نفيس . إلى أن قال : وأما حشائش اليمن فكثيرة لمن تفقدها . اهـ .

ويظهر أن أهل اليمن في العصور الغابرة ما كانوا يعرفون الخضراوات الدارجة في بقية الأقطار - بعضها إن لم يكن كلها - فقد ذكرت التواريخ أن السلطان صلاح الدين الأيوبي لما أرسل أخاه توران شاه لملك اليمن بالنيابة عنه ، وظلّ هذا نحو سنتين (٥٦٩ - ٥٧١ هـ) كانت من أول دواعي شكواه من اليمن وطلبه من أخيه الرجوع إلى الشام هو فقدان الخضراوات والفواكه . وقد ظلّ هذا فقدان إلى عهد الترك . فهم الذين أدخلوا أكثر الخضراوات والفواكه وعلموا اليابانيين - على قدر ما تعلمه الجندي والموظف - طرائق زرعها وأكلها ، تراءى لي ذلك من أن اليابانيين يعرفون الخضراوات بأسمائها التركية فيقولون للباذنجان

باطلچان وللفليفلة بويار وللسلق بازي ، حتى إن اللبن الرائب لا يعرفونه إلاً باسم يوغورت . على أنهم قلما يستعملونها .

وليست الأشجار المثمرة معروفة في قم الجبال إلاً في صنعاء وتعز وأمثالها من المدن وهي قليلة ، وجلها رديءٌ ومريضٌ بمختلف العلل والحشرات . فالتفاح والكثري ويدعونهُ عنبروث والسفرجل والخوخ ويدعونهُ فرسك والمشمش ويدعونهُ برقوق ، والتين ويدعونهُ بلس ، مما لا يستحق الأكل إلاً اللوز وله جبل خاص باسمه فإنه جيد .

وربما تردت هذه الأثمار ومرضت لازدحامها واشتباكها لفقدان العناية والمعرفة بانتخاب البزور والفراس وبالتطعيم والتقليم وغيرها من الأعمال البستانية الفنية التي يجملها اليابانيون . وهذا مادعاني لفتح المدرسة الزراعية وطبع ونشر عدة رسائل منها رسالة خاصة في فن زراعة الأشجار وفاقاً لحاجات البلاد اليابانية ، وذلك خلال المدة القصيرة التي حددوا وجوب مكوثي فيها . وليس عندهم من الفواكه أطيب من العنب وإن لم أدركه أو أذقه ، وله في صنعاء وضواحيها فيما قيل ثمانية عشر صنفاً .

وهم يربون شجيرات العنب على هيئة دوالٍ عاليةٍ يعرشونها فوق أخشاب أفقية مستندة إلى عمدان من الحجر طولها نحو مترين . ويجعلون هذه الدوالي على صفوف مزدوجة بين الزوج والزوج نحو ستة أمتار أو أكثر ، وبين الصفين في الزوج ثلاثة أمتار . ولا يعرفون طريقة أخرى لغرس الكروم . وهم يتعجبون إذا سمعوا أن كروم العنب في بلاد الشام وأمثالها مؤلفة من شجيرات قصيرة الساق القائمة أو المتمددة ، المغروسة صفوفاً متقاربة .

ويندر عندهم البرتقال والليمون والأترج ولا يعرفها إلاً الخواص ممن لهم بساتين في وادي ظهر قرب صنعاء . على حين أن غيره من أوديتهم الحارة صالح

لتكثيرها . وقد سعت إلى ذلك ، وجلبت كثيراً من غراسها وغراس المندرين كما جلبت كثيراً من أصناف التفاح والكمثرى والمشمش والخوخ المعروفة في الشام بالدراقن وذلك للتجربة وإصلاح الموجود لديهم منها بالتطعيم .

ورأيتهم يجهلون أيضاً بعض الأشجار المثمرة التي رأيتهما مناسبة لإقليمهم الجبلي كالزيتون والفسق والصنوبر والكرز فجلبت من هذه أيضاً ، ومن المشملة الصالحة لأوديتهن فزرعت بزور بعضها ، وغرست غراس الآخر ، ورأيت بدء نجاح القسم الأوفر منها ، ومن أشجار الحراج والزينة التي تقدم ذكرها . فإذا لم يهتموا هذه الأشجار الثينة وتعهدها وفاقاً لما كتبت وأرشدت يؤمل حصول فوائد جمة لهم منها في المستقبل .

البن اليمني وأصنافه :

وأحسن وأبرك ثمر أوجدته القدرة الإلهية الفاطرة لبلاد اليمن ، وجعلت كل رغائبه متناسبة مع جو هذه البلاد وتربتها هو (البن) ، والبن من الفصيلة الفوية Rubiaceae ومن العائلة السنكونية Cinchonea واسمها العلمي Cafea Arabica . قيل : إن موطنه الأصلي بلاد الحبش ، ولم يزرع في اليمن قبل بداية القرن التاسع الهجري ، وكان ذلك على يد شيخ فاضل اسمه جمال الدين بن أبي الفخر .

والبن يوجد حول صنعاء وأمثالها من النجود العالية الجافة ، بل في الأماكن الجبلية المتوسطة في ارتفاعها بين (١٠٠٠ - ٢٠٠٠ م) المعرضة لأبجزة البحر والأمطار الاستوائية ، وهو يعلو بمحدود ٣ - ٤ أمتار له ساق قائمة مستقيمة ، لا يضخم قطره أكثر من ٦ - ٧ سنتيمترات ، والأغصان الجانبية النامية على هذه الساق تمتد في كل أطرافها بنسبة واحدة موازية للأفق وطول يقرب من المتر .

وأوراق البن تشبه عن بعد ورق الليمون بشكلها ولونها الأخضر القاتم

وخلودها . وأثمار البن حبوب ذات قشر يكون في أول أمره أخضر ثم يصفر أو يحمر احمراراً أرجوانياً ، وإذا جفَّ يسود اسوداداً فاتحاً . ولا يثمر كل البن دفعةً واحدة بل يتتابع موسم الإثمار ، فيوجد البن الأخضر في كل وقت . ومن عيوب زراع البن في اليمن أنهم يقربون أشجاره بعضها إلى بعض تقريباً ضاراً لا يتجاوز المتر أو المتر والنصف ، وحقه أن يكون ثلاثة أمتار ولا يتعهدونه كما يقتضي . ولو تعلموا طرائق زراعته في البرازيل وجزائر أمريكا المتوسطة التي رقت زراعة البن فيها ، وخدموه كما يجب وعنوا بعمليات تخميره وغسله وتقشيره وغربلته بالآلات التي اخترعت خاصة للبن ، ثم بتصنيفه وحسن تنضيده وحزمه وسوقه ، وأخيراً لو عرفوا كيف يبيعونه إلى البلاد الخارجية ولا يسلونه إلى التجار الأجانب في الحديدية وعدن المتحكين في البن اليمني والآكلي أتعاب زراعه .

قلت : لو أنهم فعلوا ذلك كما ذكرته لهم وكتبت ، إذن لنالوا من وراء البن وحده أرباحاً طائلة ربما فاقت كل الزراعات ، بالنظر لما للبن اليمني من الجودة المنقطعة النظير .

ومن غرائب اليمن أن أهله لا يشربون قهوة حب البن بل يشربون منقوع قشره الذي يغلونه كالشاهي ، وطعم هذا المنقوع بدون سكر كطعم منقوع البابونج . وهو لا بأس به يخفف الظم ويقاوم بعض المقاومة فعل القات ويخفف من أضراره التي سيأتي ذكرها .

وأشهر أماكن زراعة البن في اليمن وادي لاعة ووادي الأهرج غربي كوكبان وسفوح جبل ملحان وجبل حفاش شرقي اللحية وجبال حراز وبرع وريمة وجبال بلاد أنس وبني مطر وجبال وصاب شرقي زبيد وجبل راس بين العدين وحيس وجبل حبيش بين تعز ومخا وبلاد الحجرية . بيد أن البن الناشئ في الأماكن المذكورة لا يتساوى في الخواص المرغوبة . فالتجار الذين لا يغادرون فرقاً

وتفاوتاً في أي محصول إلا أحصوه قسموا البن الياني إلى أقسام عديدة يمكن حصرها في خمسة أصناف :

فالصنف الأول : يتألف من البن المطري والحيمي والحرازي ؛ فالمطري يحصل في أنحاء بني مطر ، وهو بالطعم والرائحة أعلى البن وأفخره دون منازع ، ولذا دعوه بلؤلؤ البن . وحبته صغيرة ومنكسرة ولونها أخضر فاتح . ويلى المطري الحيمي وأحسنه يحصل في ناحيتي عر ومفحق ثم في أنحاء صعفان وبني إسماعيل وبيت المدعي . ويلى الحيمي الحرازي الذي يحصل في ناحية حراز . والبن الحيمي والحرازي أكبر حجماً وأنظم شكلاً من البن المطري لكنها أقل طيبة .

والصنف الثاني : البن الشرقي الذي يحصل في جبل شرق وبلاد أنس . وحبوب هذا الصنف منتظمة وبيضية الشكل للغاية . تكاد لا تختلف الواحدة عن الثانية بالطول والعرض ، وهي بالطيبة أيضاً في الدرجة العليا . لولا أن زراع هذا الصنف يستعجلون بتقشيريه وإنزاله إلى أماكن البيع فيخسر من طيبته قسماً كبيراً . لأن البن مهما يكن جنسه ونوعه لا يجود ما لم يترك قبل التقشير نحو ستة أشهر على الأقل ريثاً يحف .

والصنف الثالث : البن الشامي الذي يحصل في بلاد اليمن الشمالية كقضاء حجة وجبل رازح في أنحاء خولان الشام . والبن الذي يحصل في أنحاء عفار وبيت قدم يحسب أيضاً من هذا الصنف . وكل حبوب هذا الصنف كروية الشكل إلا أن عفار فإنه بيضي قليلاً .

والصنف الرابع : البن العديني الذي يحصل في بلاد اليمن الجنوبية كأنحاء عدين وتعر وإب والحجرية . وهي أوطأ أنواع البن الياني بالطيبة والقيمة ترسل إلى الخارج عن طريق عدن ومخا .

والصنف الخامس : البن الذي يحصل في الأماكن المتوسطة ما بين التهائم

والنجد كأخاء برع وحفاش وملحان ورمة ، وبن ريمة يعادل البن العديني بالقيمة . أما بن حفاش وبرع وملحان فهو أوطأ أنواع البن الياباني بلا خلاف .

ولابد من التنويه أن تجار البن في أسواقه العالمية المعروفة إذا اشتروا البن الذي يحصل في جزيرة المرتينيك وهو أجود وأعلى أنواع البن الأمريكي بأربعة قروش فإنهم يشترون البن الياباني المنتسب إلى الصنف الخامس بسبعة أو ثمانية قروش ، ناهيك ما يدفعونه للأصناف التي فوقه . ويذكر أن في قضاء غامد من لواء عسير بنأ أعلى بكثير وأطيب من الصنف الأول الذي ذكرناه ، بل من كل بن العالم على الإطلاق ، وحبوبه كروية ومثل حب اللؤلؤ ولا تختلف الواحدة عن الأخرى قط .

ومما يذكر بمزيد الأسف أن محصول البن في اليمن كله ، ليس من الكثرة والقدر الذي يحمد عليه . فقد قيل : إن جميعه لا يتجاوز ٨٥٠٠ عدة ، والعدة عندهم وزن نحو مئة كيلوغرام ، فيكون المجموع ٨٥٠٠ طن . في حين أن في اليمن أماكن كثيرة صالحة لزراعة البن أهملت ، أو خصصت لشجر القات الضار الآتي ذكره .

القات وأضراره :

القات شجر خبيث ابتلي اليابانيون بمضغ أوراقه المخدرة ونشروا زراعته في كل جبالهم وأوديتهم ، وهو من الفصيلة السلاسترينية Celastriaceae واسمه العلمي Catha Edulis ، وطنه الأصلي الحبشة ، ومنها انتقل إلى اليمن في القرن العاشر أو الحادي عشر الهجري كما جرى قبله بالبن ، والدليل على أن وطن القات هو الحبشة وأن اليابانيين ما كانوا يعرفونه قبل القرنين المذكورين هذه العبارة الواردة في صبح الأعشى للقلقشندي ٣٠٦/٥ قال في بحث الحبشة : وعندهم (يعني أهل الحبشة)

شجر يسمى جات بجيم بين الجيم والشين^(١) ولا ثمر له ، وإنما له قلوب (يعني أوراق) تشبه قلوب النارج تؤكل فتزيد في الذكاء والفهم وتفرح^(٢) إلا أنها تقلل الأكل والنوم والجماع . وعنايتهم به عناية أهل الهند بالثبل وإن كان بينهما مباينة . وأي نفع فيما فائدته تقليل النوم والأكل والجماع اللاتي هي لذائد الدنيا . حتى يحكى أنه وصف لبعض ملوك الين فقال : أنا لا يذهب متحصل ملكي إلا على هذه الثلاث ، فكيف أسعى في ذهابها بأكل هذا ؟^(٣) .

والقات يعد في يومنا أجل محاصيل الين وأوفرها ريعاً ، ولكن في داخل البلاد لا خارجها لأنه لا يصدر ولا يربح منه إلا اليابانيون ، بعضهم من بعض . وقد انتشرت زراعته انتشاراً هائلاً أكثر مما كان قبل ربع قرن ، وزاحمت زراعته زراعة البن وغيرها مما هو صالح للتصدير إلى خارج البلاد . وأجود القات يحصل في جبل صبر قرب تعز .

وأشجار القات معمرة تشبه عن بعد أشجار الحور ، يتراوح طولها من المتر إلى خمسة الأمتار ، أوراقه قلبية الشكل صغيرة وقاسية وشديدة الإخضرار . وزهره صغير أبيض ولا يستفاد من الشجرة إلا غب مرور ثلاث سنوات على غرسها ، والغرس يكون بالعقل لا بالبذر . ومحصوله يستمر طول السنة . وله أنواع مختلفة تختلف بحسب الأماكن التي ترد منها ويمتاز بعضها عن بعض بالطول والحلاوة .

والقات داهية الين الدهاء ومصيبته العظاء . ابتلي به كبيرهم وصغيرهم وجليلهم وحقيهم وهم لا يبغون عنه حولاً ولا يقبلون به جدلاً . بل يمدحونه

(١) يظهر أن حرف الجيم لما انتقل القات إلى الين انقلب فصار بين القاف والكاف كما هو لفظ اليابانيين .

(٢) هذا زعم يقوله اليابانيون أيضاً في يومنا ليسوغوا ابتلاءهم بالقات .

(٣) أين هذا الملك ليرى الآن ما بلغت حالة أهل بلاده باستعمال ماعافته نفسه وقد كان جيد مصيب .

ويهجون من يذمه بأبيات وجل لا يقرها المنطق . وقد أدى استعماله منذ ثلاثة أو أربعة قرون إلى أن أضاع صحتهم وبدد فطنتهم وأضعف همتهم وبعثر ثروتهم وأصبحوا على تعاقب الأجيال صغار الأجسام هزال الأبدان صفر الوجوه غائري العيون ضعاف النسل . لا دأب لأحدهم مها عضه البؤس بنابه إلا أن يقتصر على نفسه وعياله لينفق معظم ما يجنيه على شراء القات ومضغه كيا يخدر رأسه ويُبسط نفسه على النحو الذي يحصل للمبتلين بالأفيون والحشيش في الصين والهند وغيرها .

وفي ظني أنهم لولا هذا القات لما عدموا الصحة والهمة اللتين كانتا لأسلافهم قبل الإسلام وبعده . وقد شاد هؤلاء الأسلاف - الحيريون والسبئيون - حضارات ومصانع لاتزال آثارها تبعث الإعجاب والإكبار ، وكان لهم القدر المعلي في حمل راية الإسلام في فتوحاته الأولى من حدود الصين شرقاً إلى شواطئ الأطلنتيك غرباً . لكن أخلافهم ابتلوا بالقات فأضاعوا من جرّائه خصال أولئك الأسلاف الجسمية والروحية ، وأصبحوا على الحالة التي لا يحمدون عليها .

واثم القات أكثر من نفعه في تخدير الفم والمعدة على النحو الذي تفعله الكوكا وفي بعث الجذل والنشو والسهر ، وفي ما يزعمونه من مضادته للزحار والملاريا ووقايته من النزلات المعوية وتقويته للهضم .

أما آثاره فن احتواء أوراقه على مادة النانن والقهوئين والقاتين . والنانن يجفف الباطنة والقهوئين يطرد النوم وينبه الأعصاب ، والقاتين على خلاف القهوئين يرخي البدن ويسكن الأعصاب ، وهو إلى ذلك يقلل شهية الطعام ويضعف البهائم ... ويوجب الصداع والقبض وآلام الأمعاء الغليظة ، ويؤدي النشو والاسترخاء اللذان يحدثها إلى فتور ينفذ إلى قرارة النفس فيجعلها خاملة خائرة . ومن خواصه تأثيره على الغدد اللعابية وتزييده إفراز اللعاب وإجباره الماضغ على التفل بكثرة كما يجبره النانن على شرب الماء بترادف واستمرار .

وقد يؤدي الابتلاء بالقات إلى الجنون وناهيك مرض الباسور المتفشي في
الين كثيراً . والنساء المبتليات به يجنين على أنفسهن وأطفالهن ، لأن الطفل أثناء
الحمل والرضاعة يتغذى بخلصة القات . أضف إلى ذلك أن المبتلى ينفق كما قلنا
معظم ما يجنيه ثمناً للقات الذي يباع بأثمان غالية في حين زوجته وأطفاله
يتضورون جوعاً أو يقتاتون بالشيء الغثيث .

هذه هي عوامل هزال النسل وخوله في الين فإذا داماً قرناً أو قرنين ولم
يبعث الله بمن يستأصل هذه الشجرة الخبيثة ويعدمها بالكلية ، ويمنعها عن
اليانين منعاً باتاً ، قد تؤدي بهم إلى نتيجة جد محزنة .

واستعمال القات يدعى في الين (تخزين) من كلمة الخزن . ولهذا التخزين
أوقات وأماكن معينة يرتادها أكبر القوم وأغنيائهم . أما الفقراء والعمال والباعة
والصناع ، واسم هؤلاء هناك (عيال السوق) فيخزنون وهم سائرون في طريقهم
أو قاعدون في حوانيتهم وراء بضاعتهم أو منهمكون في صناعتهم . لا تفوتهم لقمة
منه ، وتراهم وقد انتفخت أوداجهم بما وضعوه من ورق القات الذي جعلوه
كالكرة التي أكبر من الجوزة وملؤوا أفواههم بها يحركونها دوماً . أما الكبراء
والأغنياء فلهم مكان مسقوف مغلق قد يكون خاصاً بواحد منهم في صنعاء
(المفرج) وفي الحديدة (المبرز) ، وهو غرفة كبيرة مستطيلة تكون في أعلى
طبقة من دورهم ذات الثلاث أو الأربع طبقات ، ولها نوافذ واسعة مشرفة من
عل على مناظر بعيدة . يمدون فيها الطنافس والمفارش والمساند الجميلة . يتكئون
عليها ويحتشدون . ويكون وسط المفرج مملوءاً برزم القات وأمام كل من الجالسين
نرجيلة طويلة ضخمة يسمونها (مداعة) لا يقل طولها عن المتر متقنة الصنع ،
عليها رأس كبير فيه تنباك يدعونه الحومي يأتي من حضرموت ، وهو قوي شديد
الأثر ، ولكل نرجيلة نبريج طويل وغليظ مغلف بقماش حريري رقيق مزركش
وطول النبريج لا يقل عن أربعة الأمتار . ويكون وسط المفرج أيضاً منقل كبير

عليه الأباريق النحاسية المملوءة بمنقوع قشر البن ، وفناجينه ، وإبريق فخاري فيه ماء يستعمله ماضع القات لغرغرة فيه ، ومبصقته نحاسية يستعملها للبصاق ولطرح بقية أوراق القات التي ينتهي مصها ولا يبلعها بل يمص ماءها ثم يطرحها في المبصقة .

ومجالس التخزين تبدأ كل يوم من بعد الظهر إلى بعد العصر حيث يذهب كل امرئ إلى عمله . ثم يجددون المجلس من بعد العشاء إلى وقت متأخر من الليل . وحين هم يخزنون يتحادثون ويتنادمون أو يتمازحون أو يغنون ويطربون . وهم إذ ذاك لابد أن يغلقوا الأبواب والنوافذ لأن نشوة القات وبهجنه لا تتم مالم يكن جو المجلس حاراً محصوراً ، ولهذا ترى هواء هذه المجالس حاراً وكثيفاً وفاسداً من جراء تصاعد دخان النراكيل وأنفاس الجالسين المزدهجين وروائح عرقهم الذي يكثر بسبب هذا الحر وكثرة شربهم الماء . فإذا دخل إنسان غريب غير معتاد على هذا المنظر ضاق صدره واكتأب وحاول الخروج والابتعاد . وإذا سألتهم عن سبب إغلاق النوافذ وتكثيف الهواء وإفساده أجابوا : إن ذلك لخوفهم من البرد بحكم أن جبال الين باردة وأن البرد أساس كل علة . وهو جواب غير مقنع . ولما كانوا يقضون الساعات الطوال كل يوم في هذا الجو الفاسد منذ أجيال صارت أجسامهم هزيلة وصحتهم متأخرة على النحو الذي قدمنا ذكره .

هذا والقات يرد كل صباح محملاً على ظهور الجمال من أماكنه إلى المدن فيهرع تجاره قبيل الفجر إلى استقباله في خارج المدينة . ويتخاطفونه ويشترى كل منهم ماوسعه الجهد ويأتون به إلى السوق وهنا تجد الناس قد تهافتوا على شرائه كتهافت الجياع على شراء الخبز أيام الحروب أو المجاعات ، يتزاحمون بالمناكب ريثما يفوز كل منهم برزمة أو عدة رزم ، يهرول بها راجعاً وكأنه حاز السعادة للدارين .

وجلة القول : أن أضرار القات بالين وشعب الين جسيمة ، تعصف بصحتهم

وحيويتهم وتهدد نشاطهم وتضيع أوقاتهم ، وفي اعتقادي انهم إذا ظلوا مبتلين بهذا القات ومواظبين على استعماله كل يوم فلا خير لهم ولا مستقبل ولا مجال لبروزهم ومجاراتهم شعوب العالم . وإن مكافحة هذه الشجرة الخبيثة والسعي إلى استئصالها وحرقها وتحريم زراعتها والاستعاضة عنها بأشجار مثمرة اقتصادية صالحة للتصدير ، وجلب العملة الصعبة كالبن الذي هو أصلح ما يعيش لديهم ويوجد ، ثم البرتقال والليون والزيتون والفسق والصنوبر المثمر الأشجار الحراجية التي تعطيهم ما هو مفقود لديهم من الخشب للصناعات وغير ذلك مما يثبت بعد التجارب المكررة أنه يعيش في أجواء الين وأتربته ، هو من أول واجبات الجمهورية اليابانية العتيدة التي بدأنا نسمع بمشاريعها وإحداثياتها الطيبة ، فلعلها فاعلة بما تمنيناه إن شاء الله .

الصناعة

معيشة أهل الين بسيطة وحاجاتهم قليلة ، ومعظمهم يعيش حافياً عارياً ، إلا من فوطه تستر نصفه الأسفل ، ولذا هم في غنى عن كثير من المصنوعات الكمالية والإفرنجية التي يمتص الغرب بها ثروة أهل الشرق .

ولا تخلو مدن الين من الصناعات الضرورية الشرقية ، ولو أنها على أضعف درجاتها وأبسطها ، فعندهم منها السكافة والخياطة والحداة والنجارة والصابغة والنسيج والبناء . يشتغل محترفوها بما يتناسب مع أذواق اليابانيين الساذجة .

وعندهم صناعة عصر السمسم والخردل اللذين يأكلون زيوتها . ولما كان لا أثر للزيتون ولا لزيتته في الين فهم لا يعرفون صناعة الصابون . ويأتيهم الصابون من أوربة ولا يستعمله إلا المترفون منهم في المدن ، أما القرى فقل فيها من يعرفه من سكانها .

وقد كان اليابانيون فيما مضى معروفين بأنهم صناع اليدين وحذاق في الحرف

التي عددناها ولاسيا نسج الأثواب المخططة الغالية المعروفة باسم (البرد اليابانية) . والمدن التي كانت مشتهرة بهذه الحذاقة صنعاء والسدة والشعر وزبيد وبيت الفقيه والحديدة والمراوعة ، وقد قضت مصنوعات الغرب على صناعات هذه المدن وأشقت أهلها ، ولم يبق من آثارها إلا القليل ، وتقاقم الخطب في السنين الأخيرة بمصنوعات اليابان الرخيصة .

وقد بقي من آثار صناعة النسيج القديمة صنع القماش المشابه لما يدعى في مصر بالغزلية ، وفي الشام بالديما ، وصنع اللحف والمآزر التي يتزر بها النساء ، وصنع البسط على اختلاف أنواعها وألوانها ، وكذلك القوط والمناشف .

وبعض الصناعات في يد اليهود كالصياغة وتركيب الزجاج وتخصيص الجدران وصاغة اليهود يصوغون من الذهب خواتم وعقوداً وأساور وخلخل جميلة ، ومن الفضة والنحاس أواني منقوشة ظريفة ، ومنها النراجيل التي يدعونها مداعة ، والخناجر التي يدعونها جنبيات .

وقد كان الوالي التركي الشهير حسين حلمي باشا شاد في سنة ١٣١٩ هـ في صنعاء مدرسة عظيمة للصناعة ، إلا أنها هجرت بعد جلاء الترك ، وأخيراً انتهت الحكومة اليابانية إلى ضرورة إحياء الصناعة ففتحت مدرسة عملية لتعليم بعض الصناعات كالنسيج والنجارة والصابون وجلبت لها اختصاصيين من الشام ومصر ، ولا يعلم مدى دوامها ونجاحها بعد .

التجارة

يستورد اليابانيون من الخارج عن طريق عدن والحديدة الأقمشة المتنوعة والصابون والسكر والأرز الهندي والدقيق الهندي المعروف بأبي الفيل ، والتمر البصري ، ذلك لفقدان زراعة الأرز عندهم ، ولقلة محصول القمح في الجبال ومحصول التمر في التهائم .

ويصدرون عن طريق عدن والحديدة أيضاً المحاصيل التي تقدم ذكرها وهي البن والجلد والتبغ والعسل والسمن وزيت السمسم وأحجار العقيق ، ولكن هذه المحاصيل لا تصدر إلا في سني جودها وفيضها . وإن صدرت لا تقابل ربع الوارد .

ومعظم التجارة في ميناءي عدن والحديدة بيد اليهود والهنود وبعض اليونان والطلليان ، وفيها نفر من الشاميين أبناء حلب ودمشق يستوردون المنسوجات والمصنوعات الشامية التي لا يزال لها بعض الرواج في الين ، بعد أن كان في عهد الترك أكثر من الآن .

ومن مصائب الين وأهله أنه ليس فيه نقود حكومية ولا بنوك رسمية أو أهلية فنقودهم الريالات النسائية القديمة المسكوكة في سنة ١٧٨٠ ، وقد ضربوا لها في صنعاء أجزاء كالأرباع والأثمان . وبنوكهم التجار الأجانب واليهود ووكلاء البواخر الإنكليزية في الحديدة وفوق الكل البنك الإنكليزي الهندي في عدن ، وهؤلاء يتحكمون في زراع الين وتجاره . ذلك بأنهم يسيطرون على أسعار المحاصيل والنقود اليمانية فيرفعونها ويخفضونها كما يشاؤون . واليانيون لا يبدون حراكاً لجهلهم أساليب التجارة والمراسلة وعدم سماحهم لأحد بفتح بنوك وابتعادهم عن الاتصال ببقية الأقطار ، لذلك ترى الحركة المالية والاقتصادية في جمود وتبلبل محزنين ولا من يداوي العلة .

المباني في المدن والقرى :

لا بد أن تبني القرى في الين على نشوز عالية أو في شفا المنحدرات أو وراء أكمة أو صخرة كبيرة ، للدفاع والمراقبة خوفاً من الطوارئ التي لم يخل الين منها ، وإذا لم يجدوا مكاناً حصيناً تام الحصانة ، مستوفياً شروط النشوز والإشراف الحربي على ماحوله أحاطوا القرية بسور من التراب أو الحجر بعضها لصق بعض .

والمدن أيضاً تبني حسب أوجه الدفاع المذكورة ، فتبقى محصورة محدودة بالأسوار العالية ، لهذا ترى البيوت مكتظة والأزقة ضيقة ومعوجة أو يغلب أن تكون واجهات هذه البيوت جميلة ذات منظر جميل وخلاب ، إلا أن داخلها بشع وباعث للكآبة . والأزقة تترك على حالها دون رصف أو تعديل أو تقويم ، فتكثر معارجها ومعاطفها . وما من صاحب بيت إلا ويضع يده على جزء من الطريق الذي أمامه ، فيجعله مربوط دوابه أو ملقى قامته ، فترى الأقدار محتشدة في كل مكان .

والنور والشمس قليلا الوجود في مدن الين ، وكيفما التفت تجد عطفات ملوثة مظلمة وجدراناً متداعية وخرائب متهمة .

هذا في الجبال أما في تهامة فليس فيها ذلك المنظر الجميل الذي نجده في دور مدن الجبال . لأن بلاد تهامة المحرومة من القمم نجد دورها عرائش ذات طبقة واحدة ، جدرانها من الطين وسقفها الوائجة من سيقان الذرة ، أو أغصان الأشجار ، مما يجعل منظرها لا يتمتع بجمال أو فن .

غير أن بعض مدن تهامة الساحلية ، ولاسيما الحديدة ونخا تحتويان على دور جميلة حجرية ذات ثلاث أو أربع طبقات تشبه دور الجبال وقد تفوقها . على عكس المناطق الداخلية في تهامة التي لا تتمتع بهذا الجمال ، بل ترى دورها مؤلفة من باحة مفتوحة اصطفت حولها غرف خاصة ومطبخ وبيت للمؤنة وإصطبلات الدواب . ويجعلون أمام الباب الخارجي سوراً من السياج يحيط بجهة البيت ، ويجعلون في الباحة المذكورة غرفة سقفها وجدرانها من الأغصان المورقة يسمونها (المبرز) يتخذونها لاستقبال الضيوف أو للاستراحة والاستمتاع .

وقد يكون المطبخ وغرفة النوم والإصطبل قريباً بعضها من بعض ، فيشترك كل منها بروائح الآخر وسوائله وجوامده أو يصيبه رشاش منها . أما

المراحيض فتجعل في الباحة أو وراءها ، وكثيراً ما يستغنون عنها . وقلما يخلو داخل البيوت والفنادق من بقايا التبن والأرواث والأقذار المختلفة .

أما الغرف فإنها لاتستعمل النور إلا من داخل الباحة وعن طريق نافذة صغيرة أو تقتصر الإنارة على الباب الصغير فقط .

أما أثاث الغرف فقطعة من الحصر ، وفي دور المترفين عدد من البسط والطراريح والمساند ، ويقتني أهل تهامة للنوم الأسرة المصنوعة من الخوص والليف يرفعون أنفسهم بها عن الأرض خوف الحشرات .

والنارجيلة لا بد من وجودها . أما أدوات المطبخ فعدد ضئيل من الطناجر والصحون النحاسية والجرار الخزفية . أما الموائد فالصواني من القش أو الخزف . وتكون الآبار داخل باحة الدار أو خارجها ، وقد يشترك بها أهل الدور المجاورة . ولا يخلو داخلها وحولها من الوحل والتبن والروث .

وينام التهاميون في أكثر أيام السنة في العراء وعلى السطوح ، ويشترك أفراد الأسرة كلهم حين النوم في مكان واحد .

مساكن الجبال :

ودور مدن الجبال تكون قليلة العرض شاهقة الطول وذات طبقات عديدة ، ولكن لا يكثرث بالناحية الصحية قط ، لافي وضع الدار ولا في اتجاهها . لأن أهم ما يفكر البناؤون والمعماريون فيه أن يجدوا بادئ ذي بدء طرف منحدر أو كنف صخرة أو جوف مغباً يقحمون البناء فيه مما يشكل اكتظاظاً بالأبنية في طرف المنحدر أو الجوف ، لكننا لانجد أي مسكن بالجهة الفسيحة التي يكثر ورود الشمس والهواء إليها . بل قصارهم أن يجعلوا الجبهة كيفاً وافقتهم مع موضع المنزل .

وهم يكثرن في الطبقات السفلى من فتحات المرامي للدفاع ، ويجعلونها في

كل الجدران مجمعة أو مفردة . لكنهم لا يفتحون أي نافذة ولو صغيرة جداً . على حين نجد في الطبقات العليا بعض النوافذ الصغيرة .

وشكل بناء الدور مربع أو مستطيل ، أما في القيعان المستوية فقد تكون مدورة شبيهة بالأبراج ويجعلون في طبقتها العليا غرفة ذات زوايا . ولا بد من وجود فتحات المرامي في كل الجدران المدورة .

فترى أن مساكن اليايين في كل الجبال لا تختلف عن أوكار النور من حيث الحصانة والرفعة واتخاذ أسباب الدفاع . لأن الحروب والفتن التي لم تنقطع في الين قط طوال العصور الخالية جعلتهم في قلبي وحذر دائمين يقضيان باتخاذ الحذر والحيلة صوناً للأرواح والأموال المهدة دائماً .

فإذا دخلت أحد دور مدن الجبال فتنفذ من باب واسع فتعترضك إصطبلات الماشية ومستودعات التبن ، ثم تشرع بالصعود في درج كثير الاعوجاج شديد الضيق ، كثيف الظلمة تتلمس به الجدران والمداير تلمس باليدين والرجلين ، بحيث لا ترى النور الضئيل إلا من ثقب المرامي ، وفي هذه الأقسام غير المنورة إن لم تنحن لا بد أن يرطم رأسك السقف ، وإذا ما تلمست بيدك لا بد أن تلطم وجهك بجدران المنعطفات .

والطبقة الأولى التي تصلها تتألف من فناء متوسط أو صغير حوله غرفة أو عدة غرف لها أبواب وقد ملئت كل الغرف أو بعضها بالحبوب والمؤنة . على أن أكثر الدور تحتوي على مستودعات تحت الأرض لحزن القمح والشعير والذرة وغيرها من الحبوب ، وفي هذه الحالة نجد أن المعز والغنم والدجاج قد احتلت الطبقة الأولى من الدور .

ثم تستأنف الصعود في درج كالذي تقدم وصفه فتصل إلى الطبقة الثانية ، فإذا كانت الدار مؤلفة من طبقتين فحسب نجد هنا غرفة أو غرفتين منورتين

قليلاً خلافاً لما كان الوضع في الطبقة الأولى ، وقد نجد المطبخ أيضاً وهو في الين في الطبقات العليا دائماً وليس له مداخن ويستعاض عنها بفتحات مدورة كبيرة مصفوفة في أعلى جدار المطبخ قرب السقف ، فيخرج بعض الدخان من هذه الثقوب ، وينتشر جلّه في داخل الطبقة يفتش على منافذ للهروب . ثم تستأنف الصعود في درج ثالث إلى السطح فتجد فيه باحة ضيقة أو واسعة حولها غرفة استقبال الضيوف أو الغرفة التي يسمونها (مفرج) أو (منظر) .

وفي أكثر القرى تكون المراحيض على السطح وفي إحدى زواياه ، وندر أن يجعلوها سقفاً أو باباً .

والأثاث في تلك الدور من الحصر أو البسط المفروشة على الأرض وطراريح مستطيلة مدت في جوانب الجدران تجاه بعضها بعضاً ، فوقها مساند مدورة أو منبسطة نظيفة أو غير نظيفة ، ثم قد يكون على الجدران شراشف أو مناشف عريضة علقت عوض السجاد ، وثمة على الرفوف أو على القماري التي تفتح فوق النوافذ زجاجات فارغة ، وأوان مختلفة وضعوها بقصد الزينة ، وفي السقف يعلق مصباح ينار بالبترول . وفي أرض الغرفة ووسطها صينية نحاس يدعونها معثرة أو (معثرة) قد تكون كبيرة أو صغيرة ، بيضاء أو صفراء ، يضعون عليها نارجيلة من صنع الين تكون طويلة رشيقة ، ومحلاة بالفضة أو غير محلاة ، وحول النارجيلة المتافل ، التي يتفلون فيها بقايا القات الممضوغ . كذلك نجد مجامر البخور وقواعد نحاسية طويلة ذات مقابض ، تتخذ لوضع فناجين منقوع البن ، ونجد الطاسات الصغيرة الخاصة بالشرب . وقرب الصينية نجد منقلاً معدنياً أو خزفياً فيه عدد من الجنبات وهي أوانٍ من الخزف لغلي قشر البن يسدون أفواهاها بالقش ، وترى بخار القشر المغلي يتصاعد منها .

هذا وصف دور الين إجمالاً ، على أن صنعاء وتعز وذمار وكوكبان وتهامة ويريم وثلا والطويلة وأمثالها من أمهات المدن والقرى ذات الحضارة والثروة

البارزتين تحتوي على دور شاهقة يبلغ عدد طبقاتها الخمسة أو الستة ، فترتفع كمناطحات السحاب في أميركة ، وتتعدد في أسباب التجميل والرخاء ، فترى الباحات في كل طبقة مبلطة أو معدسة (عدسة) وحولها غرف عديدة جميلة صالحة كل الصلاح للمبيت ، وزخرفت جدرانها بالنقوش والرسوم التي تعمل من الجص ، وزخرفت نوافذها بقطع عديدة من الزجاج ذي الألوان الحمر والزررق والصففر وغير ذلك من الألوان المختلفة الجذابة ، مشكلة صور الشمس والأقمار والنجوم . وقد نجد بعض النوافذ قد استبدلت هذا الزجاج الملون بقطعة واحدة من الميكا الشفاف ، وثمة مراحيض فسيحة نظيفة .

أما الأثاث في مثل هذه الدور أو القصور فتكون أنظف وأتقن مما سلف ذكره ، ففيها السجاد العجمي الفاخر والمعشرات الجميلة والنراجيل الرشيقة والصحون والفناجين الهندية .

وأكثر عناية اليابانيين في هذا المضمار تتوجه للمفارج التي إما أن تكون في ذروة الطبقة العليا أو في طرف من الحديقة إذا كانت الدار ذات حديقة . وهذه المفارج غرف فسيحة ذات نوافذ عريضة كل العرض يشرف القاعد فيها إذا كانت عالية على مناظر ممتعة في البعد والإشراق . أما إذا كانت المفارج في الحديقة فإنها تطل على الأشجار والرياحين أو على الحوض الواسع العميق ذي الفسقيات والمياه الصاعدة المتناثرة منها ، وكثيراً ما يزينون جدران هذه المفارج بأبيات أو دعوات ذات معان مبتهجة مكتوبة بالخط النسخي ، أو يرسمون أزهاراً ملونة ...

وكيفما كانت عظمة دور الين أو ضعفتها فهي تبني في الغالب بوضع الحجر فوق الحجر بدون مؤنة بينهما . وأرض الطبقات تكون من الطين الذي يمدونه فوق سطح مؤلف من أغصان الأشجار ، التي يضعون بعضها جنب بعض ويضيقونها ويمدونها فوق جسور كبيرة من خشب الأثل أو الطنب وأمثالها مما يوجد في الين ، ولهذا إذا هبت رياح باردة تنفذ من بين الأحجار وتبدل حرارة

الدار بسرعة ، وهذا التبدل يكون على أشده في الدور التي ليس في جدرانها ملاط . ولما كانت أرض الغرف من الطين فهي تتشعث في وقت وجيز وتتوسخ ، ويكثر فيها البرغوث والبق (الفسفس) . على عكس الدور التي تكون أرضها مبلطة أو معدسة بالإسمنت فهي سالمة إلى حدٍ من هاتين الآفتين .

إن عدم الاكتراث بتوجيه البيوت نحو مصدر الشمس وصغر الأبواب والنوافذ وحرمانها من ألواح الزجاج يجعل داخل الدور فاقد الشمس والهواء ، وإذا كانت الدار خاصة بأناس مزارعين فإننا نجد داخل الدار متشعباً بروائح المواشي وعلفها وروثها .

وتجعل المراحيض في دور الين حيث تجري السوائل نحو الخارج والجوامد إلى الداخل ، ولا نجد في أي مدينة في الين مجار عمومية للأقذار ، فالأقذار الجامدة تجمع في داخل البناء ، أو في طرف الشارع في موضع مستور بجدار ، فإذا ماتفسخت يسترونها بالرماد أو بالتراب ، ثم يوعزون إلى اليهود المختصين بهذه المهنة فينقلونها .

ولما كانت مجاري السوائل النازلة من المراحيض والمطابخ تنسكب على الشوارع والأزقة وهي مكشوفة ، فترى جو المدن والقرى في كل مكان مشبعاً بأكره الروائح .

ويقل صرف الماء في البيوت لقلته وصعوبة سحبه من الآبار والسواقي . لذا ترى النظافة قليلة إلى حد ما .

فهذه الشرائط المخالفة لقواعد الصحة جعلت اليابانيين بعيدين عن السلامة العامة فأبدانهم قذرة ، ووجوههم صفر شاحبة ، ونفوسهم معتلة وأخلاقهم مختلفة . لأن الصحة الكاملة لا تكون إلا في الوسط النظيف .

أما التدفئة في الين فتكون بالمناقل التي يغلون فيها جبنات القشر (البن)

ولا يكون قصدهم الدفء بل الحصول على منقوع القشر المغلي ليس إلا . وهم يتدفؤون بشرب بضع حبات من هذا المنقوع ويسمون ذلك (تقشراً) . أي إنهم يجدون ينايع الحرارة في داخل أبدانهم لا في خارجها ، وإذا أصبح الصباح ببرد شديد ينتشرون في الأزقة والساحات ويتدفؤون بأشعة الشمس .

والأسواق في البلدان والقرى في الين عموماً ضيقة . وحوانيت الباعة في هذه الأسواق حجرات جد صغيرة مرتفعة عن الأرض تشبه خَمَّ الحراس ، نرى البائع جالساً في مؤخرتها ، وفي يده نارجيلة ، وقد حشر نفسه وراء سلعه المبسوطة أمامه .

ولا تخلو المدن الكبيرة ولا سيما الحديدية التي يكثر فيها الأجانب والغرباء من مخازن كبيرة ونظيفة بالمقارنة .

وحوانيت القصابين تكون منعزلة عن السوق العام ، ويكون داخل هذه الحوانيت وخارجها في غاية القذارة ، وترى اللحوم معرضة للغبار وأسراب الذباب .

ولا تزال أبواب أسوار المدن في كل أنحاء الين وحتى في العاصمة صنعاء على الرغم من انتشار الأمن تغلق بعد صلاة العشاء ، ويمنع الدخول والخروج منها فيستلمها الجند والحراس إلى مطلع الفجر كأنهم في حالة حرب أو إدارة عرفية .



الملابس والأزياء

ومن غرائب الين أن أزياء أهله وإن كانت عربية ، لكنها لا تشبه ما في بقية الأقطار العربية . فالرجال في المدن يلبسون القنايز الفضفاضة المسدودة من الأمام ، ويجعلون أكمامها عريضة واسعة طويلة إذا تدلت تصل إلى الأرض ، وهم يشبكون هذه الأكمام وراء ظهورهم فتظهر كالحدبة . وهم لا بد أن يتنطقوا بمنطقة عريضة مرصعة عند مترفيهم بالفضة أو الذهب يضعون في وسطها سكيناً عريضة يدعونها (جنبية) ، ولا بد أن يجعلوا على أكتافهم قطعة مستطيلة من نسيج الصوف أو القطن يدعونها (الحفة) يستعملونها لوقاية الرأس .

والعوام في المدن والقبليون في القرى لا بد أن يصبغوا هذه الثياب والفرط وأبدانهم أيضاً بالنيلية الزرقاء ويعتقدون أنها تنفع للبرد تدفع .

والنساء في القرى يشبهن بأزيائهن وسفورهن التام نساء القرى في بقية الأقطار العربية . أما اللواتي في المدن فحجابهن شديد ، يسترون بملاء فضفاضة بالألوان الزاهية كالأحمر والأصفر والأزرق على مثال ملأاء النساء في قرى غوطة دمشق .

والأثاث والرياش في بيوتهم لا يزال على الطراز القديم فهم يفرشون الحصر والطراريح والسجاجيد الممددة على الأرض ويتكئون على المساند وهم لا يعرفون استعمال الكراسي والأرائك ولا القعود وراء المناضد حتى في دواوين الحكومة أيضاً .

ثياب أهل اليمن

ثياب الرجال :

القميص : هو الخارجي ذو الأكمام الواسعة (الأردن) .

الزنة : هي القميص الداخلي ، وهي تلبس تحت القميص الخارجي السابق الذكر ، أو تكون وحدها إن لم يوجد القميص ، فتكون هي الخارجية .

المدرعة : هي التي على البدن مباشرة ، وهي قصيرة فوق الحقرين وتقابل عندنا (الفانيلا) ، وتكون تحت القميص إن لم تلبس الزنة .

السروال : هو طويل يستر النصف الأسفل من الجسم فيغطي الخصر وكامل الأرجل ولا يلبسه إلا الفقهاء وأمثالهم ، أما عامة الناس فقلما يلبسونه .

الطراش : هو الحذاء المفتوح الأصابع .

اللحفة : يحملها الياني على منكبه .

غطاء الرأس : العمامة للفقهاء - والقبع للعمامة - والغماية للقبلي - والحماة للجندي . وكلها عمام تختلف بطريقة لفها وبعض هؤلاء يلفون العمامة والقبع على قوفية (كوفية) .

ثياب النساء :

اللحفة : الستارة ، اليك : الفرو القصير بلا أكمام .

الحرم : الفرو الطويل ذو الأكمام .

إزار الناس (النساء) : ستارة وهو غطاء للوجه ويتكون من برقع
للصغيرات والكبيرات .

مغمق : وهو البشيق أي الصرماية وهي حذاء الناس .

زنة النساء : إذا كانت سوداء فهي الشقة ، ويضعن على رؤوسهن عصبة على
شكل (كرة) مؤلفة من عدة طيات تدعى مصرات تصر رأسها فيها .

فرادي : وهو ثوب أبيض تحفه على شكل عزبات^(١) صغيرة ، وتسمى
عصابة ، ثم مقرمة فيظهر رأسها منتفخاً ، تضع طرف الستارة عليها .



(١) ما يشبه الورد (م إ) .

المعارف في اليمن

إذا نظرنا إلى ماتقوم به سائر البلدان العربية من الاهتمام بنشر الثقافة وفتح المدارس على اختلاف أنواعها للبنين والبنات من ابتدائية ومتوسطة وثانوية ودور المعلمين والحقوق والطب والصيدلة إلى غير ذلك ، فإننا لانجد أثراً لمثل هذه المدارس في اليمن ؛ وقد كان حظ اليمن منكوداً حتى في أثناء حكم الدولة العثمانية ، فإنه نظراً لنفور اليانين من الأتراك واشتعال الثورات المستمرة لم تتمكن الحكومة التركية من فتح مدارس تذكر ماعدا بعض المدارس الصغيرة التي لم تحصل عليها إلا بصعوبة كبيرة ، ولهذا بقيت اليمن في عزلة تامة بالنظر لبعض البلاد العربية التي استفادت بعض الفائدة من مكاتب الأتراك .

ولكن لليمانين اهتماماً خاصاً في تعليم أطفالهم قراءة القرآن والكتابة ، ويكون هذا التعليم على أيدي معلمين تستأجرهم الأهالي في كل قرية أو مدينة ، ولهذا لم يكن هناك للأمية نصيب يذكر حيث تبلغ نسبة الأمية ٥٠ % ، هذا وإن كانت هذه المدارس لا تفي بالمطلوب ولا تتعدى نطاق تعليم المبادئ الأولية .

ولما جلا الأتراك عن اليمن واستلم زمام الحكم الإمام يحيى ، بدأ بتوسيع هذه المدارس بشكل أولي فكان في ذلك تشكيل عدة مدارس ، منها مدرسة الكتاب بغية الحصول على موظفين في دوائر الحكومة .

كذلك فتحت مدرسة حربية يدخلها أشرف العرب والسادة ، وكانت مدة هذه المدرسة تختلف نظراً للحاجة فمن سنة واحدة إلى أن أصبحت خمس سنوات ويقوم بالتعليم في هذه المدرسة بقية من الأتراك يعاونهم في ذلك أبناء رجال اليمن الذين تخرجوا من مدارس الآستانة وما زالت في تحسن .

المدارس الابتدائية :

فتحت مدرسة حكومية باسم مدرسة الأيتام في صنعاء ، يهرع إليها ذوو

الفاقة حيث يجدون فيها مع التعلم قوتهم الضروري والكسوة والنوم وغير ذلك ، وآخرون يدخلون هذه المدرسة للتعلم فقط ، ولا يتناولون الأكل ولا ينامون فيها ، ويسمى الواحد منهم النهاري . وعدد طلاب هذه المدرسة يتراوح بين ست مئة وثمان مئة ، وهي ذات ستة صفوف ابتدائية ويختلف منهجها عن منهج البلاد العربية ، إذ لم يدخل العلم الحديث كما دخل بقية الأقطار العربية ، والأمل في تعديل المناهج الدراسية لبلوغ المقصود كما سمعنا .

والمتخرج من هذه المدرسة يوظف في دوائر الحكومة براتب بسيط أو يرسل ليعلم في القرى والمدن .

المدارس الأهلية :

قلنا إن اليمانيين لا يهتمون أولادهم بل يلجؤون إلى إرسالهم إلى المدارس الأهلية ، وهذه مقتصرة على القرآن والكتابة ومبادئ الدين وهي منتشرة في البلاد كافة وإن كانت فائدتها صغيرة .

وعندما تسنم سيف الإسلام عبد الله بن أمير المؤمنين وزارة المعارف شرع بفتح مكتبين يضمن أبناء الأهالي لتعليمهم مجاناً ، وتمتاز دروس هذين المكتبين عن المدارس الأهلية بوجود شيء من الجغرافية والحساب والتاريخ بصورة أولية وكل الأساتذة يمنيون .

دار المعلمين :

فتحت مدرسة يخرج فيها معلمون في القرى والمدن ، ومنهج هذه الدار يعنى بالدروس الدينية واللغوية مع شيء من الحساب والجغرافية والمساحة . وتختلف مدتها نظراً للظروف والحاجة فمن سنتين إلى ثلاث .

المدارس في التعليم الراقى :

في صنعاء مدرسة تسمى المدرسة العلمية تحوي عدداً كبيراً من الطلاب الذين

لهم تفوق في علوم الدين واللغة ، مثل الحديث وأصول الدين والتفسير ، ومن اللغة المعاني والبيان والبلاغة وسائر فروع اللغة العربية ، وفي هذه المدرسة قسم داخلي ، ويمكث الطالب فيها مدة تتراوح بين ٧ إلى ١٠ سنين ، ويخرج منها عالماً وهي أشبه بالأزهر . وبعد خروج الطالب منها يعين حاكماً أو ما أشبه في الوظائف اللائقة به ؛ وكل أساتذتها من علماء الين البارزين وهم يتناولون راتباً جيداً .

المدارس في الجوامع :

لا يخلو جامع مهما كان صغيراً من وجود عالم أو أكثر يقوم بالتدريس في شتى العلوم الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية ونحوها .

وهؤلاء العلماء يبذلون أنفسهم للتعليم لوجه الله تعالى لا يريدون جزاءً ولا شكوراً ، ويكون نظام التعليم بشكل حلقات داخل المساجد ، وفي كل وقت ليلاً ونهاراً ، وعدد الدروس في اليوم الواحد قد تبلغ ستة أو سبعة ، أما طلاب هذا العلم فهم من الذين تدفعهم أنفسهم لطلب العلم والتفقه في الدين لاجباً بالوظائف ، ومنهم التجار وأصحاب الحرف وغير ذلك . وفي هذه المساجد من يقوم بتدريس القرآن الكريم مثل القراءات السبع والتجويد وأكثر هؤلاء من مكفوفي البصر .

المدارس في القرى :

لا ينتظر أهل القرى مساعدة الحكومة في إرسال المعلمين بل يقومون بفتح مدارس لتعليم أولادهم القرآن والخط والدين وتسمى (مِعْلَمَة) ولا يرضى الفلاح اليماني بدخول ولده في الأعمال الزراعية ومساعدة أبيه حتى يحصل على العلوم المذكورة ، وبهذا عدم عدد الأميين في الين . وعندما فتحت الحكومة دار المعلمين صارت تزود هذه القرى وتلزم بالتعليم مجاناً ، ويقوم المعلم في القرية بالإرشاد الديني وغيره مثل صلاة الجمعة والعيدين ومواعظ الآخرين حسب المناسبات .

كلمات يمانية معكوسة

بلاد داخل ←	البلاد الخارجية	شركة ←	اللحمة
مطلع ، منزل	فوق ، تحت	الجلجلان	السسم
دافئ	سخن	الحسيك ^(١)	الشعير
الحوت	السك	البر	القمح
البرقوق	المشمش	السليط	الزيت
عنبرود	الكثري	ازقم	أمسك
أجاص	الخوخ	سكي	أريني
الفرسك	الدراق	قبر	اقعد
ثربة	اللية		

مواطن السكن في اليمن

الأثوية	أسماء الأفضية مراكز الأفضية صنوف	أسماء النواحي	عدد القرى المرتبطة بالنواحي
صنعاء	صنعاء	صنعاء	صنعاء
جبل حراز	مناخة	١	١
كوكبان	طويلة	١	١
أنس	ضوران	١	١

(١) ولا يقال (حسيك) إلا لكية الشعير ، والفول الذي يعطى للحمير (م إ) .

الألوية	أسماء الأفضية مراكز الأفضية صنوف	أسماء النواحي	عدد القرى المرتبطة بالنواحي
حجة	حجة	حجة ، بني عوام ، شغادرة ، مسور ،	٥٨٢
ذمار	ذمار	عفار ، ٤٢ عزلة	٣٣٩
يريم	يريم	ذمار ، مغرب عنس	١٩
رداع	رداع	رداع نفسها ، سوادية ، جبن	٣١٤
عمران	عمران	عيال سريح	٢٥٦
الحديدة	الحديدة	حديدة نفسها ، قران ، جبل برع ،	
		حفاش ، ٣٢ عزلة	١٧
زيد	زيد	زيد نفسها ، حيس ، وصاب	٣٩٤
لحية	لحية	العالى ، وصاب السافل	٦١
زيدية	زيدية	لحية نفسها ، زهرة	
جبل ريمة	ريمة	بني قيس	
		ريمة ، جعفرية ، كسة ، سلفية	٧٢٠
		٨٥ عزلة	
حجور		محاشة ، عام ، خمس ، قارة ،	
		حرض ، عبس ، ٤٥ عزلة	
بيت الفقيه		جعا ٣٠ قبيلة	٢
باجل		باجل ، ملحان ، ١١ عزلة	١٤١
تعز	تعز	تعز ، تربة القحم ، قاعرة ، مقبنة ،	
		ذي شراق	٩٠٢
إب	إب	إب ، مخادر	٥٦١
عدين		عدين ، حبش	٧٨٠
قعطبة		جبل مريس ، نادرة ، حثيا	٥٧٠
حجرية	تربة	حجرية ، قبيطة ، حبش	٤٥٣
مخا		١٣ عزلة	١

٨٢٥٤

أوصاف مدن اليمن

صنعاء

صنعاء واقعة في الدرجة ١٥,٢٢ من العرض الشمالي و ٣٢,٤٤ من الطول الشرقي ، وهي في وسط سهل (أفيح) يمتد من الشمال إلى الجنوب ، ويحده من الشرق (جبل نقم) ومن الغرب (جبل عصر) .

وفصول السنة في صنعاء هي كالفصول الجارية في كل جبال (السراة) يصادف الربيع في أشهر كانون الثاني وشباط وأذار . والصيف في نيسان وأيار وحزيران وتموز ، والخريف في آب وأيلول وتشرين الأول والشتاء في تشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني .

وتكون الحرارة في صنعاء - كما هي في كل بلاد الجبال - تحت دورها الحجرية في أيام الحر ٢٢ - ٢٧,٥ وفي أيام القر ١٠ - ١,٥ إلى ٢٠ درجة .

ويحيط بصنعاء سور كبير ذو أبراج عديدة بني بنوع من الطين المقاوم لفعل الأمطار مدة مديدة ويعنى بترميمه من حين إلى آخر .

وفي صنعاء نحو ٥٠٠٠ بيت حجري و ٣٠ مسجداً أو جامعاً و ٢٠ حماماً و ٢٠ خاناً ويدعى الخان سمسة .

وسوقها كبير ذو حوانيت عديدة ولكنه عار من الانتظام والترتيب وحوانيته صغيرة ، ماعدا عدداً قليلاً بني في عهد العثمانيين الأخير ، وهي كبيرة واسعة ويقدر نفوس صنعاء بنحو ٢٥٠٠٠ مسلم و ٢٥٠٠ يهودي .. والمسلمون يعرفون الكتابة بالعربية ، كما أن اليهود يعرفون العبرانية .

وفي طرف صنعاء الشرقي بناء كبير كان دار الحكومة يقيم فيها ولاية اليمن وكبار موظفيه ، وتجاه هذه الدار جامع (البكرية) المبني على الطراز التركي . وبقرها مدرسة للأيتام ، وفي داخل (قلعة القصر) مبان وثكنات عسكرية ومستودعات للعتاد والمؤن ومطحنة وجامع كان بناء (مراد باشا) حفار الآبار - أحد ولاية الترك القدماء .

وفي غربي صنعاء مستشفى عسكري كبير اتخذته الآن الإمام مقرأ ومسكنأ ودعاه (بدار السعادة) وفي (باب السبح) قرب هذا المستشفى مخفر عسكري . وفي (بئر العزب) دار عظيمة كان يقطنها الولاة العثمانيون ، وقد جعلوها الآن مدرسة لطلاب العلوم الشرعية ، وفي قريبها بناء عظيم جميل بناءه (حسين حلمي باشا) باسم (مدرسة الصنائع) لا يزال مهجوراً خاوياً على عروشه .

وفي خارج صنعاء وفي جنوبها ثكنات عسكرية عظيمة تسع كوكبتين تدعى (الأوردو) منها ما كان للمشاة ومنها للمدفعية . وفي ذروة (جبل تقم) ثكنة أخرى .

وير من وسط صنعاء ماء يدعونه (الغيل الأسود) يستقون منه ويروون بعض البساتين في ضاحية (شعوب) .

وحدائق صنعاء كثيرة فيها من أكثر أجناس الأشجار كالعنب والسفرجل والدراق .. والخضراوات المتنوعة ..

وفي فصل الشتاء إذا وقفت خضراوات صنعاء عن الإنتاج تأتيها من الأودية المجاورة البعيدة عنها نحو ٧ - ٨ ساعات في كل يوم ، فلا تنقطع البندورة مثلاً طوال السنة .

وقد استجلب إليها الترك كثيراً من البذور والزهور والخضراوات وأغراس الأشجار فمت غواً حسناً إلا أن أكثرها قد ضاع بعدم ...

وحول صنعاء ضواح جميلة منها (الروضة) التي تبعد نحو ثلاثة أرباع الساعة (ووادي زهر) الذي يبعد ٢,٣٠ ساعة و (حدة) التي تبعد ١,٣٠ ساعة . ويذهب المترفون من أهل صنعاء إلى القريتين الأوليين ويصيفون فيها . وينسج أهل صنعاء الفوط التي يلبسها الأهليون والبزوز السوداء والملاءات الخاصة بالنساء وأغطية مفارش الدور .

وقد اختص اليهود بعض الصناعات كصياغة الذهب وعمل البارود والحفر بالجص والعلب الفضية . وقد مهر البنائون اليابانيون ببناء المباني الجميلة المشهورة في صنعاء وغيرها . فهم قد حذقوا هندسة البناء ، ولهم مهارة خارقة في بناء الجدران والأقواس ، ونحت الأحجار ورصفها بعضها مع بعض ، ومن الغريب أنهم ينون الجدران الشاهقة وقبب الجوامع والحمامات والمآذن المرتفعة وأمثالها من المباني المتناهية في العلو بدون قالب ولا صقالة ، ولا يعرفون استعمال الفادن (الشاقول) بل يقدرون استقامة المباني بالنظر حيث إنه يستحيل على الفادن أن يظهر لهم خطأ ما . وهم يستعملون نوعاً من الجص يأتون به من (بني حشيش) و (بني حارث) القريبتين من صنعاء ، وهو جص متين للغاية ، ولهذا تكون مبانيهم قوية .

ويحصل في النواحي السبع التابعة لصنعاء الحنطة والشعير والعدس والذرة الصفراء والحمراء والبيضاء والفلول والذرة الشامية والخردل وفي بلاد (الشاب) وبلاد (الروس) مغارس البن .

وفي صنعاء وملحقاتها - كما في بلاد اليمن - ترى الثيران والأبقار ذات السنام والجل والحمير والغنم والماعز والدجاج ، ومن الحيوانات البرية المعز البري والغزال والأرنب والثعلب والتمس . ومن الطيور القمري والحجل والغراب والعصفور والنسر .

وهواء صنعاء يوافق تربية الخيل حتى إنها لاتصاب هنا بمرض (الصفاي)
و (الفراحة) بتاتاً وتعمر من ٣٠ - ٥٠ سنة .

وجنس الخيل إن لم يكن كخيل العراق والشام ، لكنها جميلة وسريعة على
كل حال . وفي أنحاء صنعاء تكثر القروود ويصادف قليل من النور والضباع .

وفي صنعاء الأواقي عديدة ، منها المتخصصة . وللباعة تنظيم خاص ولو أنه
أقل ترتيباً مما هو عليه الحال في الشام .

أما بائعو الخضر والفاكهة فهم يضعونها في سلال أمام حوانيتهم . فترى بينها
الناضج والفج والصحيح والفسد تنتظر أياماً عديدة إلى أن يأتيها صاحب
النصيب ويشتريها . ومن العبث أن ننتظر مجيء جلواذ (خادم) البلدية ليراقب
أمر الصحة العامة . لأن البلديات وإن وجدت ليست رئاستها إلا مرتزقة
لبعض الأعيان . ولفقدان الأطباء لدى البلديات لاتنفع النصائح والوصايا التي
تبذل في هذا السبيل .

المساجد :

تكون المساجد في الغالب مربعة الشكل وذات سقف واطى وعديمة النوافذ
ومظلمة . وجلها لا يكون في أرضه حصر ولا طنافس بل التراب أو البلاط
الحجري فحسب . وثمة في خارج باحة المسجد صف من المرايض . وفي داخلها
حوض للوضوء حوله عدة قسائم ، مرتبة ترتيباً حسناً ، لكن الماء الآتي إلى هذه
القسائم الخاصة ينبع من حوض واحد ، لذا فهو مخالف للصحة ، ويمر المصلي من
الألواح الخارجية والداخلية ، ويحاول الطهارة والوضوء ، وإذا جاء للصلاة يمد
اللحفة التي لا بد لكل يمني من حملها على منكبه ويصلي .

الحمامات :

تكون الحمامات دائماً عميقة تحت مستوى الأرض بخمسة أو ستة أمتار . وذلك

كي يسهل توزع المياه المسحوبة من الآبار في أرجاء الحمام ، وتبقى سخونته محفوظة . فينزل القاصد إلى هذه الحمامات بدرج ، وينفذ إلى القسم الخارجي منها من باب صغير ، فيجد بركة ذات نافورة ، والأثاث من الحصير .

أما القسم الداخلي فكل غرفه وخلاياه وأجرانه تشبه ما في البلاد الشرقية ، لكن الماء البارد ينقل من الخارج .

وفي مدينة صنعاء كثير من الحمامات ، ولا تخلو بقية البلدان والقرى من حمام واحد أو اثنين ، أما أهل تهامة فيستحمون في عرائشهم ، وهم أكثر عناية بالمغسل والنظافة وقد يكررون ذلك مرة أو مرتين في كل يوم ، ولا بد للقادم من سفر أن يغتسل ، ولعل الحافز لهم إلى ذلك هو دواعي الإقليم .

دوائر الحكومة :

بنى العثمانيون في عهدهم الأخير عدة ثكنات ومباني عسكرية وملكية ضخمة في صنعاء وغيرها من المدن ، وجعلوا الثكنات في الغالب خارج أسوار هذه المدن . وقد استعمل الجيش الياني وعمال الحكومة أكثر هذه المباني . ولكن إهمالهم يكاد يقضي عليها ، وقد لا يمضي ربع قرن آخر حتى تصبح أثراً بعد عين .

السجون :

لم يبن العثمانيون ولا الحكومة اليمنية الحاضرة مباني خاصة بالسجناء . وإذا كانوا يعتقدون أن السجين إنسان يستحق التعذيب والتنكيل ، كانوا وما برحوا يلقون به في قبو أو إسطبل ضيق رطب وعفن ، يكون في الغالب تحت برج شيخ القرية أو رئيس القبيلة أو عامل الحكومة ، وقد يشغلون المساجين بالأشغال الشاقة ، بالنظر إلى أنه لا يجوز أن يأكل أحد من بيت المال دون مقابل .

وثمة دور كبيرة اتخذوها سجوناً يحشرون فيها أولاد المشايخ والعقال المقبوض عليهم رهائن ، استبقاءً لطاعة آبائهم وأنسابهم . وهؤلاء الأولاد الذين يبلغون المئات في كل معقل يظلون فيه سنين عديدة مغلولي الأرجل بقيود الحديد ، ويكون معاشهم من آبائهم . ومن رأى هؤلاء الأطفال الذين يقضون ريعان شبابهم في السجون والقيود يحكم بأن هذه الحياة الشقية التي يقضونها سوف تلقي أسوأ الأثر وأشنع الطابع في نفوسهم وتفكيرهم ، ويقر بأن (معادل الرهائن) في الين ليست إلا (مدارس الشرور والشقاء) .

المستشفيات :

في صنعاء مستشفى حكومي واحد من آثار العثمانيين ، يداوون فيه المرضى والجرحى بالأجرة ، ولو كانوا جنوداً وضباطاً ، حتى لو أصيبوا في الحرب في سبيل البلاد ، ويشرف على هذا المستشفى طبيب إيطالي ، وقد بنت الحكومة المتوكلية في غربي صنعاء مستشفى حديثاً انتهى من عهد قريب ، إلا أن التداوي فيه سوف لا يختلف عن الأول بحال . أما بقية المدن والقرى فحرومة من الأطباء والمستشفيات بالكلية ، لأن حياة الإنسان لا يعرف قدرها إلا حيث تشع أنوار العلم والحضارة ، ولما كانت بلاد الين بحكمها الحالي بعيدة عن ذلك فمن العبث البحث عن وسائل الاستشفاء .

الأماكن العامة والمتنزهاة :

المقاهي قليلة الوجود في الين ، والموجود منها قل من يرتادها ، وليس عندهم حدائق عامة سوى بعض الحدائق الموجودة بين الدور في أحياء صنعاء ، يشترك الناس بالاستمتاع بها . لكن المتنزهات الأصلية المفقودة هي التي تكون في مفارج الأغنياء وحدثهم الخاصة . وليس هناك ساحات عامة .

وكلما أراد الأهلون الفسحة انتشروا في الميادين العامة أو جلسوا جانب

الجدران أو أمام الدور منصرفين للعباسة والحادثه . وليس عندهم ألعاب وملايه
تستحق الذكر . وقد يجتمع الصبيان أو الشبان فيلبسون أحدهم أزياء مضحكة
فيسيرون خلفه ، ويدورون في الأحياء هازئين مصفقين .

وفي الأعراس والأعياد يدقون الطبول التي يدعونها (مرافع) ويرقصون على
أنغامها مشهرين الجنبيات بأيديهم .

طريق صنعاء - الحديدية

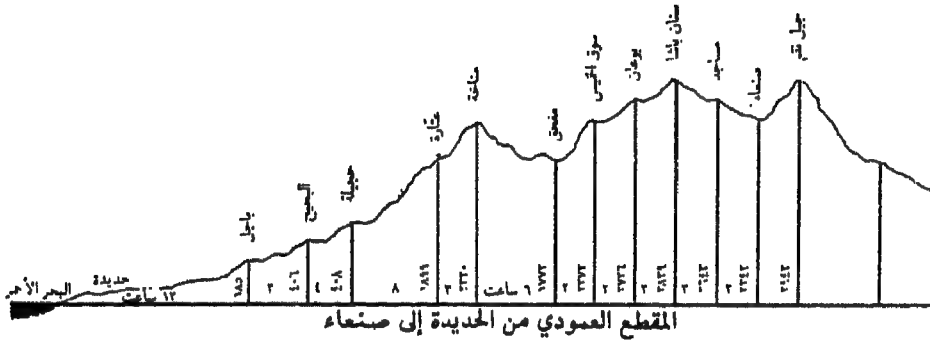
يخرج المسافر من صنعاء ماراً بسهل صنعاء (المحيط بالمدينة) فعقبه عَصِر ،
وبعد أربع ساعات يصل إلى (متنة) آخر مرحلة للقادم من الحديدية ، ثم إلى
(بوعان) التي فيها قلعة وبضعة أكواخ عند جسر جميل الهندسة ، وفيه طريق
العربات الطويل ، أما القوافل فتسير في طريق وعرة ، ثم يصل المسافر إلى ذروة
بوعان فيرى مشهداً مثل مشهد بوعان .

ومن بوعان يتجه المسافر إلى (مفحق) ، ماراً بـ (الحيمة) ثم سوق الخميس
وسط المنحدر بين بوعان ومفحق . ومفحق في وادٍ سحيق ضيق ، وما بين بوعان
ومفحق طريق في غاية الوحشة والوعورة . ثم من مفحق يعود المسافر إلى الصعود
ثم النزول مراراً ... حتى يصل إلى (سفح جبل حراز) المصعود إليه من ثقل
مناخه ، وفي رأس ثقل مناخه مناظر هائلة . وتقع (مناخه) على قمة جبل
حراز التي تشبه صهوة الفرس .

وفي مناخه يرى المشاهد وادي موسنة أمامه شمالاً بغرب ، دونها جبلا حفاش
وملحان ، والأودية الشرقية التي بينه وبين صنعاء ودونها جبل تيس وعقبه
بوعان ، ومن مناخه نزول ثان إلى أوطأ أرض في الين إلى وادي حجام في سفح
جبل وِسْل وهناك جبل الطويلة في الأفق الشمالي يتصل ظله شرقاً بالحيمة ،

وقنة شبام التي تظل مناخة بعد الظهر ، وهي أعلى قنن الين ، وبعد ظل شبام يتراءى في الغرب جبل ريمة وأعلى قمة فيه جبل برع .

ويمر هناك على (القاهرة) إحدى معاقل الإسماعيلية . ثم (اللكة) من قرى جبل مسار وتحتها العريف ووراءها جبل صُغفان وفيه حصن متوح . ثم يمر بـ (وسل) فـ (حجيلة) فـ (عبال) فباجل حتى يصل إلى الحديدية .



متره	متره	متره	متره	متره	متره
١٠ حديدية	٢٢٧٢ ملحق	٢٢٠٢ عمران	٢٤٣١ ذمار	٢٢٧٥ أبها	٢٢٧٥
١٨١ باجل	٢٢٧٢ سوق الحيس	٢٠٠١ كوكبان	٢٦٨٥ يريم	٢٢٦٠ سوغا	٢٢٦٠
٤٠٦ البحيح	٢٧٢٦ بوعان	٢٢٠٦ روضة	١٣٤٧ تنز	١٦١٠ عائل	١٦١٠
٤٠٨ حجيلة	٢٦٤٤ مساجد	١٤٠١ رفاع	٣٧٥ زهره	٢٠ قنفذه	٢٠
١٨٨٩ غارة	٢٢٤٢ صنعاء	٢٨١١ للا	٢٩٥ حبس	٢١١٠ غامد	٢١١٠
٢٢٢١ مناخة	٢١٤٢ جبل نلم	٢٦١٨ ذمرمر	١٦٥ بيت الفقيه	١٥ حلي	١٥
	٢٢١٦ صعدة	٢٦٢٥ شبام	١٤٠ زبيد	٢٥٠٠ مقرنة	٢٥٠٠

الطريق من عدن إلى صنعاء

الحج - الذُكيم آخر حدود سلطنة لحج من الشمال ، بعدها سلطنة الحواشب ووادي تُبن يتصل شمالاً بإب . ويبدأ هنا القصيد يظهر في الأفق (جبل وردة) والجبال حوله وأمامه (الخندق) قرية خيامها من القش . (المسيحير) عاصمة ابن ماتع سلطان الحواشب ، وهي قرية من الحجر واللبن قائمة على ربوة خضراء ، ينساب عند سفحها في وادي (تبن) سلسبيل فضي إلى جنبه الحقول المزروعة . (ماوية) مختبئة في الجبل وراء الوادي يصعد إليها .

(وادي الذهب) من أجل الأودية وأخصبها في الين الأسفل . تجري فيه المياه ويزرع ثلاث مرات في السنة . (وادي نخلان) وبعده نقييل المحرس ، ومنه يصعد إلى (نجد الأحمر) ٤٠٠٠ قدم علو ... يحف الهواء ويبرد الماء . ثم ينزل من النجد إلى بلدة (إب) في سفح جبل بعدان . في إب الزيتون والموز والعنب والتفاح والرمان . وفي الين الأسفل تنمو هذه الأشجار كلها ، لأنها لاتعلو أكثر من ٥٠٠٠ قدم . ولا تبعد أكثر من عشر درجات عن خط الاستواء .

(إب) مسورة قذرة وسط سهل حوله آكام ، ييوتها من الحجر وأكثرها ثلاث طبقات ، يكثر فيها الجدري والحمى وأكل القات ، وفيات الأطفال في الين كثيرة . وقلمسا يعيش للرجل الواحد من عشرين ولداً مثلاً أكثر من سبعة إلى عشرة . ويكثر فيهم النحول والشحوب وضعف الأعصاب .

وادي المرقد : وهو يفوق وادي الذهب جمالاً وخصباً ، وفيه يرى لأول مرة البن الذي يشبه ورقه وزهره الليون ، وفيه الجوز واللوز والخرنوب والموز .

بعد وادي المرقد نقييل جبل سماره (أعلى نقييل في الين) ٥ - ٦ ساعات ، في وسطه قرية اسمها (المنزل) . وفي رأس النقييل يشعر ببرد نجود الين . ومنه

يشرف المسافر وينزل إلى (قاع الحقل) وإلى الجنوب منه (ظفار) الحيرية ،
وهذا القاع مزروع بزروع شتى .

قضاء حراز

مركز القضاء مناخة ، وهي في طريق القوافل وتبعد عن صنعاء ٢٢ ساعة
في سفح جبل اسمه (شبام اليعابر) .

وفيها من عهد الترك ثكنة تسع كتيبة ومستودع للعتاد ودار للحكومة
ومستشفى عسكري كبير .

ويتبع هذا القضاء نواحي عر ومتوح وحجيلة . وفي كل منها دور
للحكومة ، ولا سيما في نعى ففيها أبراج للجنود ، وأحواض للماء ، ومستودع
للعنات والأرزاق . وفي قضاء حراز تنمو الحبوب المتنوعة ، ويحصل فيه البن
بكثرة ، وكل أنواع الفواكه ولا سيما العنب والموز والقات .

قضاء كوكبان

مركزه (الطويلة) وفيها دار للحكومة وبرجان للجنود ، وفي كوكبان
المشهور في تواريخ اليمن ثكنة تسع نصف كتيبة ، وفي هذا القضاء ناحيتان
مخويت وشبام ، وفي كل منها دار للحكومة .

قضاء حجة

حجة في غربي صنعاء وعلى بعد ٢٤ ساعة ، وهي واقعة على ظهر جبل في
وسطه واد يشطره إلى قسمين ، التفت دورها حول قلعة اسمها الظهرين . وفي
وسط حجة دار للحكومة وحوض كبير ، وفي أعلى دار الحكومة ثكنة كبيرة تسع
كتيبة . وفيها مستشفى وأبراج وأحواض ماء .

ولهذا القضاء نواحي شغادرة وبني عوام ، وعقار ، ومسور ، وفي بعضها أبراج وحصون بناها الترك .

ويكثر محصول البن في هذا القضاء ناهيك بأنواع الحبوب .

وهذا القضاء ذو أهمية كبرى لاحتوائه على واد اسمه وادي شرس ومياه جارية أخرى تروي أراضي غاية في الخصوبة والإنبات .

عمران

عمران شمالي صنعاء ومحاطة بسور ابتعد عن صنعاء عشر ساعات وتقع وسط سهل أفيح ينتهي بقاع البون . وفيها دار للحكومة ومستودع للعتاد ويقل محصول البن في هذا القضاء ومثله البر (القمح) ، أما الشعير والذرة والفول والبلس والعنب واللوز والمشمش فيكثر .

قضاء أنس

مركزه (ضوران) تبعد عن صنعاء إلى الجنوب الغربي ببعد ١٦ ساعة ، وفيها دار للحكومة كبير ، وهي في سفح جبل شاهق في قته برج للجنود وضريح للإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم يزار في اليوم الثاني من عيد الفطر .

وفي هذا القضاء (حمام معدني) يدعى حمام علي يفد إليه الناس في شهر صفر ، وينفع الاستحمام فيه من القروح والجروح وأوجاع المفاصل .

وفي هذا القضاء نواحي جبل شرق وعمة وجهران ، في كل منها دار للحكومة .

ومحصولات هذا القضاء وفيرة بدرجة أقضية حراز وكوكبان وحجة . وفيه كل الحبوب ولا سيما البن ، وبن (جبل شرق) مفضل على كل البن حتى إن

(القشر) الحاصل منه إذا شرب يظن أنه موضوع فيه سكر . ويحصل في آنس
عسل جيد ، وشمع يضيئونه في المفارج والمبارز^(١) .

ويكثر في هذا القضاء السمسم ويعصرونه ويستخرجون سليطه .

وفيه كل الحيوانات الداجنة ولا سيما الغزال والمعز البري وفي الجبل المشرف
على (زوران) آثار وعاديات حميرية كثيرة .

قضاء ذمار

ذمار في جنوب صنعاء ، تبعد ١٨ ساعة وهي بلدة تحوي ٢٠٠٠ دار و ١٠٠
دكان وحمام وخانات كثيرة ، وفي غربي البلدة قلعة مبنية من الحجر المنحوت ،
وفيها دار للحكومة ذو ثلاث طبقات .

وثمة ناحية (مغرب عنس) وتجاه بلدة ذمار جبل اسمه (هران) فيه أطلال
مبانٍ قديمة .

ويحصل في هذا القضاء غلال كثيرة من البر والشعير وأنواع الحبوب ، أما
البن فقليل .

وقد اشتهر غم ذمار ، وتزن ألية الغمة ٧ - ١٠ كيلو غرامات .

قضاء يريم

يريم تقع في جنوبي ذمار وتبعد عنها نحو سبع ساعات ، وعن صنعاء ٢٥
ساعة ، يحيط يريم سور، وفيها ١٢٠٠ دار و ٥٠ دكاناً و ٣ - ٤ بحيرات ودار

(١) المفرج والمبرز : هي غرفة الضيوف في دور المترفين من أهل اليمن مخصصة لمضغ القات ، تكون
في أعلى الدور وتقلأ بكل أنواع الرياش والأواني المزخرفة يقعون فيه في كل ليلة إلى الساعة
٦ - ٨ عربية يخزنون [أي يمضغون القات] وينشدون الأغاني .

للحكومة وحمام ومدرسة . وفي جنوبها وعلى بعد خمس دقائق (عين المريمة) وهي عين جارية يقصدها الأهليون للنزهة .

أراضي قضاء يريم خصبة ومغلالة ، ويحصل فيها كثير من البر والشعير والذرة ، ولشاينها عناية بتربية الخيل ، وفي جنوبها على بعد ساعتين خرائب مدينة (ظفار) عاصمة المحيريين . وثمة كهوف تحوي آثاراً كثيرة لو حفرت لظهرت .

رداع

رداع تقع في شمالي شرقي يريم على بعد سبع ساعات ، وعن صنعاء ٣٢ ساعة ، ليس لها نواح ، وغناها قليلة ، ولكن لأهلها علاقات تجارية مع عدن لقربها منها . وفي هذا القضاء حمام معدني ينفع العليل والأسقام .

تعز

مدينة تعز جبلية في جنوبي صنعاء ، وعلى بعد ٦٢ ساعة عنها ، والطريق إليها يمر بدمار ويريم وياب . والمسافة من تعز لخا ٢٤ ساعة ، وإلى عدن ٤٠ ساعة.

ومدينة تعز في سفح جبل شاهق اسمه جبل صبر ، وهي تتجه إلى الشمال . ولما كان جبل صبر من الجنوب ، وتقع تعز في أراضي ذات تضاريس أحاطت بها أكمات صغيرة . ولوجود بحيرة صغيرة تدعى (الهشمة) في شمالها صار هواؤها رديئاً .

وهي محاطة بسور ذي ثلاثة أبواب . ويستدل من أطلال تعز الدارسة أنها كانت فيما مضى مدينة عامرة جسيمة ، وقد صغرت عما قبل ، وليس فيها الآن

سوى نحو ٤٠٠ دار وخمس جوامع كبيرة وحمامين و ١٠٠ دكان و ١٥٠٠ مسلم و ٥٠ يهودي . وفيها دار للحكومة وثكنتان ومدرسة ومستشفى في شرقي المدينة .

نواحي تعز أربع ، ذيزات ، تربة القمح ، قاعرة ، مقبنة ، وجبل صبر خصب للغاية ، يحصل فيه كثير من البن والقات وغيرها من المحاصيل ، ويحمل قات هذا الجبل إلى الحج وعدن حيث يباع فيها . ويحصل في النواحي المذكورة أنواع الحبوب .

قضاء إب

مركزه إب في شرقي تعز، وعلى بعد ١٣ ساعة ، وعلى الطريق الآخذة من صنعاء إلى تعز ، وإب محاطة بسورها ٥٠٠ بيت ، و ٥٠ دكاناً ، وخان كبير ، و ٢٥٠٠ نفس ، وفيها دار للحكومة ، وفي جوار سورها حديقة .

وفي شمال غرب إب ، وعلى بعد ١,٥ - ٢ ساعة ، بلدة جبلة من بلاد اليمن المشهورة وفيها ١٥٠٠ بيت . وفيها جامع تركي على طراز جامع البكرية في صنعاء بناه محمد بك أحد الأمراء العثمانيين ، أشرف على الخراب ، ومثله مدرسة بناها المذكور ، ودار للحكومة .

وفوق جبلة جبل تعكر من الجبال المشهورة ، وفي قته أطلال قلعة ... كانت خراباً ثم رمها طغتكين بن أيوب ثم خربت بعده .

وفي جنوبي مدينة إب وبينها وبين قعطبة ، وعلى بعد ثمانية ساعات من إب بلدة (عذارب) وهي ذات ١٥٠٠ بيت وجامع ضخم ودار للحكومة قديم وثلاثة أحواض ماء .

وفي قضاء إب جبل (بعدان) فوقه قلعة (حب) المتهدمة ، يظهر فيها أنقاض دار للحكومة ضخمة وسجون وحوانيت عديدة ، تدل على أنها كانت مدينة قديمة .

وقلعة حب أيضاً من آثار طفتكين بن أيوب .

ولقضاء إب ناحية واحدة اسمها (مخادر) قاعدتها مخادر ، واقعة على الطريق الذاهبة من إب إلى صنعاء ، وفيها قلعة صغيرة ذات جامع . وعلى الطريق على بعد نحو ساعة حوضان كبيران للماء .

ويعد قضاء إب من أغنى الأضية بمحاصيله ، فيه البر والشعير والفاصولياء والبن والذرة والبطاطا وكل أنواع الخضراوات .

قضاء قعطبة

تقع قعطبة إلى الجنوب الشرقي من تعز ، وعلى بعد ٢٢ ساعة ، وفي جنوبي صنعاء وعلى بعد ٢٩ ساعة عنها ، وعلى بعد ٣٦ ساعة عن عدن ، وليس في قعطبة سوى ٨٠ - ٩٠ بيتاً ونحو ٥٠٠ - ٦٠٠ نعلش . وفيها دار للحكومة ودار للمكس (الجمارك) . ولقعطبة نواحي النادرة والحثيا والمريس ، وكانت ناحية الحواشب تتبعها أيضاً وتدار بمعرفة شيخها علي بن نافع .

وفي غربي قعطبة ، وعلى بعد ساعتين حمام معدني اشتهر بنفعه مثل حمام علي وحمام رداع .

ومحاصيل قعطبة أنواع الحبوب ، أما بنها فقليل .

قضاء الحجرية

وكان مركزها تربة . [ويقع جنوبي تعز] ، وهو موقع صغير ذو ٣ - ٤ بيوت فقط ، لكن مركزه هام من الوجهة العسكرية . وللقضاء نواحي قبيلة ومقاطرة وجبل حبش ، ويحصل في هذا القضاء كثير من البن والذرة وأنواع الحبوب والنخل وقصب السكر .

وفي هذا القضاء عدة مياه جارية . وفي شرق الحجرية نهر دائم الجريان من الشرق إلى الغرب ، بنى الأقدمون في أعلاه جدولاً متيناً شيدوه بالحجر والحصى عمقه وعرضه متر ، وطوله خمس ساعات ، وهو خراب الآن ، اتخذته المواشي طريقاً ومعبراً لها .

عدين

عدين تقع في الشمال الشرقي من تعز ، وعلى بعد ٢٢ ساعة ، ومحاصيل هذا القضاء كثيرة ، أخصها البن وقصب السكر والتمر الهندي والورس ، أما القصب فلا يستخرجون منه سكرأ ، وأما الورس فلا يعرفون استخراج الصباغ منه بل يستوردونها من الخارج فيستفيد منهم الأغراب .
وتكثر القروذ في هذا القضاء ومثله النمر والضبع .



يوميات عمل

وجدت بين أوراق أحمد وصفي زكريا مسودات رسائل دورية موجهة للمسؤول عن الزراعة في الين وهو السيف .

أو إلى أمير الجيش يبين فيها أعماله أو يجيب فيها عن رسائل تبدأ من تاريخ ١٦ صفر وحتى ٦ ربيع الأول عام ١٣٥٥ هـ وهو اليوم الأخير من عمله في الين .

(١)

إلى الإمام يحيى

وكنت عرضت لسمو سيف الإسلام سيدي عبد الله هذه المعاذير وفقدان الأسباب وعدم كفاية الشهرين الباقيين لي ، وأضفت إليها أيضاً أنني ، ولو استطعت القيام بهذا العمل على وجهه الكامل أو الناقص ، أطلب تأمين حقي في التأليف ، لأن التأليف عمل مضي يحتاج لتعب أيام وسهر ليالي ، وهو من الأعمال التي تعرف كل الدول والأمم بأنه خارج الوظيفة وغير داخل في مقابل الراتب الذي يتقاضاه الموظف ، وإن الموظفين إذا كلفوا بالتأليف وألفوا يكافؤون حسب جهودهم وقيمة آثارهم .

وذكرت في الأخير لسموه أنه بدلاً من هذا وذا ، إذا أراد أن يحصل مني على كتاب زراعي عام كالذي يرغبه ، أمامه (مفكرتي الزراعية) التي كنت أول مجيئي قدمت إلى جلالتم وإلى سموه نسخاً منها وقلت له : إن هذه المفكرة كافية ووافية بما يبتغيه ، وهي حاضرة ومطبوعة ومزينة برسوم عديدة يتعذر إيجادها في صنعاء لو أريد طبع مثلها ، وثمنها زهيد بالنسبة لما تكبدته في طبعها ، فإذا شاء استجلب من دمشق الشام بقدر ما يطلب من النسخ ليوزعها على من يعنى بهذه الأبحاث الزراعية من إخواننا اليمانيين ، فلم يقبل سموه باقتراحي وأصر على

أن أؤلف كتاباً جديداً خاصاً بالين وشؤون الين ومناطق الين ...

فما زال سموه لا يقبل معذرة ، ولا يرضى بالحل الذي عرضته ، ولا يراعي فقدان الأسباب والأوقات اللازم تحصيلها للعمل الهام الشاق الذي يطلبه ، ولا يكتفي برسالة (فن الأشجار) التي ألفتها وقدمت لسموه قسماً منها للطبع ، ولا يحسب حساب أتعابي وجهودي في زرع البزور الكثيرة وغرس الغراس الوفيرة التي استجلبتها من فلسطين ومصر وإيطالية ، وفي تعليم التلامذة وتثقيفهم وإعدادهم للخدمة في أملاك ومزارع جلالتم ، وفي تحرير وتقديم التقارير والتعليمات العديدة التي طلبها ... قلت ما زال سموه لا يعنى بكل ذلك ويكفني تكليفاً لا يطاق ، ويصر علي أن أعمل عملاً ناقصاً ومشوهاً - أحتم إلى أعتاب جلالتم لتنظروا إلى هذا الاختلاف في الرأي بنظركم السامي وإنصافكم العالي .

أقدم في طيه صحيفتين رقم ١١ و ١٢ تمة أبحاث رسالة (فن زراعة الأشجار) وهما تحتويان على كل ما يتعلق بزراعة البرتقال . وسيكون البحث عن بقية الأشجار على هذا النسق ، فأرجو أن تتكرموا بإرسال هذه الأوراق أيضاً إلى المطبعة أسوة بعشر الصفحات التي تقدمت ليكون الإسراع بطبعها . واقبلوا ...

(٢)

للسيف ١٦ صفر

جرت في الأسبوع الماضي من ١٠ صفر إلى ١٥ منه الأعمال الآتية :

تلقى التلامذة من الدروس النظرية الأبحاث الآتية : زراعة الشعير ، زراعة القنب ، زراعة الكتان ، شروط إنشاء بساتين الخضرة ، وكيفية تقسيمها وانتقاء بزورها والعنايات التي تجري بها زراعة البطاطا .

على إثر توالي الأمطار طيلة هذا الأسبوع لم يتمكن التلامذة من العمليات في المشتل سوى أنهم في ١٠ صفر أفرغوا آخر السلال الواردة من الحديد ، وغرسوا

ماخرج منها في التنكات ، وهو البرتقال واليوسفي والسرو والصنوبر ...

- قلع كثير من غراس البرتقال واليوسفي من تنكاته ، بعد أن كاد ينجح ويورق وأرسل إلى أماكن بعيدة ، وذلك على خلاف الأصول الفنية ودون أن يؤخذ رأينا . كما أخذ كثير من غراس الصنوبر والسرو ، وأرسل إلى أماكن مختلفة في صنعاء لم نعلم بها ولا عن كيفية غرسها شيئاً . ولا تزال سلة الأوكاليتوس التي جاءت في الأسبوع الماضي ، وجف معظم غراسها واقفةً أمام باب المشتل دون غرس لأسباب لم ندر ما هي . كما صرنا لاندري ماهي وظيفتنا بعد هذا الإعراض عنا وإقامة المثبطات أماننا .

(٣)

كذا / ١٩ صفر

أشكو إلى سموكم التلامذة كافة ، فقد عطلوا أمس الدرس ، وكان السبب في ذلك التلميذ حمود العطاب الذي أبقى مفتاح باب المدرسة معه قبل الظهر وغاب به ، وهو غير حافل ببقاء رفاقه وأستاذه دون مكان ، وكما غاب حمود العطاب غاب معه أيضاً حميد اليناعي وأحمد البراق . ولما رأيت ماحدث قبل الظهر نبهت عليهم ولا سيما علي أصلحهم علي الناظري أن يأتوا بعد الظهر الساعة الثامنة تماماً ، فلم يأت علي الناظري ، وبعد أن انتظر الباكون برهة اتخذوا الصلاة حجة على أن يعودوا بعدها ، ولكنهم ذهبوا ولم يعودوا أي أنهم أخلفوا بما وعدوني به . عرضت هذه الحالة المؤسفة لتأمروا سموكم بالقصاص الشامل للكل ، ولا سيما للمسبب الأصلي حمود العطاب وتفضلوا ...

نفد المداد والظروف والورق المسطر مما كنتم تفضلتم وأرسلتوه قبل أربعة أشهر ، فأرجو التكرم بإرسال ما يكفي من ذلك وقبول فائق الاحترام . / ١٩ منه

(٤)

كذا / ٢٠ صفر

غير خاف على علم سموكم أن الطبيب إذا لم يذهب إلى المريض ويبره بعينه ويحس نبضه بيديه ، وإذا لم يستنطقه عن كيفية بدء العلة وسيرها والأطوار التي مرت عليها ، لا يمكنه أن يشخص الداء ويصف الدواء ، وما من طبيب في العالم يمكنه أن يرجم بالغيب ويداوي وهو في صنعاء مريضاً طريح الفراش في صعدة أو في تعز مثلاً .

وإذا فرضنا أن ذلك الطبيب ذهب إلى صعدة أو تعز وزار المريض وعرف داءه لا يمكنه أن يعالجه ويشفيه ما لم يكن مستصحباً الأدوية والعقاقير والآلات الجراحية . وما نفع هذا الطبيب مهما كان نطاسياً إذا لم يكن مستصحباً الأشياء المذكورة ، ألا يقف مكتوف الأيدي لا يشفي طبه علة ولا ينفع علمه غلة .

والمهندس الزراعي الذي هو طبيب النباتات أيضاً مثل طبيب البشر في الأمور التي ذكرتها ، إذا لم يذهب إلى النباتات أو الأشجار المعلولة ويفحص أرضها وجوها ، ويدقق أسباب العلة التي تشكو منها إن كانت من مرض طفيلي أو غير طفيلي ، وإذا كانت من الأول فهل هي من فطور أو من حشرات ، وما جنس هذه الحشرة وفصيلتها ، وهل هي من ذوات الفم القارض التي تكافح بالسموم المعدية أم من ذوات الفم الماص التي تكافح بالعقاقير الكاوية ... إلى آخر ما هنالك من المسائل المختلفة التي لا بد في أن يعنى فيها بادئ ذي بدء ، ثم يشرع باستعمال الأدوية الشافية أو السموم الواقية من تلك العلة أو الحشرة ، وقد لا ينجح بالتجربة الأولى فيغيرها بتجربته الثانية وهلم جراً ..

لهذه الأسباب التي أعتقد أن سموكم تقدرونها ، لا يمكن لأحد في العالم أن يجيب عن الأسئلة الغامضة غير القيمة التي وردت من عمال بعض الأماكن بشأن

الأشجار والنباتات المريضة ، وإذا أصدر أحد جواباً يكون رجاءاً بالغيب ونفص ثفالة الجيب ، وهذا ليس من شأن العلماء المخلصين . فعليه أعيد ما كنت ذكرته شفهيّاً إلى سموكم وهو لزوم استجلاب الأدوية والسموم المستعملة في معالجة الأمراض النباتية ومكافحة حشراتهما مع المنافع والمرشات التي تستعمل بها تلك الأدوية والسموم ، وقد درجت أسماء المطلوب منها في القائمة المربوطة طيه . فإذا وصلت هذه الأدوية والسموم والمنافخ والمرشات وشتم سموكم استعمالها في أماكنها ، وسهلت لي أسباب الذهاب نحوها أستصحبها وأسير إلى حيث الأمراض والعاهات ، وأقوم بالفحص والمداواة في وقت واحد ، فتحصل حينئذ الغاية والفائدة المنشودتان بإذن الله تعالى .

ولست أرى في أمر استجلاب هذه الأدوية والأدوات أنجع من مراجعة وزارة الزراعة المصرية التي لا أدري إن كانت تتمكن من إيجاد ذلك أم لا ، أو من توسط الطبيب الإيطالي المسيو دييوزي كما جرى في أمر الغراس ، والرأي لسموكم في كل حال . واقبلو فائق

عدد	كيلو
٣	صابون أسود ١٥
٥	مسحوق البيرتر ١٠
	عصارة التبغ ٥
	مسحوق الكبريت الطبي ١٠
	أخضر باريز ١٠
	حامض الزرنيخوس أسيداه ٥
كذا	كبريتات النحاس ١٥

أرسلت في طيه تعليمات صنع قمر الدين المطلوبة ، وهي ستدخل في بحث الشمس الآتي في رسالة الأشجار . وبهذه المناسبة لا يسعني إلا أن أرجو الأمر إلى عمال المطبعة بالإسراع بالعمل .

(٥)

كذا / ٢٢ صفر ٣٥٥

جرت في الأسبوع الماضي من / ١٧ صفر إلى ٢٢ منه الأعمال التالية :

تلقى التلامذة عنا من الدروس النظرية الأبحاث الآتية : زراعة البصل ، زراعة الفاصولياء ، زراعة الباذنجان ، زراعة البندورة ، وبهذا قد انتهى الجزء الأول من كتابنا الدروس الزراعية ، ثم تبرعنا في الجزء الثاني فتلقى التلامذة بحث الهواء ، وتركيب كيفية ارتفاع النباتات من الهواء ، الأرياح النافعة الضارة ، ثم بحث الحرارة وأسباب اختلافها ، تأثيرها في النباتات تأثير الصقيع في النباتات ، الزراعة الجبرية ، ثم بحث الماء ودورانه وفوائده ، اختلاف حاجة النباتات والأراضي للماء ، مقياس المطر ، منافع الثلج والندى وضرر الجليد والبرد ، ثم بحث الإقليم وأنواعه وأسباب اختلافه حسب درجات العرض والارتفاع عن سطح البحر والأمطار وتوزيعها والأرياح وشدها والرطوبة ووفرته .

ثم تلقوا بحث السباد وفوائده وأنواعه ، زبل المزارع وكيفية تحضير المزبلة والقمامة والأكسية .

أما العمليات فلم يعد ثمة مجال لإتيانها بعد أن رأى التلامذة أسوأ الأمثلة ، فغرس الأشجار على غير أصولها الفنية وفي غير أماكنها الموافقة ، فكما رأوا في الأسبوع الماضي كيف تقلع أغراس البرتقال واليوسفي من تنكاتها بعد أن كادت تعلق وتتفتح براعمها ، وفيها ما قد علق وفتح بالفعل ، وكيف تؤخذ هذه الغراس على ظهور الجمال إلى أماكن بعيدة ملفوفة بالأكياس لئلا يبقى ولا يذرم من تراها ذرة ولا يدع فيها أقل أمل للحياة ، رأوا في الأسبوع الأخير غراس الأوكالبتوس التي ييسبب تأخر ورودها من الحديدية وتأخر غرسها بعد ورودها بنحو عشرة أيام ، رأوها كيف تغرس في (مقاشم) ليست صالحة لغرسها لو كانت ظلت حية .

ثم رأوا ماهو أدهى وأمر ، رأوا غراس الصنوبر المثر التي لا تنمو إلا في أماكن خلوية عذبة (عقر) ولا ترغب الماء رأوها كيف تغرس في بستان سمو سيف الإسلام علي بين القصب الذي يشرب في الأسبوع مرتين .

فالتلاميذ يشهدون عمليات تعاكس النظريات الفنية التي يتلقونها من أستاذهم ، وأستاذهم الذي لا يكثرث أحد بمراجعتهم ، ولا تسمع مشورته ، يقف مكتوف الأيدي محوقلاً ومحرلاً ونادباً خسران أنفاسه وضياح آماله وألقابه ، وأسفاً على هذه الغراس الثينة التي تفدى بالمهج في أوطانها تعامل معاملة جد جائرة .

وأخيراً تفضلوا

(٦)

كذا / ٢٥ صفر

إن ذهابي إلى الروضة لرؤية الغراس الحديثة والقديمة تتضاعف فائدته في حالة ذهاب التلامذة كلهم معي ورؤيتهم مايجب أن أراه . فيتلقون هناك دروساً في تطبيقات ماقرووه من النظريات على النباتات والأشجار والكروم الموجودة في الروضة والمعدومة في صنعاء .

فإن راق ذلك لدى سموكم أرجو تخصيص سيارة كبيرة لتأخذنا غداً أو بعد غد صباحاً وتعيدينا قبل الظهر ، وبذلك تتضاعف الفائدة وينتفع التلامذة نفعاً زائداً .

(٧)

كذا / ٢٦

إن مرض الصدا المعروف في اليمن بالذحل والذي يطرأ خاصة على القمح هو

من الأمراض الطفيلية التي تحصل من فطر شبه الميكروب ، وهذا الفطر ينمو ويفتك في الأشهر التي تكثر فيها رطوبة الهواء ويزداد الضباب (السخان) ..
وقد كنت ذكرت إلى سموكم أن مكافحة هذا الداء بعد حدوثه وانتشاره غير ممكنة قط ، وأنه يوجد أدوية وأقية إذا استعملت للبرور قبل زرعها تنجو عند نموها من المرض المذكور .

على أنه لما كان استعمال هذه الأدوية الواقية متعذر لدى أكثر الزراع ، وجد علماء الزراعة طريقة أخرى قد تكون أنجع في مقاومة فتك هذا الداء . وهي أنهم أوجدوا أنواعاً من القمح فيها مناعة تقاوم فتك داء الصدأ ، فلا تتأثر به ... وقد شرع الزراع يستعملون هذه الأنواع ويدروون شر هذا الداء .

ولما كانت وزارة الزراعة المصرية قد أوجدت في حقولها الغنية أحد الأنواع المذكورة واسمه لديها (القمح البلدي الهندي) ، فياني أقترح على سموكم أن تكتبوا إلى الوزارة المشار إليها وتطلبوا منها شراء ٢٠ - ٣٠ إردباً (الإردب المصري نحو أربعة أقداح يمانية) أو أكثر إذا شئتم ، وتصرحون لها وتشترطون إرسال هذه الكمية من النوع المعروف بالبلدي الهندي الذي ثبتت مقاومته ضد مرض الصدأ . فإذا وردت هذه الكمية توزعونها على الزراع الذين يشكون من حدوث مرض الصدأ ، في أنحاء دمار ويريم مثلاً ، لكل منهم قدح أو قدحان ، على أن يجربوا زراعتها بكلتا الطريقتين المسقوية والعذية (الفيل والقياض) ويراقبوا نموها ، وبعد الحصاد والدراس يضبطون مقدار غلالها ، فإذا ظهر نجاح هذه الغلال وموافقتها لإقليم تلك الأنحاء وأراضيها وعدم تعرضها حقيقة للصدأ ، وعرف أي الطريقتين المسقوية أم الغيل ، كانت أنسب لذلك النوع ، لاتؤكل الغلال بل يحتفظ بها للبدر في الموسم القادم . وبهذه الصورة ينتشر هذا النوع وينجو الزراع من خسائر مرض الصدأ فيستفيدون ويستفيد بيت المال معهم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام سيدي

(٨)

كذا / ٢٩ صفر ١٣٥٥

جرت في الأسبوع الماضي من / ٢٤ صفر إلى ٢٩ منه الأعمال الآتية :

تلقي التلامذة من الدروس النظرية الأبحاث الآتية :

الأسمدة الخضراء ، خواص الأسمدة ، نقل السماد إلى الحقول ، مقدار السماد المستعمل ، زمن التسميد .

الأسمدة المعدنية ، لزومها وأنواعها وفوائدها .

الإسقاء وضرورته ، وسائل الإسقاء قديماً وحديثاً ، أوصاف ماء الإسقاء ، الدور ، زمن الإسقاء ، طرائق الإسقاء .

التجفيف ، مضار المياه الزائدة ، أسباب تكاثر المياه ، طرائق التجفيف .

خنادق التصريف ، أنواع الخنادق

(البستنة الشجرية) مناخ شروط تأسيس إنشاء بساتين الأشجار ، الموقع ، الموضع ،

الاتجاه ، التربة ، أعمال التأسيس ، المشتلة ، أنواع المشتاتل ، المشتاتل في الغرب والشرق ، طرائق تكثير الأشجار .

حسانات البذر وسيئاته ، شروط تهيئة البزور ، زمن زرع البزور وكيفيته ، التعقيل ، أي الأشجار تنجح بالتعقيل ، شروط العقلة ، زمن التعقيل وكيفيته ، حزمة العقل .

نثر التلاميذ السماد الكيماوي الآزوتي المعروف بنترات الصودا على غراس البرتقال والليمون التي لاتزال في تنكاتها ، كما نثروا ذلك على غراس الكثرى والشمش وغيرها المغروسة في بستان دار السعادة ، وبستان حضرة سمو ولي العهد ، وفي بستان المشتل .

أخذنا التلاميذ إلى قرية الروضة ، وأريناهم الأشجار المختلفة القديمة والحديثة .

الموجودة فيها ، وألقينا عليهم دروساً عديدة عن كل منها ، وشاهدوا نجاح فسائل الزيتون التي كنا / ١٦ ذي الحجة ١٣٥٤ هـ فصلناها عن زيتونة هرمة في بستان القصر المتوكلي ، كما شاهدوا نجاح بقية الغراس الإيطالية التي وزعت في مواقع مختلفة من القرية المذكورة ، فحصل لهم من هذه الرحلة انتفاع وابتهاج زائدان .

(٩)

السيف عبد الله ٥ / منه

يحتاج التلامذة إلى أمواس صغيرة للتمرن على عمليات التطعيم فأرجو الأمر لمن يلزم باشتراء خمسة أو عشرة أمواس وتسليمها إلى التلامذة واقبلوا وتحتاج أيضاً الغراس الواردة من إيطالية إلى غصن قائم طوعية من فروع الأثل أو غيره لتكون مسنداً لها ومقوماً لاجوجاجها ، فإذا وافق رأي سموكم أن تأمروا صالح الكيز بإحضار ذلك وتركيزه في أماكنه .

(١٠)

كذا / ٥

إن الخمسة والثلاثين جنيهاً مصرياً التي كنت استلمتها من سموكم / ٢٢ محرم أعدتها أمس إلى حضرة عامل صنعاء بناءً على الطلب الوارد من الحضرة الشريفة أيدها الله ، وبهذه المناسبة أبدي أن السيد يحيى النهاري لما أحضر إليّ ثلاثة الجنيهاً التي كنتم أعدموها سموكم أخذ مني وصلاً يشعر باستلامي هذه الجنيهاً الثلاثة وقد سهوت وقتئذ أن أذكر كلمة أن هذه الجنيهاً الثلاثة هي من أصل الخمسة والثلاثين جنيهاً المبحوث عنها أعلاه ، وعدت فكتبت وصلاً ثانياً مصححاً وأعطيته إلى السيد الموما إليه وطلبت منه أن يعيد إلي الوصل الأول ليجري إبطاله حسب الأصول ، وتكرر مني الطلب وتكرر من حضرته التأخير

والاعتذار بالأشغال حتى يومنا هذا ، لذلك أرجو الإيعاز إليه من قبل سموكم أن يلبي طلبي وينقذني من القلق الذي استحوذ عليّ من جراء تأخره .

هذا وإني أرى نفسي مضطراً مرة أخرى لتذكير سموكم بقضية رواتبي التي تأخرت وطال تأخرها وأوجبت تراكم الديون والأكدار عليّ ، فها أن شهري الخامس على وشك الانتهاء بعد خمسة أيام من نهلو تاريخه ، على حين راتبي عن شهري الثالث لم أقبضه من يد حضرة عامل صنعاء إلا أول أمس ، وبقي الشهر الرابع والشهر الخامس الذي اقترب ميعاده .

ولما كانت مدتي المحتمة بستة أشهر لم يبق منها سوى ٣٥ يوماً ، أي في آخر يوم من شهر حزيران الغربي القادم ، وحيث إنني مضطراً لمغادرة صنعاء ، إذ إن المادتين ٤ من [الاتفاق معي] .. على أن حق استيفائي للراتب ينتهي يوم خروجي من صنعاء ، والمادة الخامسة [منه] على استحقاق لأخذ ما صرفناه من نفقات فوراً في اليوم الأول من شهر تموز ، لهذا أرجو من سموكم من الآن أن تفضلوا بتحضير رواتبي عن شهري الثلاثة الباقية وقدرها ٧٥ جنيهاً عثمانياً ذهباً وتحضير ٤٠ جنيهاً مصرياً أجرة الطريق في عودتي حسبها هو منصوص في المادتين الرابعة والخامسة من اتفاقي وتسليمها لي مقدماً لكي لا يحدث لي تأخر أو انتظار سفري في صنعاء بسبب هذه المبالغ الزهيدة ، واقبلوا ... [وهي] عين ما صرفته في طريقي أثناء الحجيء لأصرف في الرجوع .

(١١)

كذا / ٥ منه

كنت عرضت إلى سموكم أنني حين قدومي إلى الين عرجت بمصر لأجل انتخاب وشراء الغراس والأسمدة الكيماوية التي طلبتها قبلاً ، وأنتي استطعت وقتئذ أن أخذ كيساً واحداً من صاحب سماد نترات الصودا بصفة هدية وغودج ،

بينما صاحب بقية الأسمدة وعدني بإرسال أسمدتهم بعد ذهابي . والآن أفيد سموكم أن هذا الذي وعد قد أنجز ما وعد ، فقد جاءني في بريد أمس منه واسمه ثابت بك ثابت (الوكيل العام لنقابة المعامل الألمانية للأسمدة الآزوتية) كتاباً يحتوي على بوليصة شحن عن ٤٠٠ كيلو غرام من كل من الأسمدة الآتية ١٠٠ نيتروفوسكا و ١٠٠ ستيكستوف و ١٠٠ كبريتات النشادر و ١٠٠ نترات الجير .

هو يقول : إن هذه الأسمدة قد شحنت من ميناء هبورغ إلى عدن على الباخرة دراشنفس / ١٧ نيسان ١٩٣٦ أي قبل ٣٩ يوماً ، فعليه لابد أن تكون قد وصلت إلى عدن حتى الآن ، لهذا أرجو التفضل بإرسال ورقتي الشحن الملفوفة طياً إلى وكيلكم التجاري في عدن كما يتوسط لإخراج هذه الأسمدة وإرسالها إلى الحديدة بذلك ،
واقبلوا ...

(١٢)

للسيف على / ٧ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ

غب تقديم وافر التحية والتجلة ، أعرض أن قضية البن التي تكلمنا عنها قد بحثت بشأنها مع العارفين بالتجارة الخارجية ، ففهمت منهم أن رسوم الجمر في بيروت على مئة كيلو تبلغ ليرة عثمانية ذهبية ، وأن أجور النقل أيضاً زائدة ، وأن البن البرازيلي والهرري يقع أرخص فيقبل الناس عليه لرخصه ولا يميزون بين الجيد والرديء ...

لهذه الأسباب أرجو سموكم أن تتأخروا عن إرسال مئة كيلو التي رغبت إرسالها إلى بيروت ، ريثما أرجع إلى سورية وأبحث عن هذه القضية بحثاً كافياً وأكتب إليكم وقتئذ بما يظهر لي .

واقبلوا فائق الاحترام

(١٣)

للسيف عبد الله / ٨ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ

جرت في الأسبوع الماضي من / ٢ ربيع الأول إلى ٧ منه الأعمال الآتية :

تلقي التلامذة من الدروس النظرية الأبحاث الآتية :

الترقيد وشروطه وأنواعه ، التطعيم وشروطه ومنافعه وأنواعه ، التطعيم بأغصان التطعيم بالبرعمة ، تصفيف الأشجار وكيفية عمله ، موسم غرس الأشجار ، كيفية غرس الأشجار ، التقليم وأسبابه وأعماله .

زراعة شجر المشمش ، شجر اللوز ، شجر التين ، شجر الكمثرى ، شجر التفاح .

(١٤)

له كذا / ٨ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ

حسب الإشارة التي وردت من سموكم ذهبت / يوم الخميس مع بعض التلامذة إلى قرية الروض ، ففحصنا الغراس الحديثة والقديمة ، وقلنا ما يجب تقليمه ونثرنا السماد الكيماوي على ما يستحق التسميد منها ، كما أننا عيّنا لصالح الكيز مواقع غرس أشجار السرو التي استصحبناها وقتئذ ففتح حفرها وغرسها ..

وقد تجولت أيضاً صحبة القاضي الفاضل حسين المطهر بعض بساتين القرية المذكورة ووصلت حتى الموقع المسمى (ميسرة) ، فرأيتها جميعها متشابهة في رداءة الغرس وإصابة أشجار التفاح والدراق بمختلف العاهات .

ويرجع السبب الأصلي لهذه العاهات هو ما كنت ذكرته قبلاً ومراراً أن أشجار بساتين الروض متكاثفة ملتفة لاتكاد الشجرة تبعد عن جاريتها أكثر من متر ، وقد اختلط الحابل بالنابل واشتبكت الفروع والأغصان حتى أصبحت هذه البساتين أشبه بالغابات والحراج لا بالبساتين ، فاستحال على أشعة الشمس الدخول

خلالها ، فجاعت الأشجار وهزلت من قلة الغذاء ، وقلة النور ، وقلة الهواء ، وقلة العناية بالخدمة ولا سيما بعملية التقليم ...

فالتفاح مصاب بمرض (المن القطني) الموجود في كل أنحاء العالم ، والذي ينشأ من حشرة صغيرة جداً اسمها المن القطني ، والدراق (الفرسك) مصاب بالصمغ وبحشرة أخرى من صنف المن ، والرمان يعتره عارض فيسيولوجي يؤدي إلى تساقط أزهاره قبل انعقادها ...

وهذه الأمراض والحشرات يمكن مداواتها ومكافحتها إلى حدٍ ما إذا وردت الأدوية والسموم وأدوات الرش التي كنت ذكرتها في كتابي المؤرخ / ٢٠ صفر .

بيد أنني أعود للتصريح والنصح أن الأدوية والسموم المذكورة لا تبحث العلل من أصولها وتشفيها بتاتاً ما لم تزل وتتبع الأسباب والمقدمات المؤدية لهذه العلل . وذلك بأن يقلع ما يقرب من نصف أو ثلث الأشجار الموجودة ويعتني بتقليمها وتسميدها وعزق تربتها كيما تنتعش وتقوى على احتمال طوارئ العاهات . فالجسم الصحيح يقاوم الأمراض عادة أكثر من الجسم الهزيل ، وقديماً قيل درهم وقاية خير من قنطار علاج . واقلبوا

(١٥)

القاضي عبد الله العمري

حضره العلامة الجليل القاضي عبد الله العمري حفظه الله ووفقه

غب تقديم التحيات والاحترامات الوافرة ، أبدي أنني لما رأيت عدم لزوم الحصان المخصص لي أعدته قبل بضعة أيام إلى الجيش مع الجندي خادمه ، وبقيت بدون من يحرس البيت وينظر في بعض أعماله الرسمية ، لهذا جئت راجياً تخصيص جنديين على أن يكونا صالحين ، وسلفاً أشكر فضلكم ، والله يوفقكم ويعافيكم سيدي .

(١٦)

السيف عبد الله / ١٣ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ

إجابة عن أسئلتكم بشأن كتابة تعليقات عن الأمراض والعاهات المستولية على أشجار التفاح والدراق والرمان في قرية الروض ، فقد كتبت في الورقة المربوطة في طيه وصف كل مرض على حدة وكيفية مكافحته . ومن مطالعته ترون أن مرض التفاح يحتاج لوجود الصابون الخاص الذي يستعمل في مكافحة الحشرات واسمه (الصابون الأسود) ، ومرض الدراق يحتاج لوجود الكبريت الطبي ولآلة النثر الذي ينثر به . فإذا وردت العلاجات والآلات التي كنت عرضت لزوم استيرادها تأمرون وقتئذ باستعمالها حسبما ذكرته في التعليقات .

هذا فضلاً عن أنني كتبت فصلاً خاصاً في آخر رسالة (فن زراعة الأشجار المثمرة) تحت عنوان أمراض الأشجار وعاهاتها وطرائق الوقاية منها . إذا قرأه القراء وعملوا به وبما أوصيته في التعليقات المربوطة في طيه يرجى أن يفوزوا بإنقاذ هذه الأشجار وغيرها مما أصابها ، واقبلوا فائق الاحترام سيدي إن تعليقات الأسمدة ستقدم بعد .

إن مسودات رسالة فن الأشجار حاضرة جاهزة ، تفضلوا بالأمر إلى المطبعة كما يسرعوا بالطبع ، وأن يسلموني الكراريس التي تم طبعها ...

(١٧)

السيف عبد الله / ١٤ منه

إن أغراس البرتقال التي لاتزال في تنكاتها صارت بحاجة للإسقاء المتكرر في الأسبوع مرتين . ولا سيما بعد أن سمدت بالأسمدة الكيماوية واشتد الحر منذ أسبوعين ، وعلى الرغم من هذه الحاجة فإن الساني الموكل بهذا الإسقاء يتقاعس عن أداء هذا العمل معتذراً بأنه لم يعط له أجره على عمله هذا ، وبعض الأغراس جفت أوراقها من العطش ، والخطر يهدد البقية ، وقد نهت عليها الساني فلم

يسمع لي قولاً ، وليس أمامي أحد أستعين به على هذا الأمر ، بهذا بادرت لإخبار سموكم ، كي تبرقوا إلى من يجب بلزوم تأمين ماء الإسقاء لغراس البرتقال أولاً ، وكي تسعوا لنقل هذه الغراس إلى حيث تشاؤون غرسها فتغرسونها وتخلصونها من هذا الانتظار الذي طال أمده ثانياً ، وعلى كل حال الرأي لسموكم . واقبلوا فائق الاحترام سيدي .

(١٨)

السيف عبد الله / ١٥

إجابة عن كتاب سموكم المؤرخ / ١٤ ربيع الأول أبدي :

١ - إن الحقيقة التي تأمروني بمعرفتها وتبعتها هي كما عرضتها في كتابي أمس ، ولو علمت بأن سموكم سوف تكذبوني وتصدقون صالح الكيزلما صدعتكم بما عرضته . ولتركت الغراس تحترق بعطشها ، فأستيحكم العفو على مخالفتي الأصول .

٢ - إن قائمة الغراس المرسله تحتوي على أرقام تجمع أثمان الغراس ونفقاتها كلها . وكان المطلوب أن يرسلوا مفردات الأثمان لكل جنس من الأشجار على حدة ليكننا معرفة عدالة هذه الأثمان أو فداحتها . لهذا أرى إن وافق ذلك رأي سموكم أن يكتب ثانية بطلب هذه المفردات من مشاتل الليغرافي ناتانيا .

وتفضلوا بقبول فائق ...

(١٩)

للسيف عبد الله / ١٦ منه

جرت في الأسبوع الماضي من ٩ ربيع الاول ١٣٥٥ هـ حتى ١٤ منه الأعمال الآتية :

تلقى التلامذة من الدروس النظرية أبحاث : آلات تمشيظ الحقول

والزروع ، آلات العزق ، آلات البذر ، آلات التذرية ، آلات الغربلة ، الدورة الزراعية وأسبابها .

وقد تمت بذلك مواضيع الجزء الثاني وكلفنا التلامذة بالاستعداد لأداء فحص تحريري خاص عن الموضوعات المذكورة ، وضربنا لهم مهلة عشرة أيام إلى السبت القادم / ٢٣ الجاري . واقبلوا ...

(٢٠)

كذا

تفضلتم وذكرتم في كتاب سموكم ذي الرقم ٢٤٩ والتاريخ ١٠ ربيع الأول أنه قد تحرر إلى الحديدة ما يتعلق بخصوص رواتب الداعي ونفقات الطريق . فأشكر سموكم على ذلك الشكر الجزيل ، إنما علمت بعد حين أن البرقية المرسلة إلى الحديدة قد حررت نفقات الطريق فيها أربعون جنيهاً إنكليزياً ، في حين أنني كنت عرضت إلى سموكم في كتابي المؤرخ / ٥ ربيع الأول أن هذه النفقات أربعون جنيهاً مصرياً ، ولما كان بين المبلغين فرق قدره ليرة مصرية لا ترضون سموكم بأن أتعرض لخسرانه . أرجو المآل العطف والمعروف بتصحيح هذا السهو الذي حدث ، وذلك إما بأن تتفضلوا بإعطائي من الآن الفرق المذكور أو أن تتفضلوا وتسلموني أمراً خطياً أخذه بيدي إلى الحديدة يوم ذهابي بجعل الليرات الإنكليزية مصرية ، واقبلوا ...

(٢١)

كذا

العادة المتبعة في مطابع الدنيا كلها أن تعاد إلى المؤلفين مسوداتهم التي تم طبعها وترتيبها وتسلم إليهم الأوراق التي تم طبعها ليحتفظوا بها لأنها من حقهم ، لاحق سواهم . وعلى الرغم من ذلك فإن مدير المطبعة التي تطبع رسالتي (فن

زراعة الأشجار) يصر على حفظ مسوداتي لديه ، وعلى عدم إعطائي الكراريس التي تم طبعتها ، وهذه حالة مستغربة يعامل بها مؤلف مثلي تمنع عنه آثار أتعابه ومجهوداته التي تبرع بها تبرعاً فلا يعود يعرف ما عمل وكيف ابتداء وكيف ينتهي .
وقد وردني اليوم كتاب محول من سموكم بطلب هذه المسودات ، لذلك أردت أن أعرض القضية إلى سموكم بما يجب وأقبلوا ...

(٢٢)

إلى عامل صنعاء / ١٦ منه
حضرة صاحب السيادة والسباحة العلامة الجليل سيدي حسين بن عبد القادر عامل صنعاء حرسه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

أعرض أولاً ، أن الأوراق المصرية الخمس والثلاثين التي تفضلتم بتسليمها لي في منزلكم العامر مساء الأربعاء الماضي / ٧ الجاري وذكرتم والدكم أن قيمة كل منها عشرة ريالات ونصف ، لم تأت بهذه القيمة في اليوم الثاني لسوء حظي ، لأنها عند عرضها على الصيارفة لم يصرفوها إلا بعشرة ريالات ، فأوجب ذلك خسراي نصف ريال عن كل ورقة مما يبلغ مجموعه في الست والثلاثين ورقة الموافقة لراتبي ثمانية عشر ريالاً ، ولما كنت أعتقد أن عواطف سيادتكم ومكارم سماحتكم لا ترضى لي بهذه الخسارة الباهظة جئت راجياً تأمين هذا الفرق وإرساله لي ليزداد حمدي وثنائي على ألطافكم .

ثانياً ، كنتم تفضلتم ووعدتموني بأن تبعثوا لي الورقة السادسة والثلاثين التي لم تكن لديكم حين تسليمي الراتب ، وهذه أيضاً أرجو التفضل بإنجاز الوعد بشأنها ، سلفاً أشكر معروفكم والله يجزل ثوابكم ويعافيك سيدي .

(٢٣)

للسيف عبد الله / ١٨ منه

إجابة عن كتابكم ذي الرقم ٢٥٠ والتاريخ / ١٦ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ :
أ - إن الغراس التي أرسلت من إيطالية بدون طلب هي :

عدد

دلب ١٠٠

قيقب ٥٠

والتي طلبت ولم ترسل

عدد

اللو ١٠٠ أرسلوا عوضه ١٠٠ كثرى زيادة بسبب مضي الوقت وتفتح
أزهار اللوز

الزيزفون الفضي ٥٠ { أرسلوا عوضها الدلب والقيقب المذكورين أعلاه
نخل الزينة ٢٠

ويفيد أن أعرض : أن التعويض والتبديل المذكورين لم يكن فيهما بأس
٢ - إن طلبنا كان متجهاً نحو وجوب إرسال غراس صغيرة السن (أبناء سنة
أوسنتين) فالأشجار المثمرة التي وردت كان كلها موافقاً لهذا الطلب ، لذلك كان
نجاحها أكثر من تسعين في المئة . ولا ريب في أن حزم الأغراس كلها وانتقاءها
كانا جيدين جداً ، وأنه لولا بعد المسافة ووعوثة الطريق لكانت نسبة النجاح في
التأمل أكثر من ذلك .

(٢٤)

للسيف عبد الله / ٢١ ربيع الأول

جرت في الأسبوع الماضي من ١٦ ربيع الأول إلى ٢١ منه الأعمال الآتية :
تلقي التلامذة من الدروس النظرية الأبحاث الآتية :

معنى الدورة الزراعية وأسبابها وأقسامها وكيفية تأسيسها - العلف ولزومه للمواشي .

المراعي والمروج - المروج الطبيعية ونباتاتها ، المروج الصناعية ونباتاتها .
زراعة العصفه والبيقية والحلبة

(الاشجار المثمرة) - زراعة الخروع ، زراعة البرتقال والليمون ، زراعة الزيتون ، الكرمه ، الرمان ، الفستق ، التوت .
الحراج ومكانتها وكيفية الاعتناء بها ، منافع الحراج .

تعليمات بشأن مرض الصمغ الذي يعتري أشجار البرتقال والليمون والفرسك والمشمش والإجاص واللوز ..

مرض الصمغ : هو خروج مادة الصمغ من سوق الأشجار وجذورها ، وأحياناً من أثمارها وأوراقها . وهو مرض قتال أكثر ما يحصل في الأراضي الرطبة وفي الأشجار التي تسقى أكثر من اللزوم ولا سيما التي لا ينفذ إليها الهواء وشعاع الشمس إلا قليلاً . ولمنع تفاقم داء الصمغ أوصى علماء الحشرات استعمال الدواء الآتي في فصل الشتاء :

يذاب نصف كيلو من كبريتات النحاس (شبه الزرقاء) في ثلاثة كيلويات من الماء داخل وعاء من فخار . ويصب في وعاء ثانٍ ثلاثة كيلويات من الماء على كيلوين من الكلس . وبعد أن يبرد محلول الكلس يخلط ما في الوعاءين ويطلّى كل ساق الشجرة المصابة بهذا الخليط . أما الجروح التي يخرج الصمغ منها فبعد أن تنظف بسكين حتى يزال جميع القشر المريض يطلّى بطلاء من الزفت المذاب في البنزين .

تعليمات بشأن أوراق الأترج المغضنة التي أرسلت

لاتبين حقيقة هذه الغضون والقروح الظاهرة على الأوراق والأغصان ،

مالم يجرفحص الشجرة كلها في أوقات مختلفة ، بيد أنه يمكن أن نوصي بالتدابير الآتية التي تستعمل في فصل الشتاء :

١ - تقلم بالمقص جميع الأغصان التي تظهر عليها القروح المذكورة .

٢ - إذا تبين أن هذه الغضون والقروح بفعل حشرة يفيد استعمال مسحوق البيرتر الذي أوصينا عليه . وهو أن ينقع المسحوق في ماء ساخن بضع ساعات ، ثم يضاف إليه قليل من الصابون يسهل التصاقه على النباتات ثم يرش على الأشجار بالمرشات .

والأمر المهم بل الأهم ليس في تعليم الأسمدة أو التربة لهؤلاء التلامذة بل في أن يعلقوا الآمال على مستقبل هذا التعليم ، وفي أن يرجوا الانتفاع من هذه الفنون الزراعية وإمكان فائدتهم منها . لأن هذا الأمل والرجاء كان وما برح مفقوداً من أفئدتهم كما ذكروا لي ذلك مراراً ، لذلك قاسيت ولا أزال أقاسي الصعاب في تدريس هؤلاء التلامذة الخائري العزيمة الذين لا يعبؤون بما يعتقدون أنه ضائع بعد سفري هدرأ ، وأنه سوف لا يسمنهم ولا يغنيهم من جوع ...

(٢٥)

للسيف عبد الله / ٢٥ ربيع

أقدم إلى سموكم في طية رسالة من رجل مصري ، لأعرفه يظهر في توقيعه أن اسمه (محبوب محمد سليمان) وأنه مندوب شركة الصناعات السويدية ، وهو يخبرني أنه قادم إلى اليمن وأنه جلب معه الكتب التي كنت طلبتها من وزارة الزراعة ويرجو إجراء التسهيلات .

وقد أرسل الموما إليه بالمعنى نفسه رسالة أخرى إلى الدكتور زكي بك كرام . كما أرسل من عدن برقية بأنه متوجه إلى الحديدة ويلتمس التسهيلات .

لهذا جئت راجياً أن تتوسطوا سموكم بإرسال برقية إلى حضرة عامل الحديدة

بشأن السماح بنزول الموما إليه ومجيئه إلى صنعاء ، هذا إذا لم يكن ثمة مانع ما ،
والإرادة إليكم على كل حال .
واقبلوا فائق الاحترام سيدي .

(٢٦)

للسيف عبد الله / ٢٨ ربيع الأول

إجابة عن كتابكم ذي الرقم ٢٦٨ والتاريخ / ٢٧ منه أبدي :

١ - أن السويد من الأشجار التي طلبناها ، وأظن أنني قيدته في القائمة ،
تلك القائمة التي لم أحتفظ بصورتها ، بالنظر لوجود المقالة الإفرنجية لدعوة
العربية المقدمة إلى سموكم في أول مجيئي .. فإذا لم يكن مذكوراً في تلك القائمة بهذا
الاسم الذي أطلقته عليه عقيب وصوله فقد يكون مذكوراً باسمه الإفرنجي وهو
(الأولم) ، وإن لم يكن مذكوراً بهذا أيضاً يكون عدم قيده وقتئذ أثر سهو .

٢ - إن بحث الأسمدة جميعها بما فيها الأسمدة المعدنية الكيماوية سبق إيضاحه
إلى التلامذة ، كما سبق عرض ذلك في تقريرنا الأسبوعي المؤرخ / ٢٩ صفر .. كما
سبق تفهمهم أبحاث الأتربة منذ أربعة أشهر ، ونحن نكرر ذلك في كل مناسبة
عند الكلام عن كل جنس من أجناس الزروع أو الخضراو أو الأشجار وإذا وصلت
الأسمدة الموجودة في عدن إلى صنعاء قبل سفرنا نعيد الكرة بالقدر الكافي .

٣ - إن كتابة أسماء الأشجار على قطع الخشب قد تم بحضور التلامذة الذين
علمناهم تمييز هذه الأشجار بعضها عن بعض ومعرفة أسمائها .

٤ - كنت قدمت إلى سموكم / ١٦ الجاري كتاباً بشأن الجنيهات المصرية التي
كتبت إنكليزية في برقية جلالة مولانا أمير المؤمنين أيده الله الرسالة إلى الحديدة .
ولبثت أنتظر جواب كتابي المذكور كل هذه المدة فلم يأتني شيء ... لهذا

أعود لتذكير سموكم بفرق الجنيهاً كيلاً أسافر بعد عشرة أيام مكسور الخاطر .
فوق ما أصابني من الكسر المتوالي حتى الآن ، وآخره النقص الفادح الذي ضربني
به حضرة عامل صنعاء عن الشهر الرابع ...
واقبلوا فائق الاحترام .

(٢٧)

للسيف عبد الله / ٣٠ ربيع الأول

تلقى التلامذة خلال الأسبوع الماضي من ٢٣ - ٢٨ الجاري الدروس الآتية :
حالة الحراج في البلاد العربية ، أشجار الحراج ، أحداث الحراج .
المواشي ومنافعها ، منافع الخيل ووظائفها ، كيف تكون خيول الامتطاء ،
كيف تكون خيول الجر ، خيل العرب ، خيل الإنكليز . (تربية الخيل)
التأصيل ، الحمل ، الوضع ، الاعتناء بالفلو ، القطام ، تربية الفلو ، علف الخيل
وكيسته ، الإصطبل وكيف يبني ، الفرجنة ، أوصاف الخمار ومنافعه ، عروق
الحمير ، البغال ، أوصاف البقر ومنافعه ، عروق البقر ، تربية البقر ، أمراض
البقر ، الجاموس ، الغنم ، المعز .
صناعة الحلابة ، طرق الانتفاع من الحليب ، العوامل التي تؤثر في الحليب ،
معرفة غش الحليب ، طريقة استخراج الزبدة في الشرق وفي الغرب ، الغرازات ،
مخضات الجبن وكيفية عمله .
تربية الطيور الداجنة ومنافعها . ما يجب أن تكون عليه حظيرة الدجاج ،
ما يجب أن يكون عليه الخم .

إن بقية مسودات (رسالة فن زراعة الأشجار) حاضرة كلها . ماعدا بحث
(البن) الذي تقدم إلى سموكم في تقرير خاص ٤ / محرم وقد قدمتها جميعها في

طيه راجياً العناية بعد سفري في حسن تصحيح الأغلاط المطبعية التي تقع كثيراً وتكرر سيدي .

(٢٨)

السيف عبد الله ٣ ربيع الثاني

إجابة عن كتابكم ذي التاريخ / ٢ ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ الذي تطلبون فيه إيضاحاً عما سلمه لي ساحة مفتي فلسطين السيد أمين الحسيني وعما أنفقته من ذلك .

قد قدمت في طيه قائمتين : الأولى تتضمن مجموع ما أنفقته على سفري في السيارات والقطارات والبواخر وعلى نقل أشياءي الذاتية وعلى أجور الإقامة في القدس حينما هبطتها للاتفاق مع ساحة السيد المشار إليه ، وفي القاهرة وبور سعيد حينما هبطتها لرؤية ومشتري الغراس والبزور والأسمدة الكيماوية التي طلبتها ، ومجموع ما تحويه هذه القائمة الأولى ٥١٣٨,٥ قرشاً مصرياً ، والقائمة الثانية تتضمن مجموع ما أنفقته على اشتراء الغراس والبزور والأدوات من حلب وبيروت ودمشق ويافا والقاهرة ورسوم جمارك وأجور تحميل في البر والبحر ، ومجموع ما تحويه هذه القائمة ٤٨٥٤ من أصلها ٣٠٠٠ أودعت إلى محمد علي عبوسة باشا الذي أنفق منها قسماً وبقي لديه قسم لعله أعاده إلى القدس .

٢ - إن السلفة التي كنت استلمتها من يد سكرتير مكتب المؤتمر الإسلامي في القدس بأمر ساحة المفتي المشار إليه مئة جنيه فلسطيني معادلة لسبعة وتسعين جنيهاً مصرياً ، أنفقت منها حسبما يظهر من القائمتين ٩٩٩٢,٥٠ قرشاً مصرياً أي أكثر مما استلمت بـ ٢٩٢,٥ معادلة لثلاثة جنيهات فلسطينية وهذا الفرق قد طلبته من السكرتير المذكور ولما يليني بعد ، فحبذا لو تتفضلون بتسليمي هذا الفرق من عندكم مادام أول هذا الجواب وآخره عائد لكم .

٣ - إن بزور الفستق والصنوبر والجوز وبزور الاشجار المختلفة قد زرعت كما تعلمون في بستان أبي مسحر وبستان الجرموزي في القسائم والقصارى ، وبزور الخضر المتنوعة والأدوات الزراعية المختلفة (مناكيش ومقصات كبيرة وصغيرة ومناشير ومخططات .. الخ) قد سلمتها إلى صالح الكيز .. أما السرج الأفرنجي والآلة الهندسية مع مشجبها وشريط المساحة فهي حاضرة ، أرجو انتداب من يستلمها ويعطيني إيصالاً بها .

٤ - وأخيراً ألفت نظر سموكم إلى أنني لما طلبت منكم نفقات سفر رجوعي لم أطلب كل مجموع القائمة الأولى بل حذفت النفقات التي كان لابد منها أثناء تحيئي ، واقتصرت على أربعين جنيهاً مصرياً وهو ما رأيته ظنية كافياً لإرجاعي ..

٢ - إن صور هاتين القائمتين والأسناد المثبتة لأكثر النفقات المدرجة فيها قد قدمتها إلى سكرتير مكتب المؤتمر الإسلامي قبل وصولي إلى الحديدة ..

(٢٩)

كذا / ٣ ربيع الثاني

إجابة عن كتابكم الباحث عن رغبتكم بإجراء امتحان الطلبة ، أبدي :

إنني كنت ذكرت إلى سموكم في تقريرتي الأسبوعي المؤرخ / ١٦ ربيع الأول عزمي على امتحان الطلبة ، وإنني ضربت لهم موعداً .. الخ .

إن هؤلاء الطلبة الذين يعلم الله مبلغ المشاق التي قاسيتها في تعليمهم وتفهمهم لما بلغتهم الامتحان المذكور أعلاه أرسلوا لي وقتئذ الورقة المقدمة في طيه ، ومن مطالعتها ترون سموكم أنهم فيما يخصهم لم يراعوا واجب الأدب وحق التعب مع أستاذهم ، وأنهم تملأوا من الامتحان ، وأرادوا إطالة مدة الموعد المضروب ، فغضت الطرف عن سوء خص بهم ، ومددت لهم الموعد إلى ٢٣ ربيع الأول ،

وعلى الرغم من التنبيه والنصح المكررين ، أظهروا في يوم الموعد المذكور عجزهم عن أداء الامتحان معتذرين بنقص تحصيلهم الابتدائي وعدم اعتيادهم على الامتحان بالشكل التفهمي الذي أطلبه منهم ، وعدم استعدادهم ... إلى آخره ... فاضطرت ثانية لغض الطرف وعدت لاستئناف الإلقاء والتدريس إلى أن كدت أنتهي من الجزء الثالث كما ترون من تقاريري الأسبوعية .

واليوم بعد أن تلقيت أمركم بلغتهم مضمونه ، فشرعوا يستغيثون ويشكون ويرجون عدم تحميلهم ما يعدونه فوق طاقتهم .. إلخ .

فأنا ياسيدي قد قمت بواجبي أكثر من واجبي الوجداني في سبيل تعليم وتفهم مواضيع الأجزاء الثلاثة من كتابي (الدروس الزراعية) ولم أترك شاردة ولا واردة من هذه المواضيع وما حولها إلا شرحتها لهم بأبسط الأساليب وأبسط اللهجات ... وكنت أحاول حملهم على الإصغاء والتأمل لما عسى أن ينالهم من الفائدة في المستقبل لأنفسهم ولإمكانهم ...

فإذا كانوا هم لم يسمعوا النصيحة ولم يعيروا هذه الدروس الاهتمام الكافي اعتقاداً منهم بأنها سوف لا تسمنهم ولا تغنيهم من جوع ، وأنهم بعد سفري سوف يلقون شللاً مبدداً وعيشاً مشرداً ، وقد عجزوا الآن عن أداء الامتحان فعلى من تقع تبعة قصورهم هذا ؟

وقد سبق من عدة مرات كتابة وشفاهاً أن عرضت إلى سموكم حالة هؤلاء الطلبة وشكوت كسلهم وقلة دوامهم ونقص اجتهدهم ثقة بملء قلوبهم بالأمل والرجاء في المستقبل وترغيبهم عوض ترهيبهم ، ورجوكم إعانتي على تقويم اعوجاجهم هذا . فاكثفتم سموكم بقصاصهم بقطع رواتبهم ، ولكن هذا القصاص لم ينجع فيهم ولم يصلح من خللهم ... واستمرت العلة التي شكوت منها وتكررت . وعلى الرغم من القنوط المستولي عليّ بسببها وبسبب غيرها فقد عدت لذكرها في

كتابي الأخير المؤرخ / ٢٨ ربيع الأول - فأجبتوني أمس عنها بجواب غامض لا يجلو الموقف أصلاً ، لهذا عرضت القضية على سموكم ، آملاً إما أن تعدلوا عن الامتحان وتدعوا لي هذه الأيام الباقية القليلة لأتم أبحاث الجزء الثالث وهي أبحاث هامة تتعلق بالأمراض والحشرات والصناعات الزراعية ، وليكن امتحان هؤلاء الطلبة في معترك حياتهم وميدان عملهم في المستقبل الذي ينتظرهم ، وإما أن تأمروا بما ترونه مناسباً وأقبلوا ...

(٣٠)

كذا / ٣ منه

قدمت إلى سموكم ٣٦ عدداً من مجلة (الفلاح المصري) و ٢٩ عدداً من مجلة (زميل الفلاح) وعدداً من المجلات والنشرات التي أصدرتها وزارة الزراعة المصرية في مختلف الموضوعات ، وهي هدية مني إلى إخواني اليابانيين ، راجياً التفضل بإرسالها إلى مكتبة الجامع الكبير لتعم الفائدة بقراءتها من قبل أولئك الإخوان الذين قد يوجد بينهم يوماً ما من الذواقه من قد تروقه هذه الأبحاث ويرغبون الاستفادة منها ، وهذه المجلات والعجالات والنشرات غير مجاميع مجلة الزراعة التي كنت سعت لاستحصائها من الوزارة المشار إليها ، وقد أتم سعيي هذا محجوب أفندي سليمان الذي كتبت إلى سموكم عنه ، فلعله يصل قريباً ويسلمكموها .

(٣١)

كذا / ٣ منه

لما كان يوم دخولي إلى صنعاء وقع في ثاني شوال الماضي ينبغي أن يقع خروجي منها صباح يوم الاثنين المصادف للثامن من ربيع الثاني القادم . لأجل ذلك أرجو سموكم أن تتموا فضلكم بتسهيل أسباب سفري في الصباح المذكور ، كإعطاء الأمر منذ الآن بشأن السيارة ولوازمها في الموعد المذكور . وتسليبي مبلغ

الفرق الذي طلبته / ٢٨ ربيع الأول ، أو إخبار الحديدية بأمر هذا الفرق وبأمر تسهيل أسباب نزولي فيها وخروجي منها ، وأخيراً بكتابة شهادة مصدقة للخدمات العديدة التي أجريتها خلال هذه ستة الأشهر لديكم ، واقبلوا ...

(٣٢)

كذا / ٤ منه

إن تأخري عن إرسال تعليمات الأسمدة الكيماوية كان لانتظاري ورودها ووصولها إلى صنعاء ورؤيتي حالتها ليكون التعريف حسب ذلك ، أما وقد أكدتم بطلب التعليمات فها أنني مرسلها إلى سموكم في طيه ، فمضى أن تجربوا في استعمالها في الأشجار المثمرة على الأقل ، ولا سيما في البن ، الذي عليه الاعتماد في اليمن ، والعنب والبرتقال وسواها وتحصل الفائدة إن شاء الله وتفضلوا ...

(٣٣)

كذا / ٦ منه

إجابة عن كتاب سموكم المستعجل ذي الرقم والتاريخ / أبدي أن التفاصيل التي تطلبونها بشأن الأسمدة الكيماوية قد درجت على خير ما يمكن من الإيضاح في كتابي (الدروس الزراعية) (الجزء الثاني) صحيفة ٣٤ - ٣٨ الموجود في يد الطلبة ، وفي كتابي المفكرة الزراعية صحيفة ... - الذي كنت أول مجيئي أهديت منه نسخة لكل من جلالة مولانا الإمام حفظه الله ولسموكم . فأرجو الرجوع إلى الكتابين المذكورين . وإن كان لابد من إطلاع سموكم على إيضاحات وافية في حق جميع الأسمدة الكيماوية ، فهذه الإيضاحات قد أدرجتها على خير ما يمكن أن يسطر ، وذلك في كتابي (الدروس الزراعية) .

أما المعلومات الزائدة التي تطلبونها عن جميع الأسمدة الكيماوية فحتاج لكتاب لا تقل صفحاته عن المئة ، لم يبق وقت لتحريره ، حتى ولا لزوم أو نفع

لتأليفه بالنظر لعدم وصول الين إلى الدور الذي تبدأ فيه الحاجة لاستعمال الأسمدة الكيماوية ، والأكتات المستخرجة من القمامة الممتدة في المحل المسمى (السيالة) وسط صنعاء وحدها ما يغني الآن حتى عشرات من السنين عن استعمال الأسمدة الكيماوية التي تعد من (الكاليات) بينا الأسمدة البلدية العضوية كتلك القمامة تعد من (الضروريات) فالأولى فرع والثانية الأصل .

ولزيادة الإيضاح قدمت إلى سموكم مع هذه الرسالة . رسائل أصدرتها الجمعية الزراعية الملكية في مصر عن (الأسمدة وتسميد الحاصلات المصرية) وعن (الأسمدة الفسفاتية المنوعة) وعن (حمض الفوسفوريك) وعن (سماد سياناميد الجير) وفيها أيضاً تفصيلات وافية عن كل ماترغبونه مما ذكرتموه في خطابكم .

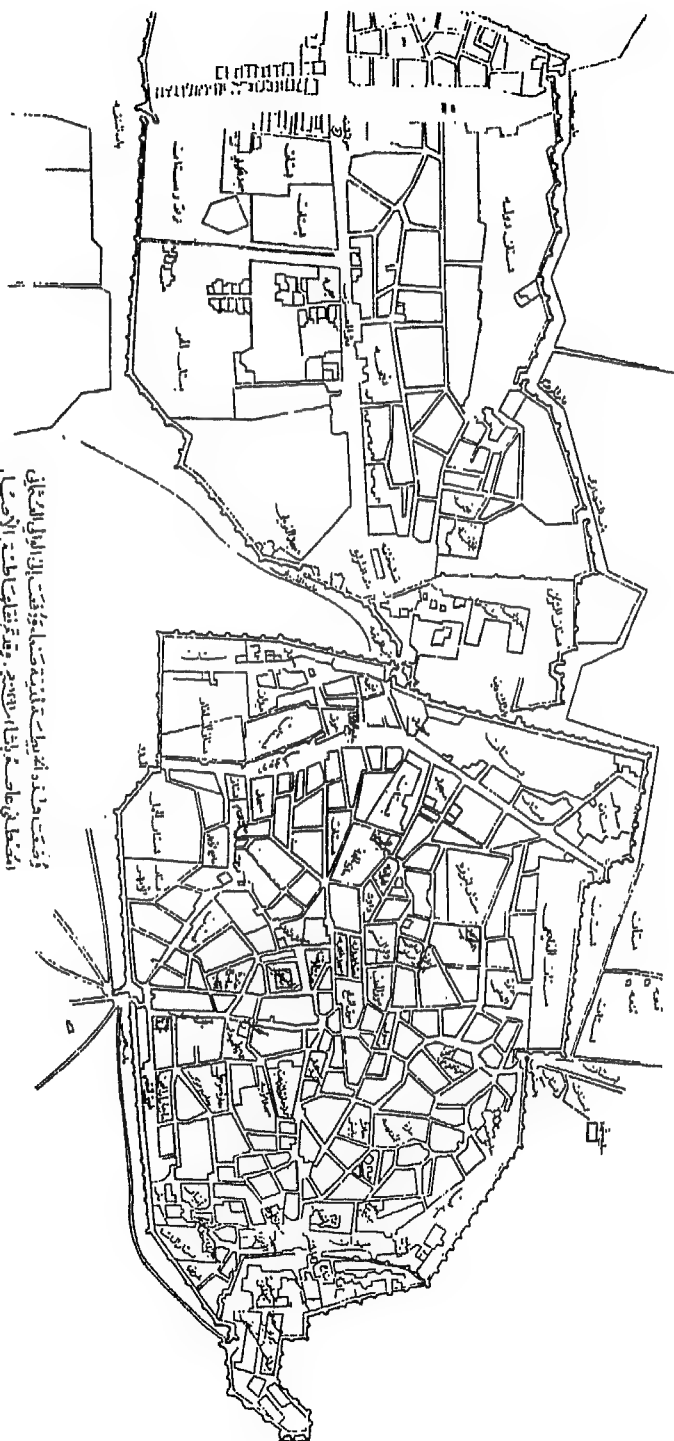
ومن مطالعة هذه الرسائل . يظهر لكم أن استعمال الأسمدة الكيماوية حتى في بلاد راقية بزراعتها كمصر ليس من الأمور السهلة التي تجري دون فحوص . وتجارب فنية عديدة يقوم بها (أقسام الكيمياء) التابعة للجمعية المشار إليها ولوزارة الزراعة ، ومن مطالعة الصفائف ٣ و ٤ و ٥ و ٣٠ الفصول من الرسالة المسماة (مذكرة إجمالية) بمعرفة كياوييها ومهندسيها العديدين ، يظهر لكم أيضاً أن استعمال السماد البلدي (كالزبل المعروف في الين بالتخيتة وقمامة الأزقة والرماد وأمثاله) هو المقدم على كل تسميد ، وبعبارة أوضح : إن السماد البلدي العضوي من الضروريات والسماد المعدني الكيماوي من الكاليات ..

وإني أنصح سموكم بعدم استجلاب أسمدة كيماوية بعد هذه التي سوف تأتي من محل (ثابت ثابت) ما لم تؤسسوا (دائرة زراعة) حسب الأصول وتعهدوا بإدارتها إلى مهندسين أكفاء يفحصون بادئ ذي بدء أراضيكم وأقاليمكم وحاجات زروعكم وأشجاركم على النحو الذي ترونه في إرسال القيمة ، ومن ثم يشرعون باستعمال ما يرونه لازماً . لأن هذه الأسمدة الكيماوية كالعقاقير الطبية التي لا يجوز أن يمد

يده إليها إلا الطبيب أو الصيدلي ، ولا يجوز أن يستعملها إلا من تلقى إرشادها
على التام كيلا تحصل نتائج معكوسة مضرّة .

والتعليمات التي قدمتها أمس هي وافية كافية لكل الأشجار المثمرة ، وأساليب
الاستعمال وأوقاته والمقادير المستعملة هي مناسبة لكل أنواع الأسمدة الأربعة
الآتية . كما أنني - كما عرضت مراراً - قد أوضحت ذلك للطلبة حتى إنني سلمتهم
صورة عن التعليمات المذكورة ليقيدوها لديهم ويعملوا بها ويحفظوها وعساهم
فاعلين ، وتفضلوا ...





مانشر في مجلة التربية الصادرة بحلب العدد ٢٩٢٧

بتاريخ ١٧ / ١ / ١٩٦٣ السنة (١٧)

مهندس زراعي متقاعد يتحدث عن ثورة اليمين

● ويبيدي اعتزازه بموقف « التربية » من ثورة اليمين التحررية ●

وردتنا من قارئ كريم رسالة قيمة يتحدث فيها عن الأوضاع التي أدت إلى ثورة اليمين التحررية ويعرب فيها عن اعتزازه بموقف « التربية » من تأييد هذه الثورة العربية التحررية .. ونظراً لأهمية هذه الرسالة . فإننا ننشر نصها شاكرين لمسلها النبيل عواطفه الطيبة :

حضرة الأستاذ عبد السلام الكامي صاحب جريدة « التربية » المحترم :

تحية وسلاماً وبعد ، فقد وقعت في يدي نسخة من جريدتكم الغراء ذات الرقم ٢٩٢٣ والتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٦٣ ، وإذ بي ألمح في العمود الأول منها مقالاً عنوانه « ثورة اليمين لافتة شرف في التاريخ العربي » فقرأته بشغف وتعجب وتقدير ... حلني كل منها أن أكتب إليكم هذه الرسالة وإن لم يسبق بيننا معرفة وذلك للأسباب الآتية :

لأنني كنت في اليمين سنة ١٩٣٦ م وخدمت اليمين خدمات جلى ، وبحث ودرست حاضره وغابره وعرفت مخازيه ومآسيه وبواعث هذه المخازي والمآسي - التي لحتم أنتم إليها - .

وقد كتبت بعد رجوعي سلسلة مقالات عما شاهدته في اليمين واستقصيته من الأوضاع الجغرافية والعمرانية والاجتماعية .. إلخ في مجلة « المقتطف » المصرية المحتجبة « أعداد سنة ١٩٣٧ » كما كتبت عن تاريخ اليمين القديم والحديث في أجزاء متتابعة من مجلة « التمدن الإسلامي » الدمشقية ، وعلى ذلك فأنا أعرف الناس

بالين وأحواله وأسباب ثورته الأخيرة ومسببها ، تلك الثورة المباركة التي رأيتم
تؤيدونها وتكتبون في جانبها كتابة أثارت تعجبي الذي ذكرته ، إذ لم أجد غيركم
سار في هذا الطريق السوي ..

إن ما كتبته ، أيها السيد ، صحيح . وحتى تأييدكم لثورة الين فيه كل
الشهامة والمروءة ، لأن كثيراً من الصحافيين - هدام الله - خذلها وكتبوا وما زالوا
يكتبون ضدها ويودون إخفاقها وإطفاءها ، لكي يرضوا أخصامها من الطواغيت
نصراء الضلال والباطل .

فأنتم بمقالكم هذا الذي أوقعته المصادفة الحسنة في يدي شفيم غليلي ، شفى
الله غليلكم ووفقكم لإحقاق الحق وإزهاق الباطل وأعطاكم العافية والسلام عليكم .

دمشق - مهندس زراعي متقاعد

قصيدة السيد عبد الله بن أحمد بن عمر العلوي الحضرمي

الله في قلب رأى فتفطرا	حزناً وشب أواره وتسعرا
كيف السلو وكلما اندمل الأسى	سالت مأسِ جَمَّةً وتَفَجَّرَا
عَقَلَ الجوى تبيانه لاميت	يُنعمى ولا حيّ فيرجى أو يرى
قلب يضم مودةً ومحبّة	لكم بني الين الجميلة منظرًا
أمضى الحياة مجاهدًا في حبكم	ومكافحاً عنكم وصال وحبرًا
في قلب مصر يزود عنكم جهرة	ويرد كيد من اعتدى ومن افترى
حتى إذا وضع الوغى أوزاره	وجلا عجاج جياده والغثيرا
ومضى المجاهد للديار مهلاً	ومكبراً وافى إليكم منـذرا
يسعى إلى أفيائكم ودياركم	ما طالباً مالاً ولا يرجو القرى
وافى يحدث يالهول حديثه	عن حالة الإسلام عن شر سرى
وافى يقبل راحتي يحيى أميد	ر المؤمنين وخير من ساس الورى
ملك صحائف مجده ختمت فذا	فرقانه يحوى الفخار الأكبرا
وقفت أفانين البيان تجاهه	حيرى فسجله الزمان مكبرا

☆ ☆ ☆

ياأمة الين الكريمة هذه	أنياب أبناء الفرنج وقيصرا
ترتاد أنجدة البلاد وسهلها	وتحش نفس الشعب حشاً أبثرا
فينا مخالبه الطويلة أنشبت	ناراً تهب على المدائن والقرى
صفر الأديم أرى هناك رنينها	حجر يلين ما اعتصى وتحجرا
إني لأبصر للهيّيب دخانه	إني لأبصر ثم ربحاً أصفرا
إني لأبصر ميكروب الشر في	أحيائنا يرعى النبات الأخضرًا
الشعب طراً نـالـم وكأنني	ياقوم أسمع صوته إذ زجراً

هل أنتم مثلي ترون شرارها
اليوم خرم مثيل وغدا يرى
ماذا لديكم من هدى ماذا عدد
حتام يقتلنا العري حتام نر
الشيب أقبل منذراً والجهل خي
أعداؤنا متربصون لحالنا
الدهر أروء مستبد صارم
ومرور ثانية بغير ضيعة
الحرب درس للشعوب وعبرة
هيا اعملوا لبلاكم وابنوا لها
كونوا جنوداً مخلصين لسيد ال
أنا ذلك الجندي لأرضي بغي
حسب المجاهد في سبيل بلاده
إني لأخشى أن تضيع بلادنا
ونصد تيار العدو بقوة ال
ياشاعر الين الخصيب أجب على
إني وربك خائف متشائم
من ذا يرد إلي قلبي من يرى

وتعون غممة النفوس كما أرى
أمرّ وبعض الموت أوله الشرى
ثم من قوى ماذا ادخرتم من قرى
تاد الكرى حتام نمشي القهقري
سيم في القرى والشعب منفك العرى
لا يتركون لنا السبيل لنعبوا
والوقت سيف والحياة لمن درى
خطر يهدد بالشبور أخوا الكرى
فهل اتخذنا الدرس منها ياترى
مجداً فمن رام العلا طلب السرى
وادي إمام الحق بل أسد الشرى
مر المجد بيتاً والمعالي مشعرا
وبنيه أن يشقى ليحتل الذرا
إن لم نعد لها العديد الأكبرا
إيلاف والعرفان صداً منكرا
من جاء ينشدك البيان الأخضر
وأرى على الأبواب يوماً مذكرا
رأيي ومن منكم أراه الأشعرا^(١)

☆ ☆ ☆

(١) نظمت هذه القصيدة في رجب سنة ١٣٥٢ ، ونشرت في ٢٩ محرم ١٣٥٥ ، وهي من البحر الكامل .

مسرد فهارس الكتاب

- ١ - مسرد الآيات الكريمة
- ٢ - مسرد الحديث الشريف
- ٣ - مسرد الشعر
- ٤ - مسرد أعلام الأشخاص والقبائل والشعوب والأمم
- ٥ - مسرد الأماكن والبلدان والمواقع وبعض التعاريف
- ٦ - مسرد أسماء الكتب والمطبوعات
- ٧ - مسرد عناوين الكتاب

درجنا في هذه المسارد على ذكر ماورد من المواد في هذا الكتاب ، متناً أو تعليقاً ، وقد أهملنا في مسرد الأعلام مادتي (العرب) و (الإسلام) وفي مسرد الأماكن مادة (اليمن) لأنه قلما تخلو صفحة منها .

(حموش)

١ - مسرد الآيات الكريمة

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ، وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ ١٥/٣٤]
ص ٢٤

٢ - مسرد الحديث الشريف

الإيمان يمان والحكمة يمانية
ص ١٢٢

٣ - مسرد الشعر

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب
إذا الشعب يوماً أراد الحياة	أبو تمام ٢٥
لست بالتبع الياني إن لم	فلا بد أن يستجيب القدر
أوتؤدي ربيعة الخرج قسراً	أبو القاسم الشابي ٢٥
وقد أسوا براش حين أسوا	تركض الخيل في سواد العراق
وحلوا من معين حين حلوا	لم يعقها عوائق القواق
وبالربوة الخضراء من أرض يحصب	تبع الياني أبو كرب ٢٣
كل الشجر فديده	يلقمة ومنبسط أنيق
مكحول من ربه	لعزم لى الفج العميق
الله في قلب رأى فتفطرا	علقمة ذوجدن ٤٢
	ثمانون سداً تقلس الماء سائلا
	١٠٣
	على البيضان أكل وظل ١١٨
	وفي صدره حبوب النارجيل ١١٨
	حزنناً وشب أواره وتسعرا

(مطلع قصيدة) عبدالله بن أحمد بن عمر العلوي الحضرمي ٢١٠/٢٠٩

٤ - مسرد أعلام الأشخاص والقبائل والشعوب والأمم الواردة في الكتاب

- أ -

- أبو الحسن الهمداني = الهمداني
أبو عمرو بن العلاء ٣٣
الأتراك ٥٧ ، ١٥٥
الأحباش ٤٦ ، ٤٧
أحمد (الموطأ) ٥٩
أحمد أيوب باشا (المشير) ٦٩
أحمد البراق ١٧٨
أحمد راتب حموش ١٩ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ ،
١٢٢ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٢٠ ، ١٢٢
أحمد راشد باشا ٧١
أحمد الزيدي ٥٤ ، ٥٥
أحمد بن سليمان (المتوكل) ٥٩
أحمد عزة باشا (المشير) ٧٢
أحمد غسان سبانو ٥ ، ١٩
أحمد فضل العبدلي (الأمير أخو سلطان لحج)
٨٩
أحمد فيضي باشا (المشير) ٦٩
أحمد مختار باشا (الغازي) ٦٨ ، ٧٥
أحمد وصفي زكريا ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ،
١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١١٧ ،
١٧٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
- الآريون ٣٤ ، ٤٠
أغا خان (زعيم الإسماعيلية) ١٢١
آل البيت (بيت رسول الله ﷺ) ١٢٢
آل زياد = بني زياد
آل عايش ٦٧ ، ٧٥
الأئمة الزيدية ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،
٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ،
٧٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ١٢٥
أب يدع ٤٠
الإباضية ٥٠
إبراهيم عبد السلام باشا (الطبيب أمير اللواء)
١١٤
إبراهيم بن موسى الكاظم (الجزار) ٥٠
إبراهيم باشا اليكن ٦٧
ابن البرهان الحكيم ١٢٦
ابن حزم ٣٣
ابن خلدون ٣٣ ، ٤٠ ، ٨٧
ابن فضل الله العمري = العمري
ابن ماته (سلطان الحواشب) ١٦٨
أبو بكر الصديق ٤٩

- أحمد بن يحيى حميد الدين (أحد الجن) ٢٣
الأدارسة ٧٥ ، ٨٤
الإدريسي ٧٢
الأذواء ٤٦
أرحب (قبيلة) ١٢٤ ، ١٣٢
آرنو ٤٤
إزدمير باشا (فاتح الين الأول) ٦٤
استرابون ٤٢
إسحاق بن إبراهيم (أبو الجيش) ٥١
الإسكندر (الأمير الإسكندر الشركسي) ٥٨ ، ٦٣
الإسكندر المقدوني ٤٥
إسماعيل الحافظ ١٥
إسماعيل حقي باشا ٦٩
إسماعيل بن طفتكين بن أيوب ٥٤
إسماعيل بن عباس بن علي (الأشرف) ٥٥ ، ٥٦
إسماعيل بن القاسم (الإمام المتوكل) ٦٢ ، ١٧٠
الإسماعيلية (البهرة : في الهند) ١٢١
الإسماعيلية (المكرميون) ٩٨ ، ١٢١ ، ١٦٧
الأسود العنسي ٤٩
الأشراف العلويون ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٥
الإفرنج (الإفرنجي ، الفرنج) ٧٨ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ٢٠٩
الأقيال ٤٦
أمين بك (قائد) ٦٧
أمين الحسيني (مفتي فلسطين) ١٢ ، ١٤ ، ١٥
١٩٩ ، ١٦
أمين المعلوف ١٢٠
- الأمويون ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣
الإنكليز (الإنكليزية) ٣٩ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١٠٤ ،
١٩٨ ، ١٤٤
أيوب بن طفتكين بن أيوب (الناصر) ٥٤
بني أيوب ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٨٣
- ب -
البابلية ٤٠
باذان (نائب كسرى) ٤٩
البرتغاليون ٥٧
برسباي ٥٨
ابن البرهان الحكيم ١٢٦
البريطانيون ٨٨
البطالة ٤٥
أبو بكر الصديق ٤٩
بكيل (قبيلة) ١٢٤
بلحرث بن كعب ٤٢
بلحرث (قبيلة) ١٢٤
بلقيس (ملكة سبأ) ٢٢
بنو أيوب ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٨٣
بنو جبر (فرع قبيلة) ١٢٤
بنو الحارث (فرع قبيلة) ١٢٤
بنو حام = الحاميون
بنو حمير = الحميريون = حمير
بنو الرسول الفسانيون ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،
٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٩
بنو زريع ٥٣
بنو زياد (آل زياد) ٥١ ، ٥٢ ، ٨٣
بنو سام = الساميون

- بنو الصليحي ٥٢ ، ٨٣
بنو صليل ٨٢
بنو طاهر (الطاهرية) ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،
٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٨٣
بنو العباس = العباسيون
بنو غسان = الغسانيون
بنو قيس (قبيلة) ٨٢
بنو مروان ٨٢
بنو المهدي ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٠
بنو نجاح ٥٢ ، ٥٣ ، ٨٣
بنو يعفر ٥١ ، ٥٢ ، ٦٠
- ت -
التبابعة ٣٣ ، ٣٤ ، ٨٨
تبع كرب ٤٠
تبع أبو كرب (التبغ اليافاني) ٣٣ ، ٤٠
تحسين العنبري ٢٧
تحسين الفقير ٢٧ ، ٣٠
ترك ٧١ ، ٧٨ ، ٧٩
تركان ٥٤
تورانشاه بن أيوب ٥٢ ، ٥٤ ، ٩٧ ، ١٣٢
توفيق باشا القبرسي ٦٧
- ث -
ثابت ثابت ١٨٧ ، ٢٠٤
ثروة باشا ٧١
- ج -
جبلة بن الأيهم ٥٤
الجراجمة ٨٢
- جرجي زيدان ٣٩ ، ٤٠
الجمالي (لقب) = (جمال الإسلام علي) ١٢٥
جمال الدين بن أبي الفخر ١٣٤
- ح -
حاشد (قبيلة) ١٢٤
الحاميون (بنو حام) ٣٤ - ٤٠
حبيب الأسكتلاندي ٥٦
الحبش (الحبشي) ٨٢ ، ٨٥
الحدا (فرع قبيلة) ١٢٤
حزم = ابن حزم
حسن باشا الأرناؤوط ٦٥
حسن تحسين باشا ٧٠
حسين حلمي باشا ٦٩ ، ٧٧ ، ١٤٣ ، ١٦١
حسين ربحي الواسعي ٨ ، ٩
حسين بن عبد القادر (عامل صنعاء) ١٩٣
حسين بن علي (الشريف) ٦٧ ، ٧٢
الحسين بن قاسم الرسي ٥٢
حسين الكردي ٥٧ ، ٥٨
حسين المطهر (قاض) ١٨٨
حصن صديق ٤٠
الحضرميون ٤٩
حود العطاب ١٧٨
حوراني ٤٠
حميد اليناعي ١٧٨
الحميدية = عبد الحميد (السلطان)
حير (الحيريون = الحيرية = بنو حير) ٢٤ ،
٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ،
٤٧ ، ٧٥ ، ١٠٥ ، ١٣٩

- خ -

خالي كارينا صادق ٤٣
 خلدون = ابن خلدون
 الخلفاء الراشدون ٤٩
 خليل يحيى نامي ٥
 خولان (قبيلة) ٤٣ ، ١٢٤

- د -

داوود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول
 (المؤيد هزبر الدين) ٥٥
 دوغان (قبيلة) ٨٢
 ديوزي (طبيب إيطالي) ١٨٠

- ذ -

ذو أشعر ٤٦
 ذو جدن ٤٦
 ذو حسين (فرع قبيلة) ١٢٤
 ذو محمد (فرع قبيلة) ١٢٤
 ذو يزن ٤٦

- ر -

رائجنس ١٠٨ ، ١١٤
 راغب بك ١٨
 رباح (اسم للقرود) ١٢٠
 ريعة ٣٤
 رديف باشا (المشير) ٦٨ ، ٧٥
 الرس (الرسيون) ٣٥ ، ٥٩
 رسول = بنو رسول الغسانيون
 رشدي الجبان ٢٧

رضوان باشا ٦٤

الروس (الروسية) ٦٧ ، ٦٨
 الرومان (الرومانيون) ٢٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ،
 ١٠٤

- ز -

الزرائق ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣
 زريع = بنو زريع
 زكي العظمة ٢٧
 زكي بك كرام ١٩٦
 زنوبيا ٢٢
 زياد (آل زياد) = بنو زياد
 زيد بن حسن بن علي بن الحسين بن علي بن
 أبي طالب (صاحب الدعوة الزيدية)
 ٥٢
 زيد بن علي بن الحسين بن علي (صاحب
 مذهب الزيدية) ١٢١
 الزيدية ٨٢ ، ١٢١ ، ١٢٥

- س -

الساميون (بنو سام) ٣٤ ، ٤٠
 سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ٣٤ ، ٤٣
 السبئيون (السبئية) ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٤٤ ،
 ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ١٣٩
 السريانيون (السريانية) ١٠٩
 سعيد الأحول ابن نجاح ٥٢
 السعوديون (السعودية) ٧٥
 سلطان البهرة (داعي دعاة الإسماعيلية في
 الهند) ١٢١

- ص -

صالح الكيز ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢٠٠
الصبيحة (قبيلة) ٧٤ ، ٨٢
الصفى (لقب صفى الإسلام أحمد) ١٢٥
صلاح الدين الأيوبي (صلاح الدين بن
أيوب ، السلطان) ٥٣ ، ٥٤ ، ١٣٢
الصليحي ٥٢
الصليحي = بنو الصليحي
صليل = بنو صليل
الصومالي (الصومال) ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٨
الصيني ١١٨

- ض -

الضحياني ٧٢
ضومط ٩٨

- ط -

الطاهرية = بنو طاهر
طبقات الناس في الدين : السادة ، الفقهاء ،
القضاة ، النقباء ، المشايخ ، العقال ،
القبيليون ، العوام ، أرباب الحرف ١٢٢
طفتكين بن أيوب (الملك العزيز) ٥٣ ، ٥٩ ،
٩٧ ، ١٧٣ ، ١٧٤
طلعة الخربوطلي ١٧
الطليان ٧٢ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٤٤

- ع -

العاديون (العادية ، قوم عاد ، العرب البائدة)
٤٣ ، ٣٥ ، ٤٤

سلم (السلطان سليم العثماني) ٥٨ ، ٦٣

سليمان حزين ٥
سليمان بن سعد الدين بن تقي الدين عمر بن
شاهنشاه بن أيوب ٥٤

السليانيون ٥٩
سممهي ينوف ٤٥
سنان باشا الكبير (فاتح اليمن الثاني) ٦٤
سنان باشا الكتخدا ٦٥
سنحان (قبيلة) ١٢٤
السنينون (أهل السنة = سنية) ١٢١
السودان ٩٦
السوريون ٢٦ ، ٢٧

سيف بن ذي يزن ٤٧
السيف عبد الله (سيف الإسلام) =
عبد الله بن أمير المؤمنين يحيى
السيف علي (سيف الإسلام) = علي بن أمير
المؤمنين يحيى

- ش -

شارلز كرين ٥
الشافعي (محمد بن إدريس الشافعي) ١٢١
الشافعية ٨٢ ، ٨٥ ، ١٢١
الشاميون ١٤٤
الشراكة ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١
الشرقي (لقب) ١٢٥
شهر بن باذان ٤٩
شونيفورت ١١٣
شيخ المشايخ ١٢٤
الشيعة ١٢١

عارف التوام ٢٧	عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي ٥٠
عاطف باشا ٧١	عبد المحسن البركاني ٩٠
عامر بن داود ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢	عبد المسيح الأنطاكي ٥
عامر بن عبد الوهاب (الظافر) ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢	عبد النبي بن علي بن المهدي ٥٣
عامر الغوري (آخر ملوك الشراكسة) ٥٧	عبد الواسع الواسعي الباني ٧٢ ، ٧٩
عايض = آل عايض	عثمان باشا ٧٠
عباس بن علي (الأفضل) ٥٥ ، ٥٦	عثمان باشا (الفريق) ٦٩
العباسيون ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠	العثمانيون (الدولة العثمانية ، الأتراك) ٥٧ ،
العبيسة ٨٢	٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
عبد الحميد (السلطان عبد الحميد) (الحميدية)	٦٩ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ،
٦٩ ، ١٠٨	٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
عبد الرحمن العظم (سفير سورية في لندن) ١٠	١١٣ ، ١١٤ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
عبد السلام الكامل ٢٠٧	١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ ،
عبد العزيز (السلطان) ٦٨	١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠
عبد العزيز بن سعود ٧٥	العزي (لقب عز الإسلام محمد) ١٢٥
عبد الفتاح الأنسي ١٩	العسيريون ٨٧
عبد الكريم فضل العبدلي (سلطان لحج) ٨٩	علقمة ذو جدن ٤٢
عبد الله (المنصور) ٥٩	علي بن أبي طالب ٤٩ ، ٥٠ ،
عبد الله باشا (المشير) ٧٠	علي بن الحسن الخزرجي ٥٦
عبد الله بن أحمد (المهدي) ٦٣	علي بن رسول ٥٤
عبد الله بن أحمد بن عمر العلوي الحضرمي ٢٠٩	علي الرشدي ١٤
عبد الله العمري (القاضي) ١٨٩	علي بن العباس (المنصور) ٦٣
عبد الله بن يحيى (سيف الإسلام ، السيف علي	علي بن عبد الوهاب (المجاهد) ٥٥ ، ٥٧ ،
ابن أمير المؤمنين) ١٧ ، ١٥٦ ، ١٧٦ ،	علي بن الفضل القرمطي ٥٢
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،	علي المهدي ٦٧
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،	علي بن مهدي الحميري ٥٣
١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،	علي الناظري ١٧٨
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،	علي بن نافع (شيخ الحواشب) ١٧٤
١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤	

- علي بن يحيى (السيف علي ، سيف الإسلام)
١٨٧ ، ١٨٢ ، ١٧
- عمر بن الخطاب ٥٤
- عمر بن عبد العزيز ٥٦
- عمر بن علي بن رسول الغساني (الملك المنصور)
٥٥ ، ٥٤
- عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول
(الأشرف) ٥٥
- عمرو بن العلاء = أبو عمرو بن العلاء
العمري (ابن فضل الله) ٨٧ ، ٨٨
- عنس (قبيلة) ١٢٤
- عقطان ٣٥ ، ٤٣
- القحطانيون (القحطانية ، العرب العاربة)
١٢٤ ، ٥٠ ، ٤٣ ، ٣٤
- القلقشندي ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٦ ، ١٣٧
- قيس = بنو قيس (قبيلة) ٨٢
- القيسيون ٥٠
- قيصر ٢٠٩
- ك - ك -
- كامل العشي ٢٧
- م - م -
- ماتع = ابن ماتع (سلطان الحواشب)
للمأمون العباسي ٥٠
- المؤيد بالله الرسي ٥٩
- المؤيد هزبر الدين = داوود بن يوسف بن
عمر بن علي بن رسول
- المتوكل (إمام صنعاء) ٦٧
- محبوب محمد سليمان ١٩٦ ، ٢٠٢
- محسن بن أحمد الشهاري (الإمام المتوكل) ٧٠
- محمد (شرف الدين ، الإمام الهادي) ٧٠
- محمد الباشا ٦٥
- محمد بك (باني جامع البكرية في صنعاء) ١٧٣
- محمد (الملك الكامل) ٥٤
- محمد بن إبراهيم بن زياد بن أبيه ٥٠ ، ٥١
- محمد بن إدريس الشافعي = الشافعي
- محمد البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين ٢٣ ،
٢٥
- محمد الحجري (القاضي) ٨ ، ٩
- م - غ -
- غسان زكريا ١٥
- الغسانيون ٥٤
- غلازر ٤٤
- ف - ف -
- الفارسي (الفرس) ٤٧ ، ٤٨ ، ٨٨
- الفاطمي (الفاطميون) ٥٢ ، ٥٩
- الفخري (لقب) ١٢٥
- الفرنج (الفرنجية ، الإفرنجي) = الإفرنج
- فورسكال ١١٣
- الفيروزآبادي ٨٦
- ق - ق -
- القاسم بن محمد (المنصور) ٦٢
- قانسوه الغوري ٥٧
- قبيليون ٢٩ ، ٣٠ ، ٧٠ ، ١٢٤ ، ١٥٢
- القحري (قبيلة) ٨٢ ، ٨٣

- محمد حميد الدين (الإمام المنصور) ٧٠ ، ٧١
 محمد رشاد (السلطان) ٧٢
 محمد بن عايش ٦٨ ، ٧٥
 محمد علي باشا ٦٣ ، ٦٧
 محمد علي عبوشة باشا ١٩٩
 محمد بن القاسم (المؤيد) ٦٢ ، ٦٥
 محمد بن يحيى (الإمام) ٦٧
 محمود زنكي (نور الدين) ٥٣
 مراد باشا (حفار الآبار) ٦٤ ، ١٦١
 مروان = بنو مروان
 مروان بن محمد الأموي ٥٠
 مزواد ٤١
 المسعود (الأيوبي) آق سيس ابن الملك الكامل
 محمد بن أبي بكر بن أيوب (يوسف المعروف
 بصلاح الدين) ٥٤ ، ٥٩
 مصطفى عاصم باشا ٧٠ ، ٢٠٦
 مصطفى وصفي السمان ٢٧
 المطهر الإرياني ٥ ، ١٩ ، ٤٤ ، ٦٢ ، ١٥٤ ،
 ١٥٨
 المطهر الرسي ٥٩
 المطهر بن الإمام يحيى شرف الدين (المتوكل)
 ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٥
 معاوية بن أبي سفيان ٥٠
 المعنيون ٢٤ ، ٣٤
 المعنيون (المعينية) ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،
 ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٧
 المقدسي ٨٧
 مكرب سبأ ٤٥
 ملك سبأ ٤٥ ، ٨٠
 ملك سبأ وريدان ٤٦
 ملك سبأ وريدان وحضرموت ٤٦
 المالك ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨
 المنصور بالله الرسي ٥٩
 منيف أفندي ١٥
 المهدي = بنو المهدي
 المهدي العباسي ٦٢
 المهدي لدين الله الرسي ٥٩
 - ن -
 الناصر الرسي ٥٩
 النبي (ﷺ) (النبوة) ٤٩ ، ١٢١
 نجاح (ملك التهام) ٥٢
 نجاح = بنو نجاح
 النزاريون ٥٠
 نزيه المؤيد العظم الدمشقي ٥ ، ٢٢ ، ٤٤
 نشوان الحميري ٣٥
 نصارى نجران ٤٧
 النسايون (النساية) ٦٧ ، ١٤٤
 نهم (قبيلة) ١٢٤
 نيبوهر ٦٢ ، ١١٣
 - ه -
 هاليفي ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤
 هرس ٩٨
 هشام بن عبد الملك ٥٢
 همدان (قبيلة) ١٢٤
 الحمداني (أبو الحسن) ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٨٧ ،
 ٩٠ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،
 ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٣١
 - ٢٢٢ -

١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٦٩ ،	الهندي ٨٨
٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ،	هنغريس ٣٥
٨٣ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ١٠٤ ، ١٥٥ ، ١٧٦ ،	الهنود ١٤٤
١٧٧ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ،	الهنود البانيان ٨٥
يحيى النهاري ١٨٥	الهنود البهرة ٨٥
يعفر = بنو يعفر	
يعفر بن عبد الرحيم الخوالي ٥١	- و -
اليفع ٤٠	وادعة (قبيلة) ١٣٢
اليانيون ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ ،	- ي -
١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،	ياباني ١١٨
١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،	ياقوت الحموي ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩
١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ،	يحيثيل ريام ٤٣
١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ،	يثعمر ٤٥
١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧٦ ، ٢٠٢ ،	يحيى ٥٢
اليهود ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ،	يحيى شرف الدين (المتوكل) ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ،
يوسف ذونواس ٤٧	٦٣ ، ٦٤ ، ١٠٥ ،
يوسف بن عمر بن علي بن رسول (المظفر)	يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي (الهادي)
٥٥ ، ٥٦ ،	٥٢ ، ٥٨ ،
يوليوس غالوس ٤٥	يحيى حميد الدين (الإمام المتوكل ، أمير
اليونان ٤٦ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ١٤٤ ،	المؤمنين ، ملك الين) ٦ ، ١١ ، ١٣ ،

٥ - مسرد الأماكن والبلدان والمواضع وبعض التعاريف الواردة في الكتاب

الإهجر ١٦ ، ١٧ (ينظر وادي الأهجر)	- أ -
الأهرام ٩٤	الآستانة ١٥٥
أورية (الأورية) ٤٢ ، ٦٩ ، ١١٦ ، ١٤٢	آسية ١٠٨
إيطالية ٦ ، ١١ ، ٢٢ ، ٦١ ، ٧٣ ، ١١٥ ،	آشور ٤١
١٧٧ ، ١٨٥ ، ١٩٤	أنس ٧٧ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧١
- ب -	إب ٧٨ ، ٩٧ ، ١٣٦ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ،
باب المندب ٥١ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ٩١	١٧٣ ، ١٧٤
بابل ٣٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣	أبها ٧٢ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٦٧
باجل ٧٦ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٦ ،	أبين ٦٣ ، ٧٦ ، ٨٧
٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٥٩ ، ١٦٧	أحقاف الرمل ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨
بادية الجوف ٧٤	أرحب ٧٧ ، ١٥٨
بادية الشام ٣٦	الأردن ٦
بئر العزب ١٦١	الأزهر ١٥٧
بشيل ٤٢	إستانبول ٦ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٥
البحر الأبيض المتوسط ٤١ ، ٤٦	الإسكندرية ٥٣
البحر الأحمر ٤٥ ، ٤٦ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٤ ،	الأطلنتيك ٤٩ ، ١٣٩
٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٦٧	إفريقية ٤١ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ١٠٨ ، ١١٧
البحيح ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٦٧	الإقليم ١١١
بحيرة الهشمة ١٧٢	الأكمة (قرية) ٩٨
البرازيل ١٣٥	أميركة ١٤٩
براقش ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٢	الأناضول ٢٧ ، ٧١ ، ١٠٨ ، ١١٢
بردى = نهر بردى الشام	الأندلس ٥٠

١٦٧ ، ١٥٩ ، ١٤٣ ، ١٠٥ ، ١٠١	بروج الشمس : الدلو ، الحوت ، الحمل ، الثور ،
بيت قدم ١٣٦	الجوزاء ، السرطان ، الأسد ، السنبلة ،
بيت المدعي ١٣٦	الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدي ١٠٩
بيت المسحار (منزل) ١٧	بريم (مينون) ٨٤
بيحان ٣٥ ، ٧٤ ، ٧٦	بزنطية ٤٧
بيحان البيضاء ٢٤	بستان أبي مسحر ٢٠٠
بيحان السوداء ٢٤	بستان الجرُموزي (بيت الجرُموزي) ١٧ ، ٢٠٠
بيرأحمد ٨٤	بستان القصر المتوكلي ١٨٥
بيروت ١٠ ، ١٩٩	بعلبك ٩٤
البيضاء ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٢	بغداد ٢٤
- ت -	بكيل ٧٧
تدمر ٢٢ ، ٣٦	بلاد البستان ٧٧ ، ١٥٨
تربة ١٥٩ ، ١٧٤	بلاد الروس ٧٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢
تربة القمح ٧٨ ، ١٥٩ ، ١٧٣	بلاد الشاب ١٦٢
تعز ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٦ ،	بلق ٤٤
٧٧ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ،	البلقان (البلقانية) ٦٨ ، ١٠٠
١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٦ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ،	بنو إسماعيل ١٣٦
١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ،	بنو بهلول ٧٧ ، ١٥٨
١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ،	بنو الحارث ٧٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢
التهائم ٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ،	بنو حشيش (بنو حشيش همدان) ٧٧ ، ١٥٨ ،
٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٦ ،	١٦٢
٨٩ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٠ ،	بنو شهر ٧٥
١١٣ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،	بنو عوام ٧٧ ، ١٥٩ ، ١٧٠
١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ،	بنو قيس ٧٨ ، ١٥٩
تهامة ٥١ ، ٥٣ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ،	بوادي الشام ٩٠
٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ،	بورسعيد ١٩٩
٩٢ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،	بوعان (قرية) ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٦٦ ، ١٦٧
١٠٦ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٤ ،	بيت زيادي ٩٧
١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٤ ،	بيت الفقيه ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ١٠٠ ،

تهامة الحجاز ٨٠	جبل بعدان ١٦٨ ، ١٧٣
تهامة عسير ٨٠	جبل بلق = بلق
تهامة الين ٨٠	جبل بوعان (عقبة بوعان) ٩٩ ، ١٦٦
- ث -	جبل بيت الفقيه = بيت الفقيه
ثلا ١٤٨ ، ١٦٧	جبل تخلى ١١٣
- ج -	جبل تعكر ٥٣ ، ١٧٣
جامع إسكندر باشا ٨٦	جبل تيس ١٦٦
جامع البكرية في صنعاء ٦٥ ، ١٦١ ، ١٧٣	جبل ثلا (حصن ثلا) ٦٤ ، ١٠٠ ، ١٠١
جامع مراد باشا ١٦١	(وينظر ثلا)
جامع مصطفى باشا النشار ٨٦	جبل الجبي ٩٦
جامعة فؤاد الأول (القاهرة) ٥	جبل حبش ٧٨ ، ١٥٩ ، ١٧٤ (حبش)
جامعة هامبورغ ١٠٨	جبل حبش = حبش
جبال آمانوس ٩٢	جبل حراز ٩٩ ، ١٢١ ، ١٣٥ ، ١٥٨ ، ١٦٦
جبال بلاد أنس ١٣٥ ، ١٣٦ (وينظر أنس)	(وينظر حراز)
جبال بني مطر ١٣٥ ، ١٣٦	جبل حفاش ٩٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٦٦ (وينظر حفاش)
جبال ريمة ٧٨ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٣٥ ، ١٥٨ ، ١٦٧	جبل حيس = حيس
(وينظر ريمة)	جبل ذمار = ذمار
جبال السراة ٨٠ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٦ ، ١٦٠	جبل رازح ١٣٦
جبال طوروس ٩٢	جبل رأس ١٣٥
جبال عسير = عسير	جبل رداع = رداع
جبال لبنان ٩٢ ، ٩٤	جبل الروضة = الروضة
جبال وصاب ١٣٥	جبل زبيد = زبيد
جبال الين ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٧ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧	جبل زهرة = زهرة
جبل أبيها = أبيها	جبل سوغا = سوغا
جبل برع ٧٨ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٩ ، ١٦٧	جبل شام ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٦٧ (وينظر شام)
	جبل شام ٧٧ ، ٩٦ ، ١٣٦ ، ١٥٨ ، ١٧٠
	جبل شعيب حضور ٩٩ ، ١٠٠

جبل وشل ٩٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧	جبل شهارة = شهارة
جبل يريم = يريم	جبل صبر ١٠٥ ، ١٣٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣
جبل ١٧٣	جبل صعدة = صعدة
جبن ٧٨ ، ١٥٩	جبل صعفان ٩٨ ، ١٣٦ ، ١٦٧
جدة ٥٨ ، ٦٣	جبل ضان ٩٦
الجراف ٣٧ ، ١٠٩	جبل الطويلة ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٦٦ (وينظر
جرجان ٥١	الطويلة)
الجرذ ١٠٦	جبل الظفير ١٠٠
الجردة ٨٧	جبل عبس ٩٦ (وينظر عبس)
جزائر أميركة المتوسطة ١٣٥	جبل عساكر ٩٦
جزيرة العرب (شبه الجزيرة العربية)	جبل عصر (عقبة عصر) ١٠٠ ، ١٦٠ ، ١٦٦
(الجزيرة العربية) ١٠ ، ٣٤ ، ٤٠ ،	جبل عمران = عمران
٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٩ ،	جبل غامد = غامد
٨٧	جبل كوكبان = كوكبان
جزيرة المرتينيك ١٣٦	جبل اللوز ٩٤ ، ١٣٣
الجعفرية ٧٨ ، ١٥٩	جبل مأرب = مأرب
الجمعية الزراعية الملكية في مصر ٢٠٤	جبل محائل = محائل
الجمهورية العربية اليمنية ٢٥ ، ٢٦ ، ١٤٢ ، ٢٠٦	جبل مريس ٧٨ ، ١٥٩ ، ١٧٤
الجنيبات ١٠٦	جبل مسار ٩٨ ، ١٦٧
الجند ٧٦	جبل معبر ٩٧ ، ١٠٠
جهران ٧٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠	جبل الملح (في مأرب) ١٠٤
الجوف ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ،	جبل ملحان ٧٨ ، ٩٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٨ ،
٤٨ ، ٨٠ ، ٩١ ، ١٠٢	١٦٦
جوف أرحب ٤٢	جبل النبي شعيب ١١١
جيزان ٦٣	جبل تقم (تقم) ٢٩ ، ٦٤ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،
جيشان ٧٦	١١٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٧
- ح -	جبل هران ١٧١
حاشد ٧٠ ، ٧٧ ، ١٠٠	جبل هيلان ٤٢
	جبل وردة ١٦٨

حصن ٩٣	حبش = جبل حبش
حصن ثلا = جبل ثلا	الحبشة ٤٣ ، ٥١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٣٤ ، ١٣٧
حصن صغاء الداخلي (القصر) ٦٤	حبش ٧٨ ، ١٣٥ ، ١٥٩
حصن كوكبان = كوكبان	حبش ٧٨ ، ١٥٩ ، ١٧٤
حصن متوح ٩٨ ، ١٦٧ (وينظر متوح)	الحجاز ٤١ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨
الحصيب ٨٧	٨٩ ، ٩٠
حضر موت ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦	حجة ٧٧ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٣٦ ، ١٥٩
حفاش ٧٨ ، ١٣١ ، ١٥٩ (وينظر جبل	١٦٩ ، ١٧٠
حفاش)	الحجرية ٧٤ ، ٧٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٩ ، ١٧٤
حلب ١٤٤ ، ١٩٩	١٧٥
حلي ١٠١ ، ١٦٧	حجور ٧٨ ، ١٥٩
حماة ٢٩	حجيلة ٧٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١١٦ ، ١٥٨ ، ١٦٧
حص ٢٩	١٦٩
حمام بيت الفقيه ١٠٥	الحدا ٧٧ ، ١٥٨
حمام رداغ ١٠٥ ، ١٧٤	حدرة ١٦
حمام علي ١٠٥ ، ١٧٠ ، ١٧٤	حدا (ضاحية) ١٦٢
حمام العليل ١٧	الحديدة ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٦
حمام قعطبة ١٠٥ ، ١٧٤	٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦
حمام ناحية عر ١٠٥	٨٧ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١
الحواشب (سلطنة الحواشب) ٧٤ ، ١٦٨ ، ١٧٤	١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٣
الحوطة ٨٤ ، ٨٩	١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦٧
حيدر آباد ١١٨	١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٦
حيس ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٣٥	١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣
١٦٧ ، ١٥٩	حراز ٧٧ ، ١٣٦ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ (وينظر
الحمية ١٦٦	جبل حراز)
- خ -	حرض ٧٨ ، ١٥٩
خان سعب ٦٤	حزير ٩٧
	الحسوة ٨٤

ذئ مرمر ١٠٠	خان القطففة ٦٤
- ر -	خراسان ٥٠
الراحة ٨٤	خط الاستواء ٨٢
رأس الكثفب ١٠٠	خلفج الجبانة (جنوب الحففة) ٨٥
الرفق الخالف ٣٧ ، ٣٨ ، ٧٤	الخلفج العربف (خلفج فارس) ٥ ، ٤١ ، ٧٤
رفال المف ٧٥	خمس ٧٨ ، ١٥٨
رداع ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،	الخنفق ١٦٨
١٧٤ ، ١٧٢ ، ١٦٧ ، ١٥٩	الخوخة ٨٤
الرفراض ١٠٥	خولان ٧٧ ، ١١٥ ، ١٥٨
رففن ٧٦	خولان الشام ١٣٦
الرواع ٨٧	خفوان ١٣٢
روثنان ٣٥	- د -
الروض (قرفة) ١٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠	دار السعافة (مسففى حول إلى قصر للملك)
الروضة (ضاففة) ١٧ ، ٣٧ ، ٩٤ ، ١٠٠ ،	١٨٤ ، ٦١
١٠١ ، ١٠٨ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٨٢ ، ١٨٤	دراشفنس (باخرة) ١٨٧
رفدان ٤٦	الدرفمف ٨٤
الرفف ٣٩	الدكم ١٦٨
رففة ٧٦ ، ٧٨ ، ٩٦ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٥٩	دمشق ٦ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٤ ، ٢٥ ،
(وفنظر جبال رففة)	٢٩ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ١٤٤ ، ١٧٦ ، ١٩٩
زففد ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ،	دهلك ٥١
٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ،	الدوب ٩٧
٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٠٠ ،	- ذ -
١٠١ ، ١٠٣ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٤٣ ،	ذمار ٧٦ ، ٧٧ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٣ ،
١٦٧ ، ١٥٩	١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ،
الزنج ٨٧	ذمرمر ١٠١ ، ١٦٧
زهرة ٧٨ ، ٨٤ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٥٩ ، ١٦٧	ذفزاف ١٧٣
الزفدف ١٦	ذف فسن ٧٧
الزفدفة ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٥٩	ذف شراق ٧٨ ، ١٥٩

٩٢ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ،

١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،

١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٦٣ ، ١٧٦ ،

شام ٧٧ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٦٩ (وينظر جبل

شام)

شام اليعابر ١٦٩

شوة ٢٤ ، ٣٥ ، ٧٦ ،

الشجر ٣٤ ، ٥٦ ،

الشرجة ٨٧

الشرق ١١ ، ٢١ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٨٨ ، ١٤٢ ، ١٩٨ ،

الشرق الأدنى ٤١

الشرق الأقصى ٤٢

الشرق الأوسط ١٠

الشعر ١٤٣

شعوب (ضاحية) ٣٧ ، ٩٤ ، ١٠٨ ، ١٦١ ،

شعيب حضور = جبل شعيب حضور

الشغادرة ٧٧ ، ١٥٩ ، ١٧٠ ،

الشقاق ٨٧

شهارة ٦٨ ، ٩٠ ، ١٠٠ (ينظر عقبة شهارة)

شهران ٧٧

الشيخ سعيد (على ساحل الين) ٧٤ ، ٨١ ، ٨٤ ،

الشيخ عثمان (قرية) ٨٤ ، ٨٨ ،

- ص -

الصالفة ١٧

صبر = جبل صبر

صيا ٧٥

صرواح ٢٤ ، ٤٣ ، ٤٥ ،

صعدة ٥٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ،

- س -

سارع ١٠٥

سبأ ٢٤

السحول ٧٦

سد الحانق ١٠٤

سد ريعان ١٠٤

سد سيان ١٠٤

سد مأرب (العرم) (ميزاب الشرق) ٣٨ ،

٤٤ ، ٤٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

سدود بلاد عنس (أسداد) ١٠٤

السدة ١٤٣

السعودية (المملكة العربية السعودية) ٥ ، ٧٤ ،

سعودان ٩٤

سلفية ٧٨ ، ١٥٩ ،

سنان باشا (متنة) (خفر سنان باشا) ١٠٠ ،

١٠١ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،

سنان ٧٧ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٥٨ ،

السند ٥١ ، ٨٨ ،

سوادية ٧٨ ، ١٥٨ ،

السوداء ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٢ ،

سورية ٦ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ،

سوغا ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٦٧ ،

سوق الخسيس (قرية) ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٦٦ ، ١٦٧ ،

السيالة (محل في صنعاء) ٢٠٤

- ش -

الشام ٦ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٤ ،

٦٤ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ٩٠ ،

طبرستان ٥١	٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ١٠٠ ،
طرابلس الغرب ١٠٠	١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٦٧ ، ١٧٩ ،
الطويلة ٧٧ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٦٩ (وينظر	صعنان = جبل صعنان
جبل الطويلة)	الصفاء (شرقي حوران) ٤١
	الصليف (مملحة) ٨٤ ، ١٠٤
- ظ -	صعنا ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،
ظفار (الحيرية) ٤١ ، ١٦٩ ، ١٧٢	٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ،
	٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ،
- ع -	٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
العاصي = نهر العاصي	٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ،
عاهم ٧٨ ، ١٥٩	٧٦ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،
عبال ٨٤ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٦٧	٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
ابن عباس ٨٤	١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،
العبر ٣٥	١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ،
عبس ٧٨ ، ١٥٩ (وينظر جبل عبس)	١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٥ ،
العتارة ٩٨ ، ١٠١ ، ١٦٧	١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ،
عتمة ٧٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠	١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،
عدن ١٥ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،	١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
٦٢ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ،	١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٢ ،	١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ،
١٠٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،	١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ،
١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ،	الصين ٣٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٣٩ ،
١٩٦ ، ١٩٧	- ض -
عدن أبين ٥١	الضالع ٧٤
عدين ٧٨ ، ١١٦ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٩ ،	الضحى ٨٤
١٧٥	ضوران ٧٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،
عذارب ١٧٢	- ط -
العراق ٦ ، ١٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥١ ،	الطائف ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ،
١٢٦ ، ١٣٢	

عر (ناحية) ٧٧ ، ١٠٥ ، ١٣٦ ، ١٥٨ ، ١٦٩
 عرفة (جبل عرفات) ٨٩
 العرم = سد مأرب
 أبو عريش ٦٣ ، ٦٧
 عريف ٩٨ ، ١٦٧
 عير (جبال وأودية وبلاد) ٣٧ ، ٣٨ ، ٦٣ ،
 ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ،
 ٧٩ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٣٧

عصر = جبل عصر

عطينة ٨٧

عفار ٧٧ ، ١٣٦ ، ١٥٩ ، ١٧٠

عقبة بوعان = جبل بوعان

عقبة شهارة ٦٥ (ينظر شهارة)

عقبة عصر = جبل عصر

عقبة كرى ٩٠

عقبة المصنعة ٩٧

العلا ٤١

عمان ٣٤ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٧٤ ، ٧٥

عمران ٧٨ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ،

١٧٠

العواذر ٧٤

العوالق ٧٤

العمود ٧٦

عيال سريح ٧٨ ، ١٥٩

عين المريمة ١٧٢

- غ -

غامد ٧٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٣٧ ، ١٦٧

الغرب ١١ ، ٢١ ، ٤٥ ، ٨٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٩٨

غلافقة ٨١ ، ٨٤ ، ٨٦

غمدان = قصر غمدان

غور تهامة ٩٠

غوطة دمشق ٤٤ ، ١٥٢

الغيل (غيول) ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،

١٢٩ ، ١٦١

غيل باشا (ماء مجلوب إلى صنعاء من سفح

جبل تقم) ٦٤

- ف -

فلسطين ٦ ، ١١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ١٧٧

فينيقية ٤١

- ق -

القابل ١٦

قارة ٧٨ ، ١٥٩

قاسيون ٢٩

قاع البون ٩١ ، ١٧٠

قاع جهران ٩١ ، ٩٧

قاع الحقل ٩١ ، ١٦٩

قاع بنحان ٩١

قانا (حصن غراب) ٤١

القاهرة ١٥ ، ٢٤ ، ١٩٩

قبيطة ٧٨ ، ١٥٩ ، ١٧٤

القحمة ٨٧

القدس ١٤ ، ١٩٩

قصر غمدان ٤٦

القطيب ٧٤

القطيع ٨٤

- م -

مأرب ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٣ ،
٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٧٧ ،
١٠٤ ، ١٠٠
ماوية ٧٤ ، ١٦٨
المبرز (في الحديد) ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٧١
متنة = سنان باشا (مخفر سنان باشا)
متوح ٧٧ ، ٩٨ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٦٩
مباشة ٧٨ ، ١٥٩
محائل ٧٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٦٧
المحميات التسع ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٩
المحويت ٧٧ ، ١٥٨ ، ١٦٩
المحيط الهندي ٤٢ ، ٨٠ ، ١٠٦ ، ١٠٧
مخا ٦٣ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
٩١ ، ١٠٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ،
١٧٢
مخادر ٧٨ ، ١٥٩ ، ١٧٤
مخفر سنان باشا = سنان باشا = متنة
المخلاف ٧٦
مدينة العبيد ٩٦
المدينة المنورة ٤١ ، ٥٠
المراوعة ٨٤ ، ٨٥ ، ١٤٢
المريس = جبل المريس
ماجد ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٦٧
مار = جبل مار
مسط ٤١
مسور ٧٧ ، ١٠٠ ، ١٥٩ ، ١٧٠
السيحير (عاصمة ابن ماتع سلطان الحواشب)
١٦٨

مقطبة ٧٤ ، ٧٨ ، ١٠٥ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤
مقلعة العذر ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٧
مقلعة جبل التعكر ٥٣ ، ١٧٣
مقلعة حب ٥٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤
مقلعة الظهرين ١٦٩
مقلعة القصر ١٦١
المقليس (كنيسة) ٤٧
مقاعة ٧٨ ، ١٥٩ ، ١٧٣
مقران ٧٨ ، ٨٤ ، ١٥٩
مقناة السويس ٨٣
مقنفة ٧٥ ، ١٠١ ، ١٦٧
المقاهرة (معقل إسماعيلي) ١٦٧

- ك -

كارنا (سوداء) ٤٢
الكدراء ٨٧
كسة ٧٨ ، ١٥٨
الكعبة ٤٧
كوكبان ٥٣ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
١٣٥ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠

- ل -

لبنان ٦ ، ٢٧
لحج ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٨٧ ،
٨٩ ، ١٠٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٦٨ ، ١٧٣
الliche ٦٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٣٥ ، ١٥٩
اللحة ١٦٧
لندن ١٠ ، ٦٧

- مشاتل الليغرافي ناتانيا ١٩١
مصر ٦ ، ١١ ، ٢٢ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٢ ،
٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٧ ،
٧٣ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ١١٥ ،
١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٣ ، ١٧٧ ،
١٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩
- المعافر ٧٦
معاقل للرهبان ١٦٥
معان ٤٣
معبر (قرية) = جبل معبر
المعدومة (في صنعاء) ١٨٢
معين ٢٤ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ،
المغرب ٣٤ ، ٥١ ، ٨٧ ، ١١٧ ،
مغرب عنس ٧٧ ، ١٥٩ ، ١٧١ ،
مقاطرة ١٧٤
مفحق ٧٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٣١ ، ١٣٦ ،
١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،
الفرج (في صنعاء أو المنظر) ١٤٠ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٧١ ،
المقام ١٧
مقنبه ٧٨ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ،
مقرانة ١٠١ ، ١٦٧ ،
مكتبة الأمري ٦١
مكتبة الجامع الكبير ٣٠٢
مكتبة زيلفا ٦١
مكة المكرمة ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٥ ،
٨٩ ، ٩٠ ،
ملحان = جبل ملحان
مناخة ٧٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ،
١٣١
- ١٦٧ ، ١٦٩
منازل القمر : الغفر ، الزبانا ، الإكليل ،
القلب ، الشولة ، النائم ، البلدة ، سعد
الذابح ، سعد بلع ، سعد السعود ، سعد
الأخبية ، الفرع المقدم ، الفرع المؤخر ،
الحوت ، السرطان ، البطين ، الثريا ،
الدبران ، الهقعة ، الهنعة ، الذراع ،
النثرة ، الطرف ، الجبهة ، الزبيرة ،
الصفرة ، العواء ، السماك ١٠٩
المنذب ٨٧
المنزل (قرية) ٩١ ، ١٦٨ ،
المنيرة ٨٤
المهجم ٨٧
مواسم الزراعة : القارح ، العشا ، الصواب ،
الظلم ، الصلم ، العلب ، سهيل ، علان ،
الروابع الأولى ، الروابع الأخرى ١١٠
ميدي (ميناء) ٧٤ ، ٨٤ ،
ميسرة (موقع في قرية الروض) ١٨٨
ميلانو ٦١
ميناي (معين) ٤٢
مينون (بريم) ٨٤
- ن -
نادرة ٧٨ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ،
ناسكوس (البيضاء) ٤٢
نجد ٧٥ ، ٩٠ ،
نجد الأحمر ١٦٨
النجد اليافاني ٩١ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١١١ ،
نجران ٣٧ ، ٤٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩١ ،
١٣١

النجدود (قسم النجدود) (قسم الجبال) ٨٠ ،	وادي باجل ٨٣
٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٦ ،	وادي بنا ١٠٢
١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٦٨	وادي بيحان ٧٤
نعمى ١٦٩	وادي تب ١٦٨
النقىل ٩٢	وادي تثليث ٣٧
نقىل سارة (نقىل جبل سارة) ٩١ ، ٩٧ ،	وادي حجام ٩٨ ، ١٦٦
١٦٨	وادي حمام الأعلى ٩٦
نقىل المحرس ١٦٨	وادي الحار ٩٤ ، ١٠٢
نقىل مناخة ٩٩ ، ١٦٦	وادي الدواسر ٣٧
نقم = جبل نقم	وادي ذنة = وادي أذنة
نهم ٧٧ ، ١٠٥ ، ١٥٨	وادي الذهب ١٦٨
نهر بردى الشام (بردى) ١٠٢	وادي رمع ١٠٢
نهر العاصي (العاصي) ١٠٢	وادي زبيد ٨٦ ، ١٠٢
- ه -	وادي سردود ٨٣ ، ١٠٢
هجرة صعدة ٧٠	وادي سنحان ٩٦
هزم ٣٥	وادي سهام ٩٦ ، ١٠٢
همبورغ ١٨٧	وادي الشجة ٩٩
همدان ١٠٥ ، ١٥٨	وادي شرس ١٧٠
الهند ٤١ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٣ ، ٨٧ ،	وادي ضفور ١٠٠
٨٨ ، ٨٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٣٨ ،	وادي لاعة ١٣٥
١٣٩	وادي مخا ١٠٢
هيلان = جبل هيلان	وادي مخلاف ٧٤
- و -	وادي المرقد ١٦٨
الواحدى ٧٤	وادي مقرن ٣٧
وادي أذنة (وادي ذنة) ٣٨ ، ١٠٢	وادي مور ١٦ ، ١٠٢
وادي الأفلاج ٣٧	وادي موسىة ٩٩ ، ١٦٦
وادي الأهجر ٩٧ ، ١٣٥	وادي نجران ٣٧
	وادي نخلان ١٦٨

يام الجنوبية ٧٤	وادي نهر ١٠٩
محصب ١٠٣	وبار ٣٥
اليحصيين ٧٦	وصاب السافل ٧٨ ، ١٥٩
يريم ٤٦ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،	وصاب العالي ٧٨ ، ١٥٩
١٠٣ ، ١١٣ ، ١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ،	وعلان ٩٧
١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٣	
الين الخضراء ٧٤	- ي -
الين (بلاد الين - العربية السعيدة) ٢٤ ،	اليابان ١٤٣
٤٥ ، ٧٤ ، ١٠٤	يافا ١٩٩

٦ - مسرد أسماء الكتب والمطبوعات الواردة في الكتاب

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، للمقدسي ٨٧
 الأسماء العربية لنباتات مصر والجزائر واليمن المطبوع في برلين سنة ١٩١٢ ، لشوينفورت الألماني ١١٣
 الإكليل ، للهمداني ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ١٠٩
 بغية المريد ، (مخطوط) ٩
 تاريخ سيدي يحيى بن الحسين بن القاسم (مخطوط) ٩
 تاريخ العرب قبل الإسلام ، لرجي زيدان ٣٩
 تاريخ الكبسي (مخطوط) ٨ ، ٩
 تاريخ الين ، لعبد الواسع الواسعي الياباني ٧٢ ، ٧٩
 تاريخ الين وصنعاء ، لأحمد باشا طبع الآستانة عام ١٢٩١ هـ ٦٥
 التوراة ٢٢ ، ٤٠ ، ٤٣
 جداول توزيع فصائل النباتات اليابانية بحسب ارتفاعات أماكنها عن سطح البحر ، لراتجنس ١١٤
 جولة أثرية ، لأحمد وصفي زكريا ٦
 درر نهور العين (مخطوط) ٩
 الدروس الزراعية ، ٣ أجزاء ، لأحمد وصفي زكريا ٦ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٣
 الربيع الخالي ، لعبد الله فيليبي ٣٧ ، ٣٨
 الرحلة اليابانية ، للشريف عبد المحسن البركاني ٩٠
 الرحلة اليابانية والجغرافية النباتية في الين ، طبع الآستانة سنة ١٣٢٤ هـ ، لإبراهيم عبد السلام باشا ١١٤
 روح الروح (مخطوط) ٨ ، ٩
 الريف السوري ، لأحمد وصفي زكريا ٦
 سائنامة ولاية الين ، لسنة ١٣٠٤ هـ ، مطبعة صنعاء ١٠٥
 صبح الأعشى ، للقلقشندي ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٦ ، ١٢٦ ، ١٣٧

- الصحف الدورية : ألف باء في دمشق ٧
- الإيمان في صنعاء ٧ ، ٢٨ ، ٦١
- التربية في حلب ٧ ، ٢٠٧
- التمس الإنكليزية ٩٨
- الجلء في اللاذقية ٧
- صوت الين في الين ٧
- القبس في دمشق ٧
- الكفاح في دمشق ٧
- النصر في دمشق ٧
- صفة جزيرة العرب ، للهمداني ٧٤ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ١١٣ ، ١٣٠ ، ١٣١
- صناعة الإصطربلاب وعلمها ، للمظفر يوسف بن عمر من مخطوطات الخزانة التيهرية ٥٦
- طبقات فقهاء الين ، للأفضل عباس بن علي ٥٦
- عشائر الشام ، جزءان ، لأحمد وصفي زكريا ٦
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، لعلي بن الحسن الخرجي مطبعة الهلال
- ١٣٢٩ هـ - ١٩٦٦ م ٥٦
- فن زراعة الأشجار المثمرة وفقاً لحاجات البلاد البانية ، لأحمد وصفي زكريا ١٣٣ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ،
- ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٨
- قاموس الأعلام ، لشمس الدين سامي ٧٩
- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ٨٦
- القرآن الكريم - كتاب الله تعالى ٢٢ ، ٤٢ ، ٤٤
- قلب جزيرة العرب ، لحافظ وهبة ٧٤
- اللائحة الإصلاحية ، لحسين حلمي باشا ٧٩
- المجلات الدورية : الإكليل ٥
- التربية في حلب ٢٠٧
- التدن الإسلامي في دمشق ٢٠٧
- الزراعة ٢٠٢
- زميل الفلاح ٢٠٢
- العمران المصرية ٥
- غرفة زراعة حلب ٧

الفلاح المصري ٢٠٢

المعرفة السورية ٧

المقتطف المصرية ٣٧ ، ٧٣ ، ٩٨ ، ٢٠٧

مختصر ابن خلكان ، للأفضل عباس بن علي ٥٦

مذكرة إجمالية للجمعية الزراعية الملكية في مصر ٢٠٤

مسالك الأبصار ، لابن فضل الله العمري ٨٨

المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في أخبار الخلفاء والملوك ، للأشرف إسماعيل بن عباس ٥٦

المصحف الشريف بالخط العثماني الكوفي (مخطوط) ٩

المعتمد في مفردات الطب ، للمظفر يوسف بن عمر طبع مصر مطبعة مصطفى البابي الحلبي ٥٦

معجم البلدان ، لياقوت الحموي ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩

معجم الحيوان ، لأمين معلوف ١٢٠

المفكرة الزراعية ، لأحمد وصفي زكريا ٦ ، ١٧٦ ، ٢٠٣

الموسوعة البريطانية ١٠

نزهة العيون في تاريخ اليمن ، للأفضل عباس بن علي ٥٦

نفحات العنبر (مخطوط) ٨

هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، للأمير أحمد فضل العبدلي ٨٩

وصف جزيرة العرب ، لنيبور ٦٢

٧ - مسرد عناوين الكتاب

الموضوع	الصفحة
تقديم لرحلة أحمد وصفي زكريا إلى اليمن ، بقلم : أحمد غسان سبانو	٥
مقدمة المؤلف : غرائب اليمن كما شاهدها	٢١
الحديث التاريخي : تاريخ اليمن قبل الإسلام وبعده - قبل الإسلام	٣٣
خلاصة تاريخ اليمن بعد الإسلام :	٤٩
عمال النبي ﷺ والخلفاء	٤٩
دولة بني زياد ٢٠٣ هـ - ٤٠٧ هـ	٥١
دولة بني يعفر ٢٤٧ هـ - ٣٨٧ هـ	٥١
دولة الأئمة الزيدية	٥١
دولتا بني نجاح وبني الصليحي ٤٠٧ هـ - ٥٥٣ هـ	٥٢
دولة بني المهدي ٥٥٤ هـ - ٥٦٤ هـ	٥٣
دولة بني أيوب ٥٦٩ هـ - ٦٢٠ هـ	٥٣
دولة بني الرسول الفسانيين ٦٢٠ هـ - ٨٥٨ هـ	٥٤
دولة بني طاهر ٨٥٩ هـ - ٩٤٥ هـ	٥٦
الشراكسة في اليمن	٥٧
دولة الأئمة الزيدية أيضاً	٥٨
الدولة العثمانية في دورها الأول ٩٢٧ هـ - ١٠٤١ هـ	٦٣
دور استقلال اليمن	٦٦
الدولة العثمانية في دورها الثاني ١٢٨٩ هـ - ١٣٣٧ هـ	٦٨
حديث اليمن :	٧٣
نبذة جغرافية	٧٤

الموضوع	الصفحة
أقسام الين قديماً	٧٦
أقسام الين في العهد العثماني والعهد الإمامي الحاضر	٧٧
المساحة والسكان	٧٨
الوضع الطبغرافي	٨٠
وصف تهامة	٨٠
الجبـال	٨٩
البراكين والسيول	٩٣
الطرق ووسائل النقل	٩٥
طريق القوافل القديمة- وصف طريق القوافل القديمة بين الحديدة	٩٨
وصنعاء	
الارتفاعات في قسم الجبال	١٠٠
المقطع العمودي من الحديدة إلى صنعاء	١٠١
الأودية والسدود	١٠٢
المعادن	١٠٤
الظواهر الجوية	١٠٦
الإقليم	١١١
عالم النبات	١١٣
عالم الحيوان	١١٩
الأديان	١٣١
الطبقات :	١٣٢
السادة	١٣٢
الفقهاء	١٣٣
القضاة	١٣٣
النقباء	١٣٣

الصفحة	الموضوع
١٢٣	الشايف
١٢٤	العقال
١٢٤	القبيلون
١٢٥	الزراعة :
١٣٤	البن الباني وأصنافه
١٣٧	القات وأضراره
١٤٢	الصناعة
١٤٣	التجارة
١٤٤	المباني في المدن والقرى
١٤٦	مساكن الجبال
١٥٢	الملابس والأزياء :
١٥٣	ثياب أهل الين - ثياب الرجال - ثياب النساء
١٥٥	المعارف في الين :
١٥٥	المدارس الابتدائية
١٥٦	المدارس الأهلية
١٥٦	دار المعلمين
١٥٦	المدارس في التعليم الراقى
١٥٧	المدارس في الجوامع
١٥٧	المدارس في القرى
١٥٨	كلمات يمانية معكوسة
١٥٨	مواطن السكن في الين
١٦٠	أوصاف مدن الين - صنعاء
١٦٣	المساجد
١٦٣	الحمامات
١٦٤	دوائر الحكومة

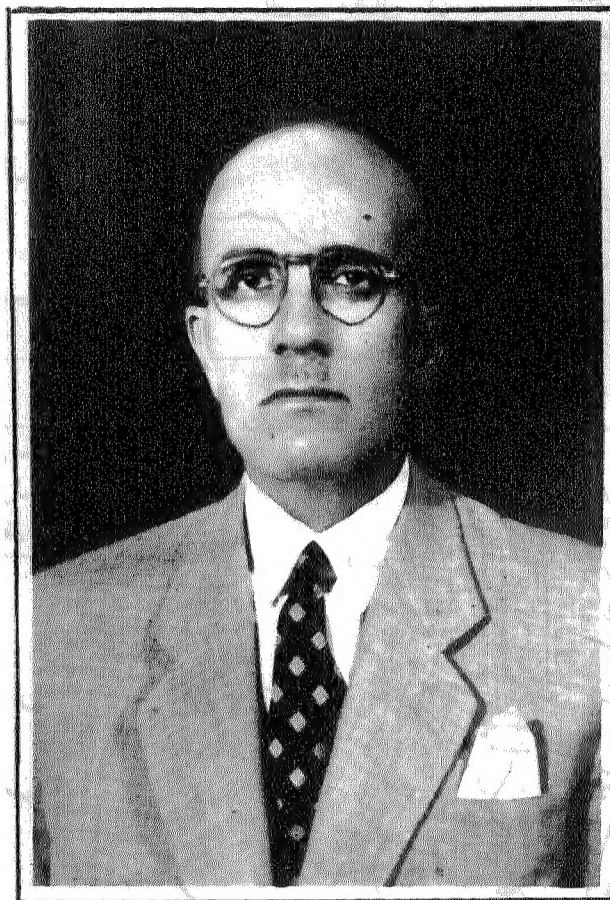
الموضوع	الصفحة
المستشفيات	١٦٥
الأماكن العامة والمنتزهات	١٦٥
طريق صنعاء - الحديدة	١٦٦
الطريق من عدن إلى صنعاء :	١٦٨
لحج - وادي الذهب - إب - وادي المرقد	١٦٨
قضاء حراز - قضاء كوكبان - قضاء حجة	١٦٩
عمران - قضاء أنس	١٧٠
قضاء ذمار - قضاء يريم	١٧١
رداع - تعز	١٧٢
قضاء إب	١٧٣
قضاء قعطبة	١٧٤
قضاء الحجرية	١٧٤
عدين	١٧٥
يوميّات عمل :	١٧٦
(١) إلى الإمام يحيى حميد الدين	١٧٦
(٢) للسيف عبد الله ١٦ صفر ١٣٥٥ هـ	١٧٧
(٣) للسيف عبد الله كذا / ١٩ صفر	١٧٨
(٤) للسيف عبد الله كذا / ٢٠ صفر	١٧٩
(٥) للسيف عبد الله كذا / ٢٢ صفر	١٨١
(٦) للسيف عبد الله كذا / ٢٥ صفر	١٨٢
(٧) للسيف عبد الله كذا / ٢٦ صفر	١٨٢
(٨) للسيف عبد الله كذا / ٢٩ صفر ١٣٥٥	١٨٤
(٩) للسيف عبد الله ٥ / منه	١٨٥
(١٠) للسيف عبد الله كذا / ٥	١٨٥
(١١) للسيف عبد الله كذا / ٥ منه	١٨٦

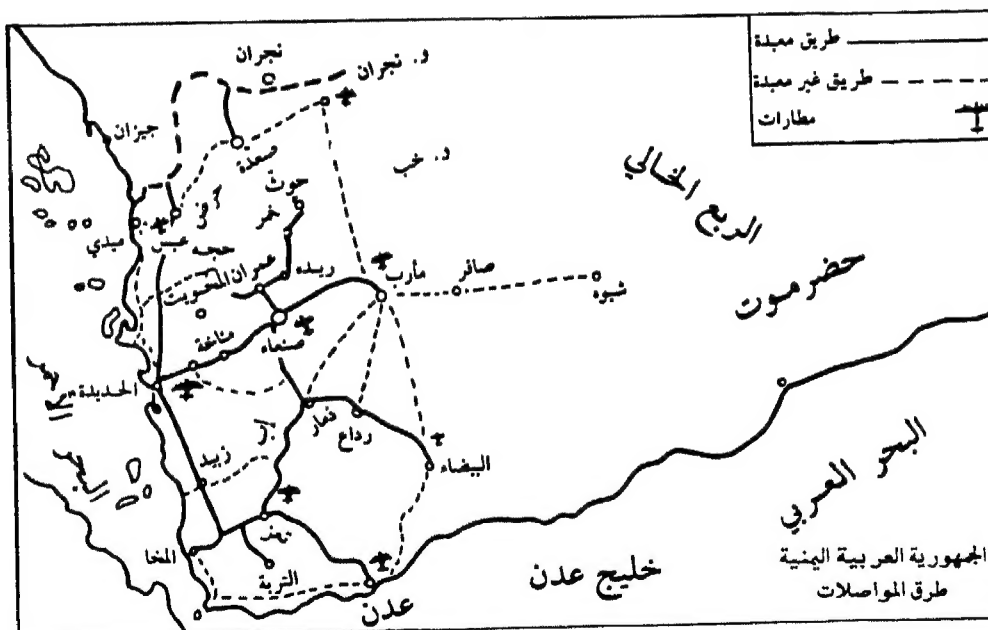
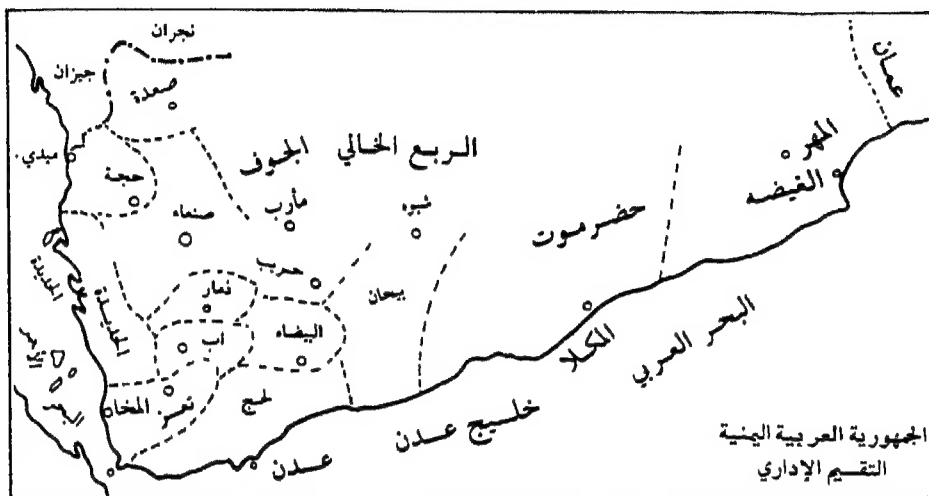
الموضوع	الصفحة
(١٢) للسيف علي ٧ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ	١٨٧
(١٣) للسيف عبد الله / ٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ	١٨٨
(١٤) للسيف عبد الله له كذا / ٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ	١٨٨
(١٥) للقاضي عبد الله العمري	١٨٩
(١٦) للسيف عبد الله / ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ	١٩٠
(١٧) للسيف عبد الله / ١٤ منه	١٩٠
(١٨) للسيف عبد الله / ١٥	١٩١
(١٩) للسيف عبد الله / ١٦ منه	١٩١
(٢٠) للسيف عبد الله / كذا	١٩٢
(٢١) للسيف عبد الله / كذا	١٩٢
(٢٢) إلى عامل صنعاء / ١٦ منه	١٩٣
(٢٣) للسيف عبد الله / ١٨ منه	١٩٤
(٢٤) للسيف عبد الله / ٢١ ربيع الأول :	١٩٤
- تعليقات بشأن مرض الصغ الذي يعتري أشجار البرتقال والليمون	١٩٥
والفرسك والمشمش والإجاص واللوز	
- تعليقات بشأن أوراق الأترج المغضنة التي أرسلت	١٩٥
(٢٥) للسيف عبد الله / ٢٥ ربيع	١٩٦
(٢٦) للسيف عبد الله / ٢٨ ربيع الأول	١٩٧
(٢٧) للسيف عبد الله / ٣٠ ربيع الأول	١٩٨
(٢٨) للسيف عبد الله / ٣ ربيع الثاني	١٩٩
(٢٩) للسيف عبد الله كذا / ٣ ربيع الثاني	٢٠٠
(٣٠) للسيف عبد الله كذا / ٣ منه	٢٠٢
(٣١) للسيف عبد الله كذا / ٣ منه	٢٠٢
(٣٢) للسيف عبد الله كذا / ٤ منه	٢٠٣
(٣٣) للسيف عبد الله كذا / ٦ منه	٢٠٣

الموضوع	الصفحة
السجون	١٦٤
خارطة مدينة صنعاء	٢٠٦
مهندس زراعي متقاعد يتحدث عن ثورة الين في مجلة التريية الصادرة بجلب العدد ٢٩٢٧ بتاريخ ١٩٦٣/١/١٧ للسنة ١٧	٢٠٧
قصيدة السيد عبد الله بن أحمد بن عمر العلوي الحضرمي في محرم ١٣٥٥ هـ	٢٠٩
مسارد الكتاب :	٢١١
مسرد الآيات الكريمة الواردة في الكتاب	٢١٣
مسرد الحديث الشريف الوارد في الكتاب	٢١٣
مسرد الشعر	٢١٤
مسرد أعلام الأشخاص والقبائل والشعوب والأمم الواردة في الكتاب	٢١٥
مسرد الأماكن والبلدان والمواضع وبعض التعاريف الواردة في الكتاب	٢٢٤
مسرد أسماء الكتب والمطبوعات الواردة في الكتاب	٢٣٧
مسرد عناوين الكتاب	٢٤٠
لمحة عن المؤلف	٢٤٦
مخطط الين	٢٤٨

العلامة أحمد وصفي زكريا

- ولد بدمشق عام ١٨٨٩ م . وأتم فيها دراسته الابتدائية والثانوية .
- انتقل إلى إستانبول والتحق بالمدرسة الزراعية العليا وتخرج فيها عام ١٩١٢ م مهندساً زراعياً .
- عاد لدمشق وعمل في مدرسة السمية الزراعية مدرساً ثم أصبح مديراً لها .
- عمل في لبنان مديراً لدار الحرير في بيروت عام ١٩١٤ م ثم عمل في فلسطين مدرساً في مدرسة (الأطرون) الزراعية .
- عمل مستشاراً فنياً زراعياً لحكومة الين عام ١٩٣٦ م .
- وعمل في مدرسة دار المعلمين الريفية في بغداد عام ١٩٤١ م .
- عاد لسورية حيث عين مفتشاً عاماً لأملاك الدولة حتى أحيل على التقاعد عام ١٩٥٠ م .
- توفي بدمشق عام ١٩٦٤ م .
- له مؤلفات تاريخية عديدة منها عشائر الشام ، وجولة أثرية ، والريف السوري وله مؤلفات زراعية منها الدروس الزراعية ، والمفكرة الزراعية ، والمحاصيل الزراعية .
- كان رحمه الله رائد العلوم الزراعية في وطننا العربي ، وآثاره القيمة تدل على سعة علمه وغزارة اطلاعه .





ظل الين في عزلة عن العالم - إلا من رحم ربي - حقبة طويلة من الزمن ، كانت فيها محاولة الوصول إليه ضرباً من المغامرة ، لا يجروء عليها سوى الرخّالين والأثريين ، والصحفيين الطلّعين كمعد المسيح الأنطاكي ونزيه المؤيد العظم ، في الزمن الذي كان فيه أحمد وصفي زكريا - مؤلف هذا الكتاب - مستشاراً فنياً زراعياً في الين بأمر الإمام يحيى .

ويبدو أن سحر الين أسر لا ينسأه زائره ، وإن مرّت عليه السنون . فؤلف هذا الكتاب ظل يكتب المقالات ، ويلقي المحاضرات عن الين ، منذ سنة ١٩٣٦ م حتى قبيل وفاته سنة ١٩٦٤ م .

والمعتقد أن حبّ الين لهذا المهندس الزراعي الرائد - وهو الذي نقل إليه زراعات من بلاد الشام والعراق ومصر وإيطالية تلائم البيئة الينية - جعله يبادلّه عشقاً بحب

وكتاب أحمد وصفي زكريا هذا وصف مستفيض لرحلته إلى الين السعيد . وأروع ما في هذا الكتاب أن لمؤلفه عيناً لاقطة شديدة الملاحظة .